# من تاريخ مصر القديم
# منذ الدولة الوسطى إلى الغزو المقدونى

اعداد د.صفاء الشيخ

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## المحتوى.

مقدمة .
مصادر التاريخ المصري القديم.
عصر الدولة الوسطى .
عصر الانتقال الثانى.
عصر الدولة الحديثة .
عصر الانتقال الثالث.
صور واشكال.
المصادر والمراجع.

مقدمة:

ان تاريخ مصر القديمة لا يحتويه كتابا واحدا ولا يسعه بتفاصيله الدقيقة والعلمية الواضحة كتابا بعينه ، ولعل ما احاول ايضاحه هنا جوانب موجزه لتاريخ مصر القديمة العريق بكل ما يحمله من فخر للماضى واعتزاز بالمستقبل ، وقد احتوى العمل على تقسيم مبسط لهذا التاريخ ...

مصادر تاريخ مصر القديمة

**١ـ الاثار :**

تُعد الاثار المصرية القديمة التى تتمثل فى الاثار الثابتة والمنقولة اهم مصادر دراسة تاريخ مصر القديم ، ذلك لان الاثر ما هو الا شاهد عيان لما دون عليه ، وتتميز مصر وخاصة مدينة طيبة (١) (الاقصر حالياُ) بامتلاكها لما يقرب من ثلث اثار العالم القديم ، وتتمثل تلك الاثار فى اهم معابد العالم فعلى سبيل المثال وليس الحصر معبد الاقصر وصرح الكرنك ، وهناك المقابر التى تنتشر فى طول مصر وعرضها شاهدا على ما مارسه المصرى القديم من عادات وتقاليد من اقدم العصور وحتى نهاية التاريخ المصرى القديم ، كما ان الأثار المنقولة والتي

---

[١] - طيبة T3-ipt الأقصر حاليا وتبدءا من نهاية الجندل الأول جنوباً ولها أكثر من حد شمالاً حسب الظروف السياسية للمزيد راجع: عبد الحليم نور الدين ، المرجع السابق ، ص ٣٣٥. كانت فى الإلف الثالثة قبل الميلاد قرية بسيطة من قرى مصر العليا وكان الموظفين المُعينين من قبل السلطة يتوجون مباشراً إلى هرمونتيس Hermonthis جنوب طيبة عاصمة الإقليم الرابع. للمزيد راجع: كلير لولايت : طيبة أو نشأة إمبراطورية ، ت. ماهر حويجاتى ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥. ص ١٧. عرفت فى النصوص المصرية القديمة باسم " تا أبت" أي الحرم أو المكان المقدس، وفى القبطية باسم "تابيا" tàpà ثم أصبحت فى اليونانية "تيباى" أو" ديوسبوليس ماجنا" وهو الاسم الذى اشتقت منه كل الكلمات الدالة على طيبة فى اللغات الأوربية مثل Thebes وظلت معروفة باسم طيبة حتى الآن. للمزيد راجع :

Wilkinson.G., Topographr of Thebes and general view of Egypt, London, P.1-2.

تعج بها جميع متاحف العالم تُعطى لنا تفاصيل دقيقة عن الفن المصري القديم وبراعته.

### ٢ـ الكتب السماوية :

تتمثل الكتابات السماوية فى الكتب المقدسة (القران والانجيل والتوراة) ولا شك ان القران الكريم بكل ما يحتويه من حقائق تاريخية هامة لا يمكن انكارها او حتى تكذيبها يُعد المصدر الاول من بين الكتابات السماوية والتى لم ولن يمسها أي زيف او تحريف مصداقاً لقوله تعالى " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

## ٣ـ القوائم الملكية.

تعد القوائم الملكية من الوثائق الهامه في التاريخ المصري القديم ، ويعود معظمها الى عصر الدولة الحديثة واهم هذه القوائم هي قائمه الكرنك وحجر بالرمو وقائمه العرابة المدفونة وقائمه سقاره وورقه تورين وسوف نتناول هذه القوائم بشيء من التفصيل نظراً لأهميتها .

**اولاً: قائمه الكرنك:** تعود هذه القائمة الى عصر الدولة الحديثة ويرجح انها دونت في عهد الملك "تحتمس الثالث" فقد عثر على هذه اللوحة بالكرنك بمدينه الاقصر ويطلق على هذه القائمة ايضا اسم "قائمه الاعياد" وهي مكتوبه على جدران احد الغرف بالمعبد ، واحجار هذه اللوحة محفوظه الان بمتحف اللوفر بفرنسا ، ودون بها معظم اسماء ملوك مصر القديمة حتى عهد الملك "تحتمس الثالث" الذي كُتبت في عهد القائمة ، وتختلف هذه القائمة عن بعض القوائم التي تلتها في عصور لاحقا على عدم احتوائها على بعض اسماء الملوك ومن ثم تعتبر قائمه الكرنك ناقصه بعض الشيء.

**بعض احجار قائمة الكرنك من داخل متحف اللوفر بباريس**

**ثانياً حجر بالرمو:** اقدم الاحجار الأثرية التي كُتبت عليها قوائم بأسماء ملوك مصر القديمة ، وتعود هذه القائمة الى عصر الأسرة الخامسة وسميت بحجر بالرمو نظرا لوجودها بمتحف بالرمو بإيطاليا ، فقد كتبت هذه القائمة علي بعض الاحجار التي نُصبت في المعابد المصرية القديمة ، وتتكون من قطعتين فقط من احجار الجرانيت ، وتحتوي على بعض اسماء الملوك الذين لم يذكروا بقائمه الكرنك.

**حجر بالرمو**

**ثالثاً قائمه العرابة المدفونة او قائمة أبيدوس:** ويرجع تاريخها الي عهد الملك "سيتي الاول" بداية الأسرة التاسعة عشر والقائمة تخليد ذكري اجداد الملك في احدى قاعات معبده الذي شيده في العرابة المدفونة ، وقد خصص احد جدران حجر هذا المعبد لهذه القائمة ، وهي احد اهم القوائم التي تبدا بالملك "نعرمر" وهذه القائمة يشوبها بعض الاخطاء في الترتيب خاصه فيما يتعلق بالأسر التي تسبق الأسرة الرابعة ، ولكن منذ بداية الأسرة الرابعة نلاحظ ان الاسماء المكتوبة داخلها متفقه تماما مع الاسماء التي وردت في القوائم الاخرى.

**قائمة ابيدوس**

**رابعا قائمه سقاره:** عثر عليها الاثرى "ماريت" في مقبره الكاتب الملكي "نوري" وهى مهشمة الى ثمانى قطع المتحف المصري بالقاهرة ولم تبدا هذه القائمة بما بدأت به قائمة العرابة المدفونة ، ولكنها بدأت باسم الملك الخامس من الأسرة الاولى وهو الملك "دن" ، وقد ذكرت هذه القائمة بانه تم نقل هذه الاسماء عن طريق نسخها من ورقه بردي ، وتحوى هذه القائمة ما يقرب من ٥٨ ملكاً ، تبدا من حكم الملك "رمسيس الثانى" وتنتهى بالملك "اعح ايب" من الاسرة الاولى اى ان ترتيب هذه القائمة جاء عكسياً من الاحدث للأقدم.

**قائمة سقارة**

**خامساً برديه تورين:** وتعود هذه البردية الى عهد الأسرة التاسعة عشر وتتميز هذه القائمة بإضافة سنوات كل ملك على حده وما حكمه من ايام وشهور وعلى الرغم من ان هذه البردية على حاله سيئة الى حد ما لكنه من ذكرت العديد من ملوك مصر كما اضافت هذه البردية القاب الملوك حسب ترتيبهم الزمن وقد اعتمد المؤرخ "مانيتون السمنودى" في القرن الثالث قبل الميلاد وبعض المؤرخين المعاصرين له اعتمادا كليا على هذه البردية المحفوظ بمتحف تورين.

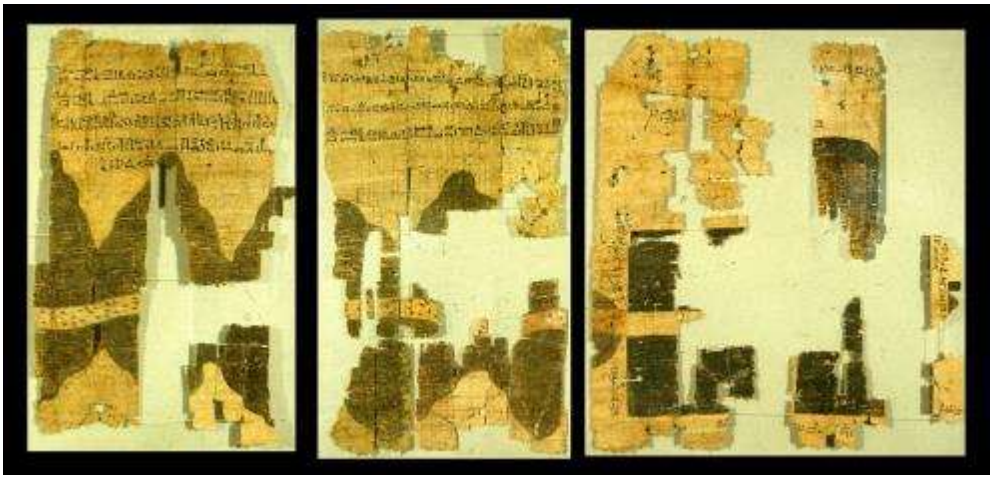

**بردية تورين**

## سادساً : كتابات المؤرخين القدماء

تعدد كتابات المؤرخين القدماء مهمه للغاية وصادقه اذا ما تطابقت مع ما عثر عليه العلماء من اثار مصريه قديمة مختلفة ، اهم هؤلاء المؤرخين تتحديدا المؤرخ "هيكاته الملاطى" حوالي ٥٥٠ قبل الميلاد ، والذي وضع شجره الانساب لملوك القدماء المصريين ، ثم اتى بعده المؤرخ "هيرودت" حوالى ٤٥٠ قبل الميلاد والذي وضع العديد من الكتابات ابرزها الجزء الثاني الذي يصف فيه زيارته لمصر ، وان كان هناك العديد من الملاحظات التي سجلها العلماء على بعض كتابات "هيرودوت" وما بها من اخطاء ولكن مجمل هذه الكتابات صادق الى حد كبير ، ويأتي بعده في اوائل عصر البطالمة المؤرخ "هيكاته الابدرى" والذي جاء تحديدا في عهد "بطلميوس الاول" وقد اشار الى هذا المؤرخ الرحالة "ديودور الصقلي" في كتابه عن "مانيتون السمنودي" وهو اهم المؤرخين المصريين الذي كتب عن تاريخ مصر القديمة ويؤكد ذلك ما ذكره عنه المؤرخ "جوزبوس اليهودي" ومما سهل عليه الكتابة عن تاريخ مصر بشكل صحيح انه كان متقناً للغة المصرية القديمة بخطوطها الثلاثة ، كما انه عمل كاهن في المعابد ، وقد عاش هذا المؤرخ تحديدا في عهد الملك "بطلميوس الثاني" الذي امره بكتابه تاريخ مصر وتحديد ملوكها القدماء حوالى ٢٢٠ ميلاديه ، ثم اتى بعده المؤرخ "ديودور

الصقلى" و"جوزبوس اليهودى" و "استرابون" و "بلوتارخ" وان كان جميعهم لم يضفوا شيء هام عن تاريخ مصر القديمة حتى دخول الاسكندر المقدوني.

## سابعاً : الحضارات المعاصرة

تتمثل هذه الحضارات المعاصرة للحضارة المصرية في العديد من الدول المجاورة اهمها على الاطلاق الحضارة العراقية القديمة والحضارة السورية القديمة وحضارة شبه الجزيرة العربية وحضارة بلاد الاناضول وايران ، وتقدم الحضارات بما قد تتطابق فيما بينها في بعض النماذج الفنية و المعمارية بعض الدلائل والحقائق على بعض الاحداث ، فعلى سبيل المثال وليس الحصر يُعد تطابق بعض نماذج الاختام المبكرة بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة العراقية دليل دامغ على قوه الاتصال الحضاري بين البلدين سواء كان هذا الاتصال عن طريق التبادل التجاري او التبادل الرسمى بين الملوك للهدايا او حتى على سبيل التبادل الانساني على مستوى الشعوب ، ولكن مما لا شك فيه ان بعض تطابق هذه النماذج لا يدع مجالا للشك ان الحضارتين كانت على تواصل فيما بينهما منذ اقدم العصور ، كما ان اكتشاف بعض العلماء نسخه مطابقه للمعاهد التي ابُرمت بين المصريين و الحيثيين في سوريا يعطي صوره اخرى عن فهمنا للمعاهد التي عقدها الملك "رمسيس الثاني" مع الحيثيين عقب معركه قادش التى بدأت بذكر الالهه السورية ووضع الحيثيين لشروطهم على الملك "رمسيس الثاني" مما يعني ان الملك "رمسيس الثاني" لم ينتصر انتصار مطلقا على الحيثيين كم ادعى في نقوشه.

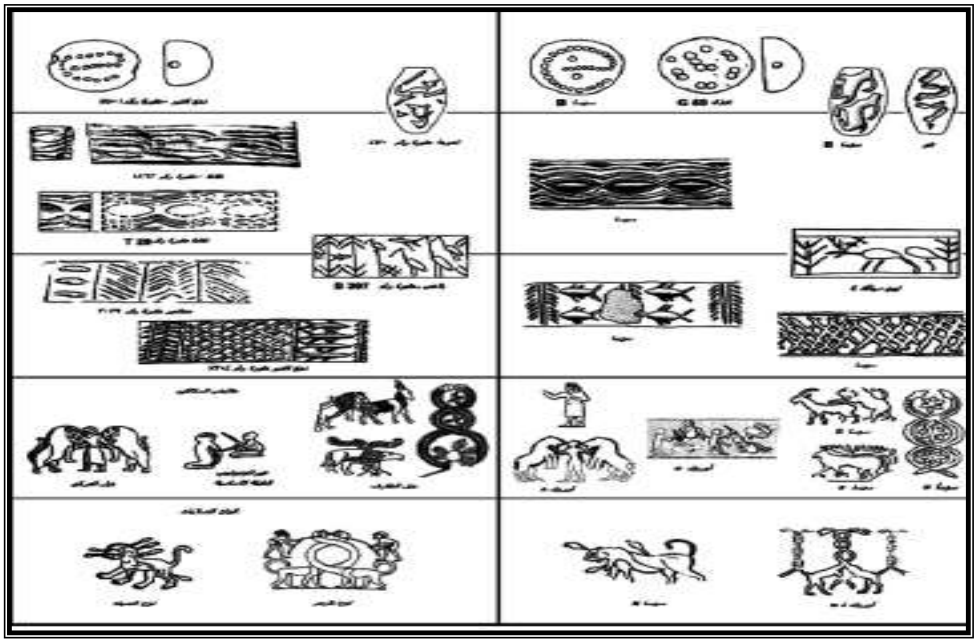

**التأثيرات المتبادلة ما بين مصر وبلاد النهرين خلال عصر نقادة الثانية والثالثة**

## اصل سكان مصر :

بفضل وقوع مصر على طريق البحر فقد كانت بيئة جذب بشري فقد زحفت قديماً أيام فجر التاريخ الى مصر أقوام عديدة منهم من جاء من الجنوب ومنهم من جاء من الشمال ويمكن ان نقول ان شعب مصر قد تكون من هذه الأقوام التي زحفت اليه .

وقد عاشت الأقوام المصرية في بادئ الأمر في الصحراء ولما حل الجفاف وندر الماء في هذه المناطق نزحوا الى وادي النيل ليستقروا فيه وهناك عدة آراء حول اصل شعب مصر هي :

**الرأي الاول :** يقول ان الأقوام المصرية كانت من الأقوام الحاضنة لعنصر الغلا والصوماليين والمختلطين بالجزريين المهاجرين الى دلتا الشرقية وبهذا يكون عنصرهم هو نتاج توالد ستة آلاف سنة فأسفر عنه هذا الشعب.

**الرأي الثاني :** يقول ان مصراً كانت مسكونة من عصور ما قبل التاريخ من الجنس الحامي والذي يقال انه نشأ من البلاد نفسها ... ( أي افريقي الاصل )

ولأمراء في ان الحاميين المصريين والذين يرجعون في أصولهم الى ليبين أو بربر أو من الحاميين الشماليين الشرقيين ( الصوماليين ).

**الرأي الثالث** : الذي يقول في معظم كتب التراث العربي الاسلامي ان اصل المصريين يرجع الى ( حام بن نوح ) والذي كان قد انجب كل من ( كوشين ومصرايم وقوط وكنعان ) ويشير الطبري الى ان مصر من القبط والبربر ... قد تكونت من الأصل الحامي نسبة الى (حام) ويرجع السبب في ذلك الى انه كون المنحدرين من نسله هم الذين سكنوا شمال أفريقيا ) والجدير بالذكر ان علماء الآثار لا يعدون بهذا الرأي او الرواية اذ لا دليل على صحتها .

**الرأي الرابع :** الذي هو اقرب للحقيقة مفاده ان ما حصل في فجر السلالات من استمر العطاء الحضاري لا يمكن ان نسميه تبدلاً بقدر ما يمكن ان نطلق عليه بتفاعل كيماوي كما يقول جون ولسون . ولكن هذا التفاعل في الاقوام كان تفاعلا كيمياويا بطيئاً لم ينته برد فعل فجائي وكأنما كانت هناك قطرات كيماوية تتساقط خلال زمن طويل ... في الكم والنوع ، غير ان الذي نعرفه من انه في نهاية عصر فجر السلالات نجد ان بعض التغيير اخذ يدخل على هذا الشعب الحامي ... والظاهر ان هذا التغيير جاء عن طريق الهجرة .. والتي هي من اصل آسيوي وقد اختلف في منشئها فمنهم من قال بانها جاءت الى مصر من شبه جزيرة العرب عن طريق البحر الاحمر من جهته فقط عن طريق اعالي النيل [٢] . وقد دخلت هذه الأقوام مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء وشرق الدلتا وقد نتج عن التفاعل بين هذه الهجرات ( الحامية والجزرية ) ظهور شعب موحد هو الذي اوجد شعب مصر والذي ساهم بتكوين حضارة مصر .

---

(٢) سليم حسن : مصر القديمة ، ج١ ، ص١٤١ ؛ عبد الحميد زايد ، مصر الخالدة ، ص١٦.

**الرأي الخامس** : يقول ان الأقوام الجزرية قد جاءت عن طريق فلسطين ، فسيناء ثم اتجهوا الى الدلتا ومن ثم انتشروا في الدلتا الغربية ثم الوجه القبلي وهناك رأي آخر يشير الى هجرات الهكسوس الذين سموا بملوك رعاة قبائل فلسطين وسوريا البدوية والذي يشير ما نيتو ، من ان مدة حكم أسر ملوك الهكسوس لمصر قد بلغ ثلاث اسر وهي الأسرة الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر ، والذي انتهى على يد ( احمس الاول ) سنة (١٥٩٠ق . م ) .

**الرأي السادس :** هو الذي أورده الباحث جون ولسون وذهب فيه في القول الى انه لا يمكن رفض الرأي القائل ان هناك عنصراً جديداً في أواخر عصر فجر السلالات كان هو العنصر الفعال في ظهور الحياة المدنية وكان هذا العنصر الجديد عنصراً فاعلاً استمد اصله من العراق وكان له اثر واضح في عصر فجر الأسرات ولا ننكر من انه خلال الآلف وثمانمائة الاولى والذي استغرقته مصر وهي تتطور داخلها في حضارتها كان تطورها فيه تطوراً محلياً وواقعياً في اكثر ايامه ولكنه بعد ذلك ... لم تر مصر غضاضة في قبول بعض المستجدات ذات الطابع العراقي (٣) . وهذا مـــا أكدته بعض الحقائق سواءاً على مستوى التكوين الجيني او على مستوى التكوين العقائدي أو على مستوى البناء الحضاري وقد أكد ما ذهبنا اليه عالم المصريات المشهور ( الن جاردنر ) وهو حجة في تاريخ مصر والذي يقول ان حضارة الأسرات تدين بالكثير الى التأثير المبروبوتامي العراقي لانه من المحتمل انهم قد قدموا من ناحية شرق مصر المكشوفة من العراق عن طريق سوريا ثم فلسطين مروراً بشمال شبه جزيرة سيناء وفيها يؤكد فرضية ( الن جاردنر) ان جيوش اسرحدون سارت في طريقها الى مصر .وسيطرت على بعض مقاطعاتها.

---

(٣) جون ولسون : المرجع السابق ، ص٨٤ .

الرأي السابع: هناك نظرية أخرى تذكر بان المصريين عدوا أنفسهم أصليين، ويعني هذا بأنهم نشأوا في وطنهم دون أي تاثير وإن أرضهم الوحيدة الخصبة أما غيرها من الأراضي فهي صحاري قاحلة وهضاب وهي موطن الآلهة ومركز الكون والنيل هو النهر المثالي في جريانه ونظامه.

الموقع الجغرافي لمصر واثره فى تاريخها :-

يمتد نهر النيل بطول ٦٠٠٠ كم بشكل شبه مستقيم تتخلله بعض الثنيات إلى الشمال[٤]، مما جعل العمران في مصر يرتبط بحافتى النهر الذي يقطعها طوليا إلى جهتين شرقية وغربية زاد فيها اتساع السهل الفيضي والوادي بفعل تغير مجرى النهر إلى الشرق خلال الألفي سنة الماضية بما كان له تأثير على حركة العمران بالوادي[٥]، وفي ظل الرياح الدائمة طوال العام أمكن للسفن التحرك بسهوله من الشمال إلى الجنوب فخلق ذلك ترابطًا قويًا بين السكان في الدلتا والوادي وعليه فإن تحقيق الوحدة بين القطرين جاء مبكرًا[٦]، وتُشير الدراسات إلى أن المجرى قديمًا كان مختلفًا عما هو عليه الآن ، إذ إن محور النيل كان إلى الغرب عن مجراه الحالى بين أخميم[٧] والقاهرة ونتج عن ذلك تركز العمران على النيل مباشرة

---

[٤] - سليمان حزين: البيئة والإنسان والحضارة فى وادي النيل الأدنى ، تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢، ص٧.

[٥] - وسناء حسون يونس: "أهم الخصائص الجغرافية لمصر القديمة ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد ٧٧ عدد ٩ ، ٢٠١٠، ص٤٧٧.

[٦] - سليمان حزين: المرجع السابق ، ص١٦.

[٧] - أحدى مدن محافظة سوهاج عرفت فى النصوص المصرية القديمة باسم "خنتى مين" أى بيت "مين" اله الإخصاب وهى مركز عبادته وأصبحت فى القبطية "شمين" ثم "خمين" وأطلق عليها اليونانيون اسم بانوبوليس. وحرفت فى العربية إلى أخميم للمزيد راجع: أمين محمود عبد الله: تطور التقسيم الإدارة في مصر العليا منذ فجر التاريخ إلى نهاية القرن العشرين ، القاهرة ،١٩٩٦، ص١٠٣. واهم المعالم التاريخية الفرعونية بهذه المدينة جبانة حكام الأقاليم المنحوته

في ذلك الوقت[٨] أما الحيز التاريخي لمصر خلال فترة الدراسة فهو يمتد من بداية الأسرة الأولى حوالي ٣٠٠٠ ق.م إلى نهاية الدولة الحديثة حوالي ١٠٦٩ق.م[٩].

---

فى الصخر شرقي النيل وتعرف باسم مقابر الحواويش من عصر الدولة القديمة والوسطى. للمزيد راجع: عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة ، ط ٨ ، ٢٠٠٨، ص٣٢٧.

[٨] - محمد مدحت جابر: بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، مكتبة نهضة الشروق - جامعة القاهرة ، ١٩٨٥، ص١٧-١٨. وللمزيد عن تاريخ نهر النيل وأثره على مصر راجع: جمال حمدان: شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان، ص١٢٣ وما بعدها.

[٩] - للتقسيم الخاص بالتاريخ المصري القديم راجع: راجع نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة ، ص٤٥١. ولتقسيم الدولة الوسطى وتاريخ حكم كل ملك منها راجع. باركنسون. ر.ب: أصوات من مصر القديمة مقتطفات من كتابات الدولة الوسطى، ص١٩-٢٠.

**خريطة مصر القديمة**

**ويمكن تقسيم أهمية موقع مصر إلى النواحي التالية :**

**أ – أهميته السياسية**

مكن موقع مصر الفريد من توطيد أركان النظام السياسي الذي حمل ملامح مصرية خالصة ففيما يتعلق بشكل نظام الحكم ظهر في مصر نموذج النظام المركزي أو شبه المركزي وذلك للحاجة الماسة لهذا النظام من أجل تنظيم عملية الري وحماية قرى الفلاحين من الأخطار المحدقة بها والتي يأتي أغلبها من المناطق الصحراوية المحيطة وقد برز هذا الأمر منذ بواكير الحضارة المصرية فيظن أن أول ملوك الأسرة الأولى (نعرمر) هو أول من حقق وحدة مصر بشطريها العلوي والسفلي حيث بقي هذا الأمر قائما طوال مراحل تأريخ مصر حتى في فترات الاحتلال الأجنبي أما طبيعة نظام الحكم فقد أسهم استقرار مصر وابتعادها النسبي عن التهديدات الخارجية في أعطاء الفرعون مكانة خاصة في قلوب المصريين ووضعه في مرتبة تفوق مرتبة البشر سواء كـــ إله أو أبن إله ولم تتزعزع هذه النظرة القدسية للملك إلا في مراحل الاضطراب السياسي التي شهدتها مصر في مراحل معينة سواء في أعقاب سقوط المملكة القديمة نهاية الألف الثالث قبل الميلاد أو في أعقاب سقوط المملكة الوسطى على يد الهكسوس وكذلك في المدة التي اعقبت سقوط المملكة الحديثة في حدود ١٠٨٥ ق. م ونتيجة لذلك أشير إلى أنه " لا يوجد شعب أقل ميلا للحروب مثل الشعب المصري فخلال (٤٠) قرنا من الزمن لم نرى إلا تبدلات بسيطة في المراكز السياسية وهذه التبدلات كانت نتيجة أحداث خارجية " وليست نتيجة تغيرات داخلية يفرزها الشعب نفسه نتيجة شعوره بحالة من التناقض مع حكامه المقدسين .

**ب ـ أهميته العسكرية**

تمكنت مصر بدافع من موقعها الجغرافي من تحقيق وحدتها في الداخل ولمراقبة الصحاري المحيطة بها من الشرق والغرب على السواء تفاديا للمفاجآت المزعجة ومنعا لكل طارئ حيث يسهل موقع مصر الجغرافي من وضع الترتيبات اللازمة للدفاع عنها سواء بوضع نقاط مراقبة أو تهيئة الدفاعات اللازمة وما إلى

ذلك ومهما يكن من أمر فقد سمحت ظروف مصر الخاصة ووضعها الجغرافي الفريد من أن تصبح دولة واحدة موحدة على الرغم مما مر بها من ظروف وبالتالي أصبحت مصر دولة فريدة لها حدودها الطبيعية الثابتة والمحددة ففي الشمال البحر الأبيض المتوسط وفي الشرق الصحراء العربية وفي الغرب الصحراء الليبية وفي الجنوب شلالات النيل وبين هذه الحدود جميعا أسس الإنسان حضارته وتمكن من احكام سيطرته على الأرض المصرية واستغلالها دون منغصات .

**ج – أهميته الاقتصادية**

أن وقوع مصر في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الأفريقية والإطلالة على بحرين كبيرين هما البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر قد منحا مصر موقعا تجاريا مهما وأتاح لها الاتصال المبكر بالحضارات الآسيوية لا سيما حضارة وادي الرافدين من خلال حلقة الوصل السورية و بالمراكز الحضارية التي تشكلت منها فيما بعد الحضارة اليونانية كـــ كريت والجزر الإيجية وغيرها ومن ثم تمكنت مصر من بيع محاصيلها لا سيما الحنطة والقطن والكتان إلى البلدان المجاورة واستيراد المواد الأخرى التي يحتاجها الشعب المصري من خلال البحر وفي هذا الخصوص يعتقد أن مصر لديها علاقات تجارية قديمة مع مدن الساحل الفينيقي لا سيما بيلوس تعود بجذورها إلى أقدم عصور التأريخ المصري كما كانت هناك علاقات مماثلة مع المناطق الجنوبية لا سيما النوبة والمنطقة المسماة ببلاد بونت (ربما الصومال) ربما تمت من خلال البحر الأحمر.١٠

١٠ - باسم محمد حبيب: الموقع الجغرافي وأهميته في نشوء الحضارة المصرية القديمة.

## الدولة الوسطى ٢٠٥٣ ـ ١٧٨٥ ق.م.

### الأسرة الحادية عشرة (٢٠٥٠– ١٩٩٠ق.م)

واخذ ترتيب هذه الاسرة شكلين الاول وهو:

- **انتف الأول ٢١٣٤ – ٢١١٨ق.م.**
- **الملك انتف الثاني ٢١١٨ – ٢٠٦٩ق.م.**
- **الملك انتف الثالث ٢٠٦٩ – ٢٠٦١ق.م.**
- **الملك نب حبت رع – منتوحتب ٢٠٦١ – ٢٠١٠ق.م.**
- **الملك سعنخ كارع – منتوحتب ٢٠١٠ – ١٩٩٨ق.م.**
- **الملك نب تاوى رع – منتوحتب ١٩٩٨ – ١٩٩١ق.م.**

**اما الترتيب الثانى**

- **منتوحوتب الأول ٢١٢٥ ق.م. – ؟؟**
- **ســِحــِر تاوي – انتف الأول ٢١١٢ ق.م – ؟؟**
- **وح عنخ – انتف الثاني ٢١١٢ ق.م. – ٢٠٦٣ ق.م.**
- **ناخت نب تپ نفر – انتف الثالث ٢٠٦٣ ق.م. – ٢٠٥٥ ق.م.**
- **نب حــتــِپ رع – منتوحوتپ الثاني ٢٠٥٥ ق.م. – ٢٠٠٤ ق.م.**
- **سا عنخ كا رع – منتوحوتپ الثالث ٢٠٠٤ ق.م. – ١٩٩٢ ق.م.**
- **نب تاوى رع – منتوحوتپ الرابع ١٩٩٢ ق.م. – ١٩٨٥ ق.م.**

وقبيل عهد الدولة الوسطى بتوحيد مصر التي انقسمت على ثلاثة أقسام هي

( أ ) الدلتا التي كان يحكمها بعض الحكام المحليين.

(ب) مصر الوسطى التى تمتد من منف حتى أسيوط وكان يحكمها ملوك الأسرة الإهناسية.

(ج) مصر العليا وتمتد من اسيوط الى أسوان ويحكمها أفراد أسرة "أنتف" ، وهي الأسرة التي ينتسب اليها مؤسس الأسرة الحادية عشرة " انتف الأول" ، الذي اتخذ من طيبة عاصمة له وللأسرة الحادية عشرة بعد النجاح الذي تحقق بتوحيد مصر وتنظيم البلاد ومن اهم اعماله.

- توسيع الاقليم الطيبى حتى وصل الى حدود افروديتوبوليس.
- تقديم العديد من القرابين للإله خنوم.
- نقش لوحة «ثنى» التى تلقى الضوء على العديد من الاضطرابات
- السيطرة على اقليم اسيوط والدليل على ذلك نقوش حاكم الاقليم «خيتى»

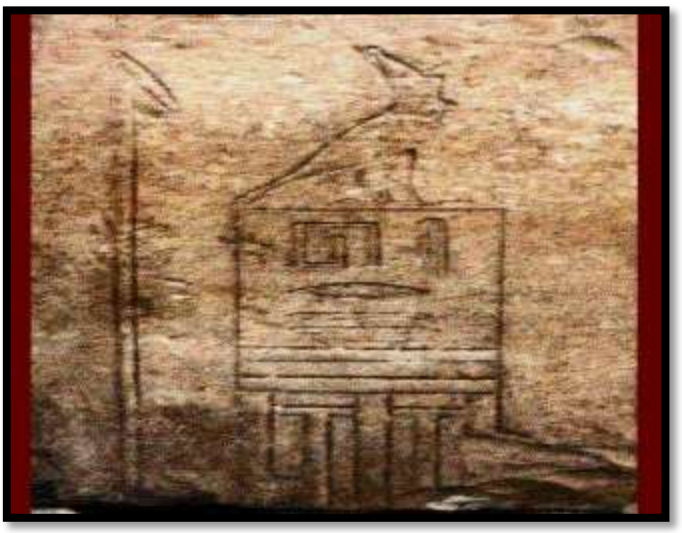

اسم إنتف الأول على احد الاثار

إلا أن حكمه لم يطل أكثر من عشرة أعوام ، فتلاه على العرش "انتف الثاني" الذي حكم مدة خمسين عاماً على الاقاليم الخمسة الجنوبية وبدأ بالتوسع نحو الشمال ، ثم بدأ الطيبيون بمهاجمة الاقليم السادس "اقليم إيتي – بثني" والاقليم السابع عشر والثامن عشر

(الحيبة)[11] حيث توجد جبانة " أبيدوس" مع أن الاهناسيين ظلوا على قوتهم ولاسيما مع بقـــاء تحالفهم مع أمراء أسيوط حتى تمكن " انتف الثاني" خلال ذلك من ضم اقليم "بثني" ، فأصـــبح تحت حكمه ستة أقاليم من الصعيد شملها بأحسن ادارة.

ولما مات " انتف الثاني " خلفه ابنه " انتف الثالث " على العرش الا أنه لم يحكـــم الا لمدة خمسة أعوام تلاه بعدها ابنه " منتحوتب الأول " الذي دام حكمه ثماني عشرة سنة ، أعقبه بعدها " منتحوتب الثاني " الذي يعد من أقوى وأهم ملوك هذه الأسرة ؛ الذي سقطت اهناســيا على يده .

[11] - الحيبة 𓄡𓅓𓏏𓊪 ḥr-bnw حربنو الإقليم الثامن عشر من أقاليم مصر العليا يقع بين الإقليم السابع عشر (إقليم أنبو قسم القيس محافظة المنيا) والإقليم الثانى والعشرون ( إقليم حنت أطفيح ورمزه السكين إشارة إلى أنه يفصل الوجهين القبلى والبحرى) تبعد الحيبة ٥ كيلو مترات جنوب مدينة الفشن عبر النهر بمحافظة بنى سويف. وعرفت باسم سيبيا Sepa ومعبودها حورس فى شكل الصقر وعرفت فى العصر البطلمى والرومانى باسم Ancyronopolisوالعصر القبطى باسم Toyx للمزيد راجع أمين محمود عبد الله ، المرجع السابق ، ص ١١١،١١٢، ١١٧.

أو "منخبيرير" وقد ذُكر بهذه الصيغة فى بعض المراجع العربية .

- Hendrickx.Stan., Elkab , Vol.5, 1994, Bruxelles, P.173.

اعلن " منتحوتب الثاني " نفسه ملكاً على مصر كلها ، فكان أول ملك من ملوك طيبة يصبح في الواقع ملك على الوجهين ، متخذاً من طيبة عاصمة للبلاد الموحدة لأول مرة ، وعُدَّ عهده الذي دام ستة وأربعين عاماً بداية للدولة الوسطى. فقد نجح خلال سنوات حكمه من احلال النظام في الجنوب ، وحاول الحد من سلطات بعض حكام الأقاليم فيما اكتفى بالزام القدماء منهم بالطاعة ، ودفع الجزية ، وحسن الولاء.

**الملك منتوحتب الاول**

وبذل " منتوحتب الثاني " جهوداً كبيرة ، لإخضاع كل من عارضه ، فحارب في الدلتا، وحارب البدو في شرق البلاد ، وغربها ، وأخضع المنطقة الواقعة جنوب الفنتين ، لذا بدأت طيبة في عهده عهداً جديداً من تاريخها لاسيما بعد توجيهه كثيراً من أموال الضرائب الوفيرة؛ لتجميلها وانشاء المعابد فيها ليكون انتصاره على اعدائه وتوحيده مصر كلها تحت سلطانه بداية حقيقية لعصر جديد اخذت فيه مصر تنهض من كبوتها، ثم أتبع ذلك بارساله الحملات الى مناطق المناجم وأبرز تلك المناطق وادي "الحمامات " وبلاد " بونت" ، إلاَّ انه لم يطل به الزمن فقد مات تاركاً عرشه لولده "منتوحتب الثالث (سعنخ كارع) الذي واصل سياسة أبيه في

تعمير البلاد وانشاء المعابد وترميم معبد حقا ايب والسيطرة تماما على ابيدوس مركز الثورات ومحاربة المجاعة وتقدمت في عهده الفنون لاسيما فن النقش في الوقت نفسه الذي أهتم فيه بالمحاجر والمناجم خلال عهده الذي دام أثنى عشر عاماً فقط ، وخلفه " كارع انتف " والملك " ايبي خنت اب رع " و"حورس جرج تاوي ان " والملك " وازكارع سجر سني " خلال مدة مضطربة قاربت خمس سنوات.

أما أخر ملوك الأسرة الحادية عشرة فهو " منوحتب الرابع " الذي ساءت الأمور في عهده في مصر السفلى وبدأت القبائل بأعمال السلب والنهب المتكررة في مناطق الحدود الشرقية للبلاد فيما استغلت قبائل اخرى جاءت من الصحراء الليبية الوضع ، فحدثت اضطرابات كثيرة ، واصبح الموقف العام في الشمال صعباً للغاية ، فيما كان حال البلاد على هذا الوصف توفي "منتوحتب الرابع" دون وريث للعرش ، فاستولى وزيره "امنمحات " على العرش ليضع نهاية لعهد الأسرة الحادية عشرة ، وبداية في الوقت نفسه لعهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٠-١٨٠٠ق.م) وملوكها:

- **امنمحات الاول (٢٩سنة)**
- **سنوسرت الاول ٣٣ سنة**
- **امنمحات الثانى ٤٢ سنة**
- **سنوسرت الثانى ١٧ سنة**
- **امنمحات الثالث ٤٥ سنة**
- **امنمحات الرابع ٧ سنوات**
- **سبك نفرو ٥ سنوات**

بدأت الأسرة الثانية عشرة بـــ "امنمحات الأول " ، الذي اتخذ عاصمة جديدة لحكمـــه بالقرب من " منف " سماها " اثت تاوي " واهتم بالجنوب ، وشيد الحصون ، واهتم بالحـــدود الشرقية والغربية للبلاد ، وأقام فيها التحصينات المناسبة ، ثم حاول تنظيم الأمـــور الداخليـــة للبلاد.

فقد كان الزعماء الاقطاعيون مهتمون جداً بتقوية نفوذهم ومراكزهم ، مـــع تواصـــل سعيهم ومحاولاتهم توسيع حدود مقاطعاتهم في هذا العصر ، لذا كانت وراثة الأبناء لأقـــاليم

أبائهم امراً مقيداً بموافقته الشخصية الا ان ذلك لم يؤد بطبيعة الحال الى اخضاع امراء الأقاليم تماماً ولاسيما بعد أن ازدادت شوكتهم قوة ، اذ تولى " إمنمحات الأول " الحكم في وسط عاصفة من التذمر والتنافس الشديد على العرش الى الدرجة التي افصح عندها مجموعة من أمراء الأقاليم عن رغبتهم باستعادة استقلالهم الداخلي ، وانفرادهم بحكم مقاطعاتهم وهو ما جعل الفرعون يواجه عنادهم هذا بقسوة ، فشن عليهم حرباً انتهت بإبقائه من والاه على منصبه ، بعد أن عين الحدود بينهم وبين جيرانهم .

واقام "امنمحات الأول" علاقات دبلوماسية مع بعض أمراء " سوريا " في جهود استهدفت تقوية حكمه ، فيما لم ينس طيبة واعلاء شأن " أمون " ، واقامة المعابد له فيها فقد حل " أمون " ، و" أوزريس " محل "فتاح " ممفيس و " رع " الذي دانت به الأسرات الإولَ.

ولما كان " امنمحات الأول " يريد الاطمئنان على عرشه من بعده وجرياً على عادة ملوك الأسرة الثانية عشرة حينما اشركوا اولادهم معهم في الحكم ؛ للتمرس عليه ، وتمكينهم منه ، وتوطيد حقهم فيه من جهة ، وخشية " امنمحات الأول " من الاطماع والمنافسات على عرشه من جهة اخرى ، اعلن شريكاً له في الملك مع بقاء النفوذ الأكبر بيده رغم تكليفه لابنه " سنوسرت " بقيادة بعض الحملات الحربية ؛ ليتعرف على بلاده ، ويوطد نفوذ مصر على حدودها .

ولم يمت "امنمحات الأول" ميتة طبيعية ، بل أنه قتل غيلة بعد أن دبر له أفراد حاشيته في غياب ولده مؤامرة أودت بحياته ، فتقلد أبنه " سنوسرت الأول " الحكم من بعده، الذي تابع سياسة أبيه ، فثبت أقدامه في مصر والبلاد المجاورة وتوسع جنوباً ، وأهتم باستغلال مناجم الصحراء .

ومن أهم حملاته تلك التي قام بها على بلاد " كوش " وراء الشلال الثاني وهي المرة الأولى التي يرافق فيها ملك مصري حمله حربية بنفسه ، وبعد انتصاراته التي حققها ترك فيها حاكماً ، وجعل مقره قلعة " كمه " ، ثم اتجهت أنظاره بعد ذلك الى الواحات ، فنظمها وعين عليها حاكماً وشملت عنايته منطقة الفيوم ايضاً.

ثم عهد " سنوسرت الأول " إلى سياسة اشراك الأبناء في الملك حينما اشرك في أواخر أيامه ابنه " امنمحات الثاني " الذي تولى العرش من بعده إلاَّ أنَّ " امنمحات الثاني" لم يكن نشطاً كسلفيه في المجالين الحربي والمعماري . فقد كانت الحالة الداخلية للبلاد مستقرة بفضل

جهود من سبقوه وكانت له صلات ودية مع الدول المجاورة ، وكذلك كان الحال مع خلفه "سنوسرت الثاني" في ميداني السياسة الداخلية والخارجية ، فقد اهتم بمشاريع الري وبالذات في الفيوم من جهة ، وحافظ على العلاقات الودية للبلاد مع الدول الآسيوية من جهة أخرى.

إلا أن ذلك لم يكن يعني هدوء الحدود جميعاً ، فقد ثارت القبائل الزنجية الأصل التي سبق أن غزاها " سنوسرت الأول " ، ورفضت طاعة مصر ، واحتلت كل أراضي جنوب الشلال الأول وبدأت تهدد بغزو حدود مصر الجنوبية.

ولما توفي " سنوسرت الثاني" ، تولى العرش " سنوسرت الثالث" الذي يعد أكبر فراعنة مصر ، وقد دام حكمه ثمانية وثلاثين عاما ، وتركزت أعماله على أمرين : أحدهما قضاؤه التام على نفوذ حكام الاقاليم . والثاني أعماله الحربية سواءً في فلسطين ، أو جنوب الوادي ، وما قام به من حروب ضد القبائل التي اغارت عليه ، وتشييده كثيراً من الحصون الحربية في تلك المنطقة . فقد وجه لحكام الأقاليم ضربة جردتهم من مزاياهم ، وخلعت عنهم القابهم التقليدية التي كانوا يورثونها لأبنائهم فلم يصبحوا بعد ذلك الحين إلاَّ مواطنين عاديين كغيرهم.

**راس الملك سنوسرت الثالث**

أما في الإطار الحربي فقد سعى الى المحافظة على النفوذ المصري في النوبة ، وأقام التحصينات القوية واضعاً نهاية للتهديد الذي تعرضت له البلاد من الجنوب من غزو زنجي ، ثم أرسل أربع حملات ضد هذه القبائل ، وشيد الحصون على الحدود الجنوبية ، وحارب في الشمال وفي فلسطين ، ووصل إلى سوريا فزادت سيطرة مصر في عهده على فلسطين وسوريا نتيجة لذلك.

وفي أواخر أيام " سنوسرت الثالث " أشرك معه ابنه " امنمحات الثالث " في شؤون الملك . ولما مات " سنوسرت الثالث " تولى " امنمحات الثالث " العرش ، وطال عهده وفيه جنى ثمار حروب أبيه واصلاحاته ، فأنصرف الى أعمال الانشاء والري . وورث " امنمحات الثالث " بلاد غنية مطمئنة ؛ لذا لم يواجه من الصعاب ما يشحذ به همته على الرغم من أنه أرسل البعثات ؛ لاستخراج المعادن الثمينة والمفيدة ، فبلغت عشرين بعثة خلال عهده الذي دام تسعة وأربعين عاماً.

وقد أعقبه على العرش " امنمحات الرابع " لمدة تسعة أعوام كان فيها ضعيف الشخصية ، ولم يشارك خلالها بأية حملة حربية ، فانصرف إلى حياة هادئة لم يترك بعدها ولداً يرثه ، فأعقبته الأميرة " سبك نفر " بنت " امنمحات الثالث " على العرش ؛ والتي حكمت أقل من ثلاث سنوات، اضطربت خلالها أحوال الأسرة ، وضعفت نتيجة التنافس داخل الأسرة الحاكمة والثورات التي قامت في الجنوب وفي آسيا فضلاً عن تنامي دور الموظفين الذين عينوا في الأقاليم ؛ لمنافسة حكامها في سلطتهم . فقضى هؤلاء الموظفون على كل ما كان من سلطة لحكام الأقاليم ومع مرور الزمن وضعف الملوك ضعفت امكانيتهم على السيطرة على أولئك الموظفين او على الجيش ؛ مما أدى الى انهيار الدولة الوسطى . يضاف الى ذلك الاضطراب الحاصل في الولايات جراء هجرات الشعوب الهندوأوربية الى وادي الرافدين وسوريا. ويعود الى الدولة الوسطى وضع اللبنة الاولى والمخطط الاول لمعبد الاقصر كما هو بالشكل

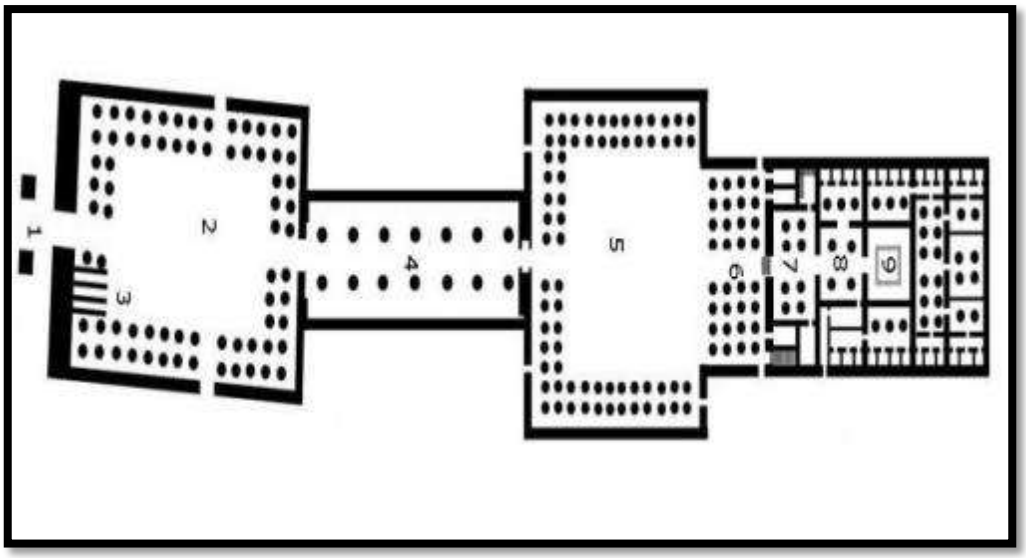


**مخطط معبد الأقصر– الدولة الوسطى**

**الملكة سوبك نفرو (١٧٨٩-١٧٨٦ق.م)**

من أشهر الملكات اللاتي تربعن عرش مصر (١٧٨٢ق.م)، وهي ابنة الملك أمنمحات الثالث (١٧٩٧-١٧٨٣ق.م) من الأسرة الثانية عشرة، ورد اسمها في قوائم الكرنك وسقارة، وتعد ثاني ملكة في تاريخ مصر عندما جعلت من نفسها ملكة مصر العليا والسفلى في نهاية عصر الدولة الوسطى، وشاركت أباها أمنمحات الثالث في الحكم، ثم انفردت بالعرش بعد موته وموت أخيها أمنمحات الرابع (١٧٩٨-١٧٩٠ق.م) ، لأنه لم يترك وريثا للعرش فتوجت ملكة على البلاد، وكانت تلبس التاج المزدوج (مصر العليا ومصر السفلى)، وتقوم بجميع الوظائف الملكية في الحفلات الدينية والشعبية، وتحمل بعض ألقاب الملوك كـــ(ابنة الشمس).

وأما الآثار التي تركتها هذه الملكة فهي قليلة، لان مدة حكمها كانت قصيرة، ومن أهم الآثار التي عثر عليها، اسطوانة محفوظة في المتحف البريطاني، دونت عليها ألقابها جميعا فضلا عن بعض القطع الأخرى ومنها دمية على هيئة أبي الهول، لقد كان لهذه الملكة منجزات معمارية، فضلا عن ترميمها وإضافتها لمبانٍ أخرى، كما ورد في بردية تورينو أنها حكمت ثلاث سنوات وأربعة شهور وأربعة وعشرين يوما.

حصن ملوك الأسرة الثانية عشرة مصر وأرضها ووسعوا حدودها جنوبا فعرفت، مصر عصرا من الازدهار قلما يتكرر في تاريخ الأمم. وتتلخص مظاهر هذا الازدهار وإنجازات ملوك الأسرة في النقاط التالية:

١- أنشأ "أمنمحات" الأول عاصمة جديدة أطلق عليها اسم "إيثت تاوي" أي القابضة على الأرضين وتقع على الأرجح، جنوب منف، قرب منطقة اللشت بالفيوم.

٢- حصن "أمنمحات" الأول وخلفاؤه حدود مصر الشرقية والشمالية الشرقية وشيد "حائط الأمير"- على أغلب الظن تل الحبوة الآن- لصد هجمات الآسيويين ومنع تسللهم إلي الدلتا.

٣- قام "أمنمحات" الأول ببعض النشاط الحربي ضد البدو في غرب الدلتا وفي عمق فلسطين حيث تقدم جيش مصري بقيادة الضابط "سبك خو" إلي هناك حتى بلغ مدينة "سكم".

٤- حصن خلفاء "أمنمحات" الأول حدود مصر الغربية وشنوا الحملات التأديبية.

٥- قام "سنوسرت" الأول والثالث ببناء الحصون في كوبان بالنوبة لحماية مناجم الذهب بوادي العلاقي بالنوبة.

٦- وبرز في النوبة دور الملك "سنوسرت" الثالث فوسع حدود مصر الجنوبية واستولي على ٥١ كم جنوب وادي حلفا وأقام حوالي أربعة عشرة حصنا أهمها حصني سمنة وقمة. وكان كل حصن منها يمثل مدينة صغيرة وبداخلها معبد، فأخضع النوبة تماما لسلطانه وقضي على الفتن والشغب في أربع حملات ناجحة.

كما تميزت هذه الفترة بـــ:

١-نشاط معماري كبير، واستغلال واسع للمحاجر والمناجم.

٢-نشاط تجاري مع فلسطين وسوريا وبابل وجزر بحر إيجة وكريت والنوبة والسودان وبلاد بونت.

٣-الانتفاع بمنخفض الفيوم وتوسيع الرقعة الزراعية باستصلاح آلاف من الأفدنة إلي جانب إقامة السدود لتخزين المياه والفيضان للانتفاع بها في زمن القحط والتحاريق.

٤- الاستقرار في الحكم وقوة السلطة المركزية أي سلطة الملك مما كان له أثر على الأدب والفن فازدهرا ازدهارا كبيرا [١٢].

## التطور الفكرى منذ الدولة الوسطى حتى نهاية الدولة الحديثة

لقد تمت صياغة المعتقدات المصرية القديمة عن الحياة الأخرى في بداية عهد الدولة الوسطى . ولم تطرأ عليها تغيراتٌ هامة في عهد الدولة الحديثة على الرغم من اهتمام المصريين ومحاولاتهم لتغيير وتعديل عقائدهم ، وعنايتهم بأمر يوم الحشر ، وهو ما تؤشره نصوص ما قبل التاريخ مروراً بالدولة القديمة ووصولاً إلى أواخر الأسرة الخامسة فقد أشارت تلك النصوص تزويدهم لموتاهم بزاد الآخرة والحياة المستقبلية ، والقرابين ، والأوقاف على المقابر.

وأدى الاعتقاد المبكر بأنَّ الموتى يحيون في القبور ، أو على مقربة منها ، الى ايمانهم بوجوب تهيئة الضروريات للميت في حياته الأخرى.

وعليه يمكننا القول بأنَّ المصريين القدماء قد أمنوا على الدوام بالخلود . على الرغم من عدم وجود أية كلمة لديهم تفيد بمعنى الخلود في لغتهم فكلمة الحياة نفسها كانت تستعمل لكل من الحياة على الأرض ، والحياة بعد الموت .

فهم إذن يعتقدون بأنَّ الانسان يحيى بعد الموت حياة أخرى تماثل الحياة الدنيا في جميع أحوالها ، دون تغير في الشكل فيبقى الرجل والمرأة ، والشيخ ، والطفل في الحياة الأخرى كما كانوا في الحياة الدنيا ، وموطنهم الجبانة . اما منزلهم فهو القبر . واعتقدوا أن المتوفى في هذا العالم الأخر على وفق هذا الوصف ، يسيطر على زوجته وأولاده ، ويحتفظ بخدمه من الذكور والاناث وهو

---

[١٢]- زكيه يوسف طبوزادة : تاريخ مصر القديم من أفول الدولة الوسطي إلي نهاية الأسرات ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص٣-٤.

يحتاج في حياته الأخرى كلَّ ما يمكن أن يجلب له الفرح والسرور اللـذين كانـا يتمتع بهما في دنياه.

طبقاً لذلك فقد وضع المصريون القدماء في قبورهم تماثيل على هيئات قوية مستبشرة، لم يمثلوا فيها عيوب البدن ، فالعاهات في تلك التماثيـل نـادرة ؛ لأنَّ عقيدة البعث التي آمن بها المصريون بشرتهم بأنّهم يبعثون وهم أصحاء من كـل مرض وعيب ، فصنعوا تماثيلهم على وفق تلك الصورة الصحيحة القوية المعافاة.

والخلود هنا لا يقتصر على الفراعنة فقط ، بل إنه يشمل عامة أفراد الشعب المصري القديم . لذا أصبح من أهم مهام الإنسان في حياته تجهيز منزله الأبـدي الذي ينعم فيه بالخلود مما نجم عن ذلك تطور عمـارة المقـابر المصـرية منـذ العصور التاريخية تطوراً كبيراً .

فعقيدة خلود الروح قديمة في مصر ؛ لأن نقوش الأسـرة الثانيـة عشـرة احتوت اقتباسات من طقوس الموتى القديمة جداً ، فقد شكل خلود الروح والاعتقاد بالحياة الأخرى نقطتين اساسيتين في الديانة المصرية القديمة.

فكان من الضروري للمتوفى قبل كل شـئ أن يأكـل ويشـرب ، فحياتـه الأخرى متوقفة على ذلك كما توقفت حياته الأولى على تلـك الأمـور الأساسـية لاستمرار الحياة والتي يعاني من دونها من ألم الجوع ، وحرقة العطش ، من جهة أخرى فإنَّ الميت كان بحاجة إلى أن يقدم له أهله كل ما يحتاجه بعد دفنـه . أمـا بالنسبة للمتوفين الميسورين فأنّهم كانوا قبل وفاتهم يكلفون الكهنة بتقديم القـرابين اللازمة لهم ، أو أنْ يقوم أهل المتوفى بتكليف الكهنة بذلك .

ومن الأدلة على وجود مثل هذه العقائد في العصور التاريخية المبكرة ، مـا اكتشف من أثار احتوتها مقابر تلك العصور ، كالطعام والأدوات الأخـرى التـي

زود بها الأموات اعتقاداً منهم بإن الحياة تمتد بعد الموت تحت ظـــروف شـــبيهة للغاية بتلك التي انقضت على الارض .

فيتم وضع الطعام والمؤن الضرورية مع الميت في يوم دفنه ، فضلاً عـــن تقديم الامدادات الطازجة له مما يجلب بواسطة ذويهم بعد حين. فقد رســـخ فـــي قلوب المصريين قديماً أن الموت ليس النهاية الحقيقية لكل شيء ، بل إن الانســـان سوف يستمر في الحياة تماماً كما كان يحياها على الأرض إذا ما تم تأمين الشروط الضرورية لذلك الوجود الثاني ، لاسيما توفير الغذاء والشـــراب اللـــذين يعـــدان حاجتان ماستان ومهمتان للمتوفى في قبره.

ولما كان كل ما يقدم من الطعام للموتى غير كاف ؛ فان المصريين عمـــدوا منذ عهد الدولة القديمة إلى تغطية جدران القبور والأكفان بـــالنقوش الســـحرية ؛ لتلبية واشباع كل الحاجات المادية للمتوفى الغني والفقير إلى جانب صلوات الكهنة عند القبور وهذا ما يبقي الميت حياً كما يعتقدون . ومع تقدم الزمن تعددت المـــواد التي توضع مع الملك ، ومنها: الملابس وأدوات الزينة ، والأسلحة التـــي ترافـــق الميت لحمايته من أعدائه .

فقد توجب على الميت الحذر من ان ينقض عليـــه أعـــداؤه المـــؤذون مـــن الأفاعي السامة، والعقارب ، والتماسيح وهذا ما اســـتلزم تســـلحه بالاســـلحة ، أو بالتعاويذ السحرية التي تعينه لرد شر هؤلاء الأعداء .

وقد اعتقد المصريون القدماء أيضاً أنَّ بقاء الميت حي وسعيد فـــي العـــالم الآخر متوقف على معرفته بالرقى ، والتعاويذ السحرية ، وكيفية تطبيقـــها. إذ إن امتلاك الميت ومعرفته للتعاويذ السحرية يعدان وسيلتان هامتان ؛ لإحـــراز القـــوة والنشاط بعد الموت ، وهو ما يبدو طبيعياً حسب ما أوردتـــه نصـــوص الأهـــرام

بالنسبة للملك الذي يرتفع فوق البشر جميعاً بصفته الهاً أما مـــا يخـــص الأفـــراد أنفسهم فإن مفهوماً اكثر تبلوراً قد تطور تدريجياً ، وأصبح منافساً للمفاهيم التـــي تعتمد فقط على قوة السحر ، يقضي بان سعادتهم في العالم الآخر هي الجائزة التي يحصلون عليها بشرط سلوكهم سلوكاً فاضلاً ومستقيماً على الأرض.

فقد حاول المصريون كغيرهم من الأمم القديمة فهم أسرار الموت ، وخباياه الغامضة، لاسيما أن الإنسان حينما يموت يفقد احباءه ، وزوجته ، واخوانه ؛ لـــذا كان الاسلوب الوحيد الذي يطرح نفسه أمامهم هو أن روح الإنسان تبقـــى خالـــدة بالبعث وبالتالي فان ذلك يمكن أن يقتل الاحساس بالنفور مـــن المـــوت. فاعتقـــد المصريون بالحياة المتجددة التي سيحيونها في منطقة ما غير معروفة لهم لكنهـــا تشابه الحياة التي عاشوها على الأرض.

ونتيجةً لتقديس المصريين للشمس ، التي تشرق صباحاً ، وتسطع نهـــاراً ، وتختفي مساءاً ، في الغرب ، الذي تخيلوه مدخلاً إلى مملكة المـــوتى فـــي حالـــة اختفاء ظاهري مؤقت لأنها تظهر مرة أخرى في صباح اليوم التالي وبذلك شـــكل المصريون اعتقادهم بأن الحياة الإنسانية تتماثل مـــع المســـار اليـــومي للشـــمس فالإنسان يولد كما تولد الشمس في الصباح ، ويعيش حياته الأرضية ، ثم يمـــوت مثلها، ثم يواصل الإنسان الحياة بعد الموت في عالم خارج نطاق حواسه، ويبعـــث مرة أخرى الى حياة أخرى .

وعليه نلاحظ ان المصريين قد آمنوا بامكانية نهوض الميت من موته بعـــد أن يتم توفير مستلزمات ذلك ، مـــن أداء للصـــلوات والشـــعائر ، والنصـــوص ، والتمائم ، والصيغ السحرية. فضلاً عن ذلك فإنَّ هناك اعتقادات لدى المصـــريين التي تقضي بضرورة وجود بعض الرقي التي تحمي الميت من أن يطويه النسيان كان عنوانها : " ضد الفناء في عالم الموتى " أو "لتجنب الموت الثاني ".

أما معتقدات المصريين بخصوص مصير الروح فانها متضاربة ، فمنهم من يرى أنّها ترقى إلى السماء ، وتستقل قارب الإله " رع " ومنهم من يرى أنها تحيا في عالم الموتى مع " أوزيريس " لكنهم على الرغم من ذلك آمنوا بأنها تبقى حية بعد موت الجسم الطبيعي. واعتقد المصريون القدماء أنَّ للإنسان سبعة عناصر ومقومات هي : " خت " ، وهو : الجسم المادي ، و" اب " أي : القلب المدرك ، و" كا " أي : النفس الفاعلة ، وهناك " البا " ، وهي: الروح التي تسري في الباطن والظاهر ، و" آخ " أي : النورانية التي تتكشف في الآخرة ، و"شوت " أي : الظل الملازم ، و" رن " وهو : الاسم الشخصي أو السمعة، مع أنهم كانوا يرون أنَّ دوام شخصية الإنسان يعود الى الجسد وليس للنفس ، أو البا ، أو الروح ؛ لأن النفس نفحة من الروح العلوي الناتج من جوهر الإله وهي ليست مخصصة لواحد فهي لا تحمل ذاتية الإنسان وعليه فان كل مراسيم الموتى تقام " للكا " وحدها ، ولاجلها تقام التماثيل، ويحنط الجسد ، وتنقش التعاويذ ، وترفق التمائم.

واعتقدوا بأنّ الروح تغادر الجسد لحظة الموت ، ثم تطير متخذة صورة طائر ، ويمكن لهذه الصورة أنْ تتغير حسب الشكل الذي تحب الروح أن تتخذ ويبدو أن الصورة المألوفة للروح لدى المصريين ، كانت هي صورة مالك الحزين . أما في العصور المتأخرة فظهرت بصورة طائر له رأس انسان ، وفيه ملامح المتوفى.

واعتقد قدماء المصريين بأنَّ الميت يمكن أنْ يغادر قبره نهاراً ، وبالتالي فإنَّه يتخذ أية صورة يريدها ؛ شرط ذلك هو أن يعرف التعويذة السحرية الملائمة للصورة التي يختارها، فكان يمكنه ان يتحول الى بجعة أو كبش أو تمساح ، أو على هيئة زهرة ، أو غيرها ، بمجرد تلاوة التعويذة السحرية الملائمة .

وتسمى تلك التعاويذ " تعاويذ الخروج نهاراً " . فالعالم السفلي كما يعتقد المصريون القدماء مليء بالفخاخ والمخاطر التي يمكن للروح اجتنابها لو علمت ما يجب عليها اتباعه من اجراءات ، وتلاوة ما يناسب من القراءات . والحال هنا في تعدد الأشكال التي يمكن أن تتخذها الروح يختلف عما هو سائد في عقائد الهنود البرهمية الخاصة بتناسخ الأرواح .

اما المنفذ الذي يستطيع المتوفى الاتصال من خلاله بالعالم الخارجي كما يرى المصريون القدماء ، هو : الباب الوهمي الذي كان في الأساس عبارة عن فجوة في جدار المقبرة ثم تطور الى رسم باب يسمح للمتوفى بالدخول والخروج من المنزل الأبدي أي المقبرة إلى العالم الخارجي .

واعتقد المصريون أيضاً أنَّ الروح يمكن أن تعاون المتوفى في التحدث مع الإله العظيم " رع " أو تقديم المتوفى له وأن لها امكانية البحث عن المؤن ، واحضارها للمتوفى ؛ كي يأكلا معاً .

فالروح لديهم ينبغي أن لا تبقى بعيدة عن جسد صاحبها بعد الموت في الوقت الذي يتوجب تركها حرة لتعود الى مجرة المتوفى ، وتبقى مع جسده ، لاسيما أثناء الليل حيث تحوم الشياطين حول الجبانات فتقوم " الكا " بحراسة ذلك الجسد بعد الموت كما رافقته منذ ولادته، وحتى مماته.

وحينما يموت الإنسان يرقد جسده في القبر ، فيما تذهب " البا " الى العالم الاخر؛ لترتبط با " لكا " التي تقترن باسم الكاهن الجنزي ، فهو يسمى خادم " الكا " فضلاً عن وجود طائفة خاصة من الخدم ، هم : (خدام الكا) الذين كان عليهم تموين موائد القرابين يومياً أو دورياً بألوان الطعام ، وتسكب عليها حاجتهم من الماء.

واعتقد المصريون بصعود المتوفى الى السماء ، فتخيلوا الميت على هيئة طائر ، أو جندب سابح في الاثير في السماوات العلى أحياناً ، أو تصوروه صاعداً على سلم كبير نصب في الغرب كأنه عمود موصل بين السماوات والأرض ، تحرسه الآلهة ليلاً ونهاراً . غير أنه لم يكن في استطاعة أي فرد أن يضع قدمه على هذا السلم ما لم يعلم التعويذة السحرية الخاصة به ، والتي يتوجب عليه تلاوتها قبل شروعه بالصعود.

وقد صورت النقوش منذ أيام الأسرتين الخامسة والسادسة مصير الملك بعد الموت، الذي تصعد روحه إلى السماء التي تجسدها الآلهة " نوت " وتظهر النجوم على جسدها ليلاً فنوت كانت هي الواحدة ذات الألف روح ، وهذه النجوم التي لا حصر لها لا تعود للملوك الموتى فقط بل انطوت على الموتى الاخرين أيضاً.

وقد برر المصريون هذا الاقتران بين الموتى والنجوم بأمرين ، الأول أنهم اعتقدوا بأن الموتى الذين لم يرضوا بان يكون مقرهم تحت الارض صاروا نجوماً في السماء. وان الملوك يتحولون الى النجوم القطبية التي تعد رمزاً للديمومة ؛ لأنها لا تأفل أبداً في سماء مصر.

أما الاتجاه الاخر : الذي يبرر ذلك الاقتران ، فيذهب إلى أنَّ هذه النجوم ذات العدد اللامتناهي المنتشرة في السماء ما هي الا موتى وأرواح سعيدة ، وجدت طريقها إلى السماء فظلت في سناء دائم الى جانب الآلهة .

فعملية الصعود المارة الذكر على السلم لا تسلم حسب الاعتقادات المصرية القديمة من الأخطار اذ قد تزل قدم الميت فيهوي الى الحضيض إلاَّ إذا أخذت بيده آلهة رحيمة في وقت الخطر ، فترفعه الى أعلى ، وعندما يصل المتوفى نهاية السلم تفتح له أبواب السماء العظيمة، فيدخل العالم العلوي وهو لا يختلف عن العالم الدنيوي الذي فارقه ، فهو يرى وادياً منبسطاً مستطيلاً ، يخترقه نهر عريض ،

تتفرع منه ترع عدة وبحيرات ، يتطهر بمائها ، ويجتازها بزوارق ، يطلب صاحبها ليحمله بها بواسطة تعويذة تشمل اسمه السري .

ومما أمن به المصريون القدماء ، وجود طرق أخرى للصعود الى السماء ، منها : أن يصعد الملك قابضاً على ذيل البقرة السماوية ، أو محلقاً إلى السماء كطائر ، أو محمولاً إليها على دخان البخور المحترق ، أو على عاصفة رملية .

وقد ذكرت نصوص الأهرام بعض تلك الطرق فضلاً عن طرق أخرى، منها: الصعود على أشعة الشمس ، أو على ظهر سحابة . كما ذكرت تلك النصوص أنَّ الآلهة كانت توفر بعض العون خلال عملية الصعود إلى السماء بعدها المستقر الفعلي للميت.

فالموتى يقطنون في مقرين رئيسين في السماء ، هما : حقل القربان ، وحقل البردي بصفة ملائكة النور ، ويعدهم الناس مخلوقات أرفع منهم درجة أي كانصاف آلهة ، أما الفرعون المتوفى فكان لا يزال ذا مكانة عظيمة في عالم الموتى ؛ لأنَّه بعد مماته يصير ملكاً مرة أخرى وتحني الآلهة نفسها الرؤوس اجلالاً ، واحتراماً لهُ . وكان يجلس على عرش المُلك، ويتسلم الصولجان والسيف ؛ رمزاً لما له من الجلالة والشرف.

وقد عد الملوك آلهة وهم أحياء على الارض ؛ لأنهم متصلون بـ " الكا " منذ ولادتهم. ولأن الملك يعد ابن " لرع " إله الشمس ، لذا فإنَّه يلتحق به بعد وفاته ، ويرافقه في مركبه المقدس خلال رحلته اليومية عبر الأفق.

أما عامة الناس فانهم لم يعدوا انفسهم ابناءاً " لرع " بل أمنوا بأنهم من خلقه ، لذا فإنهم سرعان ما اقتبسوا مصير الملك نفسهالذي يكتسب من الاتحاد " برع " الخلود ، ومساواته بالرب الخالد ، ورئاسة الآلهة ، والقوة التي تمكنه من القضاء بين المتخاصمين ، فضلاً عن الاستفادة من كرم الإله ؛ لانه يقدم له الطعام والشراب.

ونشأ عند المصريين القدماء اعتقاد بامكانية تحويل الميت إلى مادة الإله من حيث امكانية القيامة والحياة بعد الموت ، أو حتى تأليه الميت . فكان الفرعون عندهم أثناء الحياة يطابق ، ويعادل الإله " حورس " ابن " أوزيريس " ، وعند الموت يصير " اوزيريس " ، ويصبح ابن الملك الذي يعتلي العرش في مكان أبيه الإله " حورس " . ثم توسعوا في هذا الامتياز ، وجعلوه يشمل أعضاء الأسرة المالكة ، ثم صار الإتصال بأوزيريس حقاً لجميع الناس إلاَّ أنَّ الفرعون يتحد مع الآلهة في السماء ، ويصبح إلهاً مثلهم.

وأعتقدوا أيضاً أنَّ الملك يجوب السماء نهاراً مع إله الشمس الذي يتلقاه بشكل حسن، ويهيء له مكاناً في مركبه أو يتخذه كاتباً له يجلس أمامه أو إلى جانبه ويجوب الملك السماء ليلاً ولكن مع إله القمر . وفي السماء يدخل الملك حقل الأسل " يارو " حيث يزدهر الزرع، وينمو القمح والشعير الى ارتفاع سبعة أذرع ، فيجلس على عرش كبير ، وتكرمه رعيته، ويقضي بينهم على نحو ما كان يفعل على الأرض . وبهذا لا يكون دخول جنة الأسل مقصوراً على الملك وحده ، بل يدخلها أتباعه وحاشيته والأبرار من شعبه.

واذا كانت الشمس ترتحل عبر السماء نهاراً ، لتضيء أرض مصر ، ولتؤمن الأمن والاستقرار ، فإن الإله " رع " يمضي الليل عبر العالم الاسفل في رحلة تكتنفها الصعاب والمخاطر حتى يطلع فجر يوم جديد.

ولا يعني اتحاد الميت مع اوزيريس التخلي عن التعاويذ القديمة التي كانت ترتل خلال الإحتفالات الجنائزية الرامية إلى المحافظة على وجود ورفاهية الميت بقواها السحرية ، بل ان العديد من هذه التعاويذ اقتبست لاستعمالها لحساب البسطاء من الناس ، فأصبحت لدينا تعاويذ جديدة من النوعية القديمة نفسها أضيفت إلى الحصيلة السابقة لها ، غير انها لم ترتل فقط في الجنازات ، بل كان يعتقد أنَّ

من المفيد وضعها بمتناول الميت في أية لحظة عندما يحتاجها ؛ لذا كتبت أولاً على جدران التوابيت وهو ما نطلق عليه نصوص التوابيت ، ثم أصبحت تسمى كتاب الموتى منذ أيام الدولة الحديثة بعد أنْ أصبحت تكتب على أوراق البردي، وتودع مع جسد الميت.

ومن أهم المساعدات التي يمكن أن تقدمها هذه التعاويذ حسب اعتقاد المصريين القدماء هو حماية الميت من الجوع والعطش في العالم الآخر ، والقدرة على اتخاذ اشكال مختلفة، والخروج نهاراً وليلاً ؛ لتناول ما يقدم من قرابين ، وبذلك فإنها ضرورية لتحقيق القوة، والسعادة بعد الموت للمتوفى.

ومما يلاحظ على بعض العقائد المصرية في العالم الآخر أنها كانت متناقضة . ولعل ذلك يعود إلى أنَّ النصوص التي اشرت تلك العقائد قد تبلورت خلال زمن طويل ، فهي تكشف التغير في شخصية الفرعون ، وتعمل على تسجيل مروره من منزلته كملك في هذا العالم الى منزلة مساوية أو أعظم في الحياة الأخرى . وإنَّ كثرة مصادر النصوص تفسر التناقض الذي نلاحظه الآن فيها.

ومن العقائد الأخرى التي أمن بها المصريون مما يتصل بعالم ما بعد الموت ، هو : أنَّ الميت قد يصطدم مع الأفراد الذين لا يزالون في ريعان شبابهم ، فيحسد الأحياء على سعادتهم ، ويسعى إلى جذبهم الى حافة الموت ؛ ليصبحوا له خلاناً جدداً في الغرب وكان يعتقد أن نجاحه العاجل هو في المكان الذي يخيم فيه المرض ، لذلك كان ظهور الميت فيه مدعاة للخوف والفزع ، فكانت الأم المحزونة القلب تراه ينسل الى البيت بوجه متحول وهي جاثية بجانب فراش طفلها المريض ، فتخاطبه مدافعة عن ولدها ومستعملة أدوية واقية من شرور الموتى، لاسيما أن هنالك دافعاً آخر لوجود الميت بين الأحياء، هو:حب الإنتقام منهم فكان اهتمام الميت كله في هذا الشأن أنْ يصب عليهم كل أنواع المصائب وبخاصة المرض.

وآمن المصريون بإنَّ الموتى يعملون في آخرتهم في حقل البردي بزراعة الارض التي تعد احب الحرف ، ويجني هذا الفلاح " المتوفى " من عمله هذا ثمرة عظيمة تختلف اختلافاً كبيراً عما كان يجنيه في الحياة الدنيا . فالقمح ينمو على

ارتفاع سبعة اذرع ونصف ، والسنبلة وحدها تربو على ثلاثة اذرع ونصف . فكان الموتى يعدون الأرض ، ويبذرون البذور، ويحصدون المحصول ، ويخزنونه ، ثم يلهون بلعب النرد في نهاية اليوم بعد الفراغ من العمل تحت ظلال شجرة الجميز .

وعلى الرغم من الاعتقادات المصرية في امكانية حركة الروح بحرية فانهم اعتقدوا ايضاً أنها غير قادرة على معرفة صورة الميت الذي خرجت منه لذا كان قبر الميت يزود بصورة له ، كي تتعرف الروح على صاحبها ، وتستطيع زيارته بين حين وآخر.

## عصر الانتقال الثانى

في ظل هذه الأجواء بدأ عصر الفترة الثانية الذي استهلته الأسرة الثالثة عشرة بعد وفاة الملكة "سوبك". وقد انحدر ملوك هذه الأَسرة من فئتي الموظفين والجيش اللتين ساهمت تقويتهما على حساب السلطة المركزية الى سقوط الأسرة الثانية عشرة والدولة الوسطى . وبدأ عهد الفوضى في الأسرة الثالثة عشرة ( ١٧٧٢-١٦٥٠ق.م ) ، فقد سعت كل فئة الى أن يكون ملك مصر من بينها حتى اذا نجحت تصدت لها الفئة الأخرى ، وناوأت الملك حتى تسقطه، وتعين ملكاً أخر منها وهذا هو السبب في تعدد ملوك هذه الأسرة ، وفي اختلاف اسمائهم، وظهور لقب " قائد الجيش " كلقب للملك.

**أولا:** حكم الملوك الوطنيين، ويضم الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة المعاصرتين والتي حكم مصر خلالها سلسلة من الملوك المصريين الذين احتار العلماء

في إيجاد الترتيب المناسب لهم.

**ثانيا:** حكم الهكسوس وهو عصر الاحتلال والخضوع ويتضمن الأسرة الخامسة عشرة.

**ثالثا:** عصر الانتفاضة وحروب التحرير، وهو حكم المملكة الجنوبية التي

تتضمن الأسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة التي بفضل ملوكهما الأقوياء استعادت مصر كرامتها وحرية أراضيها[١٣].

في غضون ذلك تفككت أوصال مصر ، وتوزعت بين فئات مختلفة ، فقد كان هنالك بيت قوي في " طيبة " ، وثان في " قفط " ، وثالث في " أسيوط " ، ورابع في " شرق الدلتا "، وخامس في " غربها " . وما يهمنا من هذه البيوت هو ما يطلق عليه بالأسرة الثالثة عشرة التي حكمت في " منف " في الشمال وخلفت أثاراً كثيرة في " طيبة " وكان أول ملك معروف لنا فيها هو " سخم رع خوتا وي " الذي سمي باسم " " امنمحات سبك حتب ".

وقد حكم " امنمحات سبك حتب " أربعة أعوام بين الدلتا شمالاً والشلال الثاني جنوباً، تلاه بعدها " سعنخ تاوي سخم كارع " الذي استتب الأمن والسلام في عهده ، ومن ملوك هذه الأسرة " خو تاوى رع " ، و "سنفرايب " ، و " سعنخ ايب رع " و " سبك حتب الثالث " الذي تلاه على العرش الملك "نفر حتب الأول"، الذي أحيا العقيدة "الأوزيرية" لاسترضاء الشعب وارضاء عاطفة الشعور الديني لاسيما أن للإله "أوزيريس" مكانة مهمة عند الملوك بشكل خاص منذ عهد الدولة الوسطى إذ عدَّ أعظم الالهة شأناً ، ثم خلفه "سبك حتب الخامس". ثم " سبك حتب السادس " ، و "ني خع ماعت رع " الذي خلفه ملوك آخرون. والراجح حصول اضطرابات داخل البلاد في نهاية حكم الملك " ست حتب السادس " ، واغتصاب العرش على يد " واح – ايب كارع " ومع انتهاء حكم ذلك الملك تنتهي سلطة ملوك الأسرة الثالثة عشرة في المحافظة على حدود مصر الجنوبية ولم تستقر الأمور بعد ذلك ؛ فقد مرت البلاد في تلك المرحلة بحالة من الاضطرابات وكثر عدد الطامعين في العرش ، وكثر النزاع على السلطة.

---

[١٣] - زكيه يوسف طبوزادة : المرجع السابق، ص١٢.

وقد استمرت البلاد على هذا الحال حتى دخل الهكسوس[١٤] ، شرق الـــدلتا فيتضح من سيرة اخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة أَنَّ الهكسوس دخلوا مصر فـــي أواخر عهد تلك الأسرة. غير ان ذلك لا يعني أَنَّ من تقدم ذكرهم من ملوك هـــذه الأسرة الثالثة عشرة هم فقط مجمل ملوكها بل كان هنالك آخرون مـــنهم " ســـمنخ كارع " و "خع سخم رع" و"نفر حتب" و "نحسي" . اما الأسرة الرابعة عشرة فيذكر انها كانت قد بدأت مع وجود الأسرة الثالثة عشرة الا أنها استمرت مدة أطـــول ؛ لأنها كانت بعيدةً عن الهكسوس في شرق الدلتا، اذ حكمت في "سخا" الواقعة غرب الدلتا ، فيما كان شرق الدلتا خاضعاً للهكسوس الذين بدأت طلائعهم تستقر هناك . أما طيبة وجزء كبير من الصعيد فقد ظلت تحت نفوذ البيوت الحاكمة هناك ، وقد بلغ عدد ملوك هذه الأسرة اربعة وسبعين ملكاً، ومنهم " مر سخم رع ، نفر حتـــب ، ومر كاو رع سبك حتب ، وســـواح ان رع ، وسنب مـــوي ، وجـــد غخ رع ، ومنتوام ساف ، ومنخعو رع ، و حتب ايب رع ، وديدي مس الثاني".

وبينما اقامت الحكومات الوطنية حكوماتها في مصر العليا ، أقام الهكسوس ثلاث اسر هي الأسرة الخامسة عشرة والأسرة السادسة عشرة والأسرة الســـابعة

---

[١٤] - أسماهم المصريون نتيجة كرههم لهم ، وما لحق بهم من أذى في بداية غزوهم لمصر " الطاعون " و "الوباء " واسموهم " شاسو " أي " الرعاة " . اما أصل كلمة الهكسوس فيعني الملوك الرعاة ؛ لأن " هيك " تعني " ملك " و "سوس" تعني " راعي " أو ان الأخيرة هو اختصار للكلمة " خسوت " التي تعني الأجانب ويسميهم اليونانيون بالهكسوس بمعنى " الرعاة " الملوك فيما أسماهم المصريون ايضاً برعاة آسيا " مينوساتي" فقد غزت هذه القبائل سوريا وفلسطين وانشأت لها دولة ، ثم استغلت حالة الضعف والاضطراب في مصر وغزوها ، واستولت على مصر السفلى لاسيما " الدلتا " ، واقاموا فيها عاصمة لهم هناك ، للتفاصيل ينظر : احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ط٢ (دمشق :دار العربي للاعلان ، د.ت) ص ص٧٣-٧٤ . وكذلك : محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (حركات التحرير في مصر القديمة).

عشرة ، التي دام حكمها خمسة قرون مستفيدين من حالة التزعزع الحاصلة في مصر، فأخذوا يمدون نفوذهم جنوباً بعد ان دخلوا الدلتا ، فشمل نفوذهم الدلتا ثم الصعيد ، مع ان الجزء الأعلى من الصعيد قد ترك لحكام مصريين يحكمونه على أساس الولاء لهم . في غضون ذلك أساء الهكسوس معاملتهم للمصريين ، وأهانوا معبوداتهم ، فشاع الظلم والاستبداد في البلاد الواقعة تحت سيطرتهم.

ومن أبرز ملوك الهكسوس "سلاطين" الذي اتخذ من منف عاصمة له خلال عهده الذي دام تسعة عشر عاماً ، أما " ينون " فقد حكم اربعة واربعين عاماً ، وحكم " خيان " ستة وثلاثين عاماً ؛ الذي كان من القابه "ابن الشمس " و "الاله الطيب"، يضاف الى اولئك الملوك " ابوفيس " الذي حكم واحداً وستين عاماً و" يناس " الذي بلغ عهده حوالي خمسين عاماً. فيما بلغ عهد " اسيس " تسعة واربعين عاماً تقريباً ، وكان هؤلاء الملوك الستة يسعون باجتهاد الى القضاء على الشعب المصري. وبلغ عدد ملوك الأسرة السادسة عشرة اثنين وثلاثين ملكاً ؛ ممن كانوا أقل قوة من أسلافهم ملوك الأسرة الخامسة عشرة وهم وإن نجحوا في الاحتفاظ بنوع من السيطرة من الشمال الى الجنوب إلاَّ أنَّ سيطرتهم (الهكسوس) لم تكن قد شملت البلاد كلها الا لمدة قصيرة من الزمن ، وسرعان ما فقدوا السيطرة على مصر العليا ، وأَصبح سلطانهم لا يمتد إلاَّ على الدلتا وحدها ، وكان ذلك ضمن العوامل التي سهلت على المصريين مقاومتهم وطردهم ، من ناحية اخرى كان النوبيون قد استغلوا فرصة انهيار المملكة المصرية ، وبعد ملك الهكسوس عنهم وتمركزه في الدلتا ليؤسسوا لأنفسهم مملكة مستقلة في جنوب الشلال الأول فتأسست أول مملكة متحدة لدولة " كوش" .

ويبدو ان الهكسوس قد قبلوا دفع الجزية ممن والاهم من أمراء البلاد الذين ظلوا على إماراتهم عندما غزو مصر. أما الملوك الوطنيون في الأسرة السابعة عشرة فقد حاولوا مد نفوذهم ببطء نحو الجنوب متخذين من طيبة عاصمة لهم ثم

جمعوا حولهم اقاليـــم الجنوب بشكـــل تدريجي اذ تتألف الأسرة الوطنية الســـابعة عشرة من مائة وخمسين ملكاً.

**المظاهر الحضارية لمصر فى فترة إحتلال الهكسوس :-**

لم يقتصر الجهاد ضد الهكسوس على الرجال فقط وإنما ســـاهمت أيضـــا بعض النساء وكان لهن تاريخ مشرف فى تلك الفترة وهن تتى شرى أم سقننرع ، واياح حوتب زوجته وأم ولديه كامس وأحمس ، ولقد ذكرت النصوص عن تتـــى شرى أنها العالمة أو العارفة أما اياح حوتب فقد قيل عنها أنها ربة الأرض رفيعة السمعة فى كل قطر أجنبى والتى دبرت شئون مصر وجمعت صفوف الجيش .

ظلت مصر طوال فترة إحتلال الهكسوس لها محتفظة بقوميتها ولـــم تتـــأثر بطابع أو لغة أو ديانة الهكسوس ولكن هناك بعض التأثير المادى عبارة عن شيوع أنواع متواضعة من المشابك والحلى وبعض الزخارف التى نقشت على الجعارين والأختام والفخار الملون وعثر على كميات كبيرة منه فى منطقة تل اليهودية ، كما ظهرت وحدة جديدة للموازين إلى جانب إنتشار الخيول حيـــث كـــانوا أول مـــن أدخلوها إلى أرض مصر إلى جانب العربات الحربية والأسلحة المصـــنوعة مـــن البرونز وتمثلت فى الدروع والسيوف المقوسة والأقواس المركبة[١٥].

اما طرد الهكسوس وتحرير مصر منهم فانـــه يعـــود إلـــى عـــدم احتمـــال المصريين طويلاً لظلمهم . فتزعم أمراء طيبة في أواخر الأسرة السابعة عشـــرة حركة التحرير بعدما امتنع بعض الطيبين أولاً عن دفع الجزية.

ويمكن تحديد بداية حرب تحرير مصر في أيام "سقنن رع" و"كامس" الـــذي أعلن أمام مجلس مستشاريه ان الأمة المصرية يجب ان تتحد تحت قيادتـــه . ثـــم انفجرت الحرب على يديه حينما قاد جيشه ، وتقـــدم بـــه لقتـــال " الهكســـوس " ،

---

[١٥] - ثناء جمعة الرشيدى: تاريخ مصر القديمة من الدولة الوسطى الى نهاية عصر الانتقال الثالث ، ص ١٨.

فهزمهم في "هرموبوليس" ، وحرر مدينة "منف" فامتدت مملكة الجنوب الصغيرة بفضله امتداداً كبيراً نحو الشمال.

**رأس مومياء الملك "سقنن رع" موضحا عليها الجروح القاتلة**

حصل ذلك الانتصار والفتح على الرغم من تأليب الهكسوس حكام النوبة الخاضعين لسلطان "كامس" ضده واضطراره الى ترك الحرب مدة من الزمن ليردع النوبيين وهو ما تحقق له فعلاً ليعود بعد ذلك الى حربه الأساسية ضد الهكسوس ، حتى استطاع تخليص مصر الوسطى منهم إلاَّ أن العمر لم يطل به ليكمل تحرير البلاد كلها فترك ذلك لأخيه "احمس" الذي واصل جهود من سبقه فطارد الهكسوس حتى أخرجهم من عاصمة ملكهم "افارس أو – اوارس" الذين اتخذوا هذا الموضع ليسهل عليهم مراقبة املاكهم في آسيا ومصر وتعقبهم بعد انسحابهم خارج مصر حتى وصلوا فلسطين ، ثم قفل راجعاً الى طيبة متخذاً إياها عاصمة لحكمه ومؤسساً الأسرة الثامنة عشرة .

ومن الجدير بالذكر انَّ النضال ضد الهكسوس لم يكن مقتصراً على الرجال فقط من الملوك بل ساهمت بعض الملكات مثل الملكة "تتى شري " وهي ام "سقنن رع" والملكة "اياح حوتب" زوجة " سقنن رع" وام ولديه ؛ التي وصفت بأنها "ربة الارض ، وسيدة جزر البحر الأبيض " فاسمها رفع الشأن في كل قطر اجنبي ، العظيمة القديرة التي دبرت سياسة القوم، واحكمت شؤون مصر ، وجمعت صفوف جيشها ، واعادت الفارين ، ولمت شتات المهاجرين، وهدَّأت قلق الصعيد.

وقد لعبت الملكة " أحمس نفرتاري " زوجة " كامس" ثم زوجة "أحمس" دوراً مهماً في حرب التحرير، التي دامت زهاء نصف قرن، حتى عبدت فيما بعد وعدَّت وابنها "امنحوتب الأول" إلهين حارسين للجبانة ، وقدمت لهما القرابين.

وهنا تجدر الاشارة الى سيدة غظيمة كان لها دور هام وهى الملكة اياح حتب زوجة الملك سقنن رع (١٥٧١-١٥٦٩ق.م)، آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة (١٦٠٠-١٥٦٩ق.م)، في طيبة التي وقفت بجواره، وقد شاركت في التمهيد للثورة ضد الهكسوس ولمع اسمها في حوادثها، وكانت تحمل كل صفات البطولة وألقاب التشريف والتعظيم تملؤها الحماسة التي تمليها على ابنها أحمس الأول (١٥٦٩-١٥٤٥ق.م)، فشب بطلا يحب الوطن، إلا أنها فقدت ابنها أحمس وكانت تجربة قاسية ومريرة عليها، ثم فارقت الحياة ، وقد كشف عن تابوت الملكة عام ١٨٥٩م، ، ضم مجوهراتها (تحميل أسماء اثنين من أبنائها أحمس وكاموس)، ومن تلك المجوهرات أيضا حجران وسلسلة عليها اسم أحمس الأول وثلاث أساور يد وسوار للذراع عليه اسم أحمس، كما ضم كفنها بلطة من الذهب وخنجر نقش عليه اسم أحمس، ومن الممكن أن تكون هذه المجوهرات مهداة إليه، فأهداها إليها.

كذلك عثر على مجوهرات أخرى في التابوت ذاته عليها اسم كاموس، كما وجد في التابوت نموذجان لقاربين بمجاديف صنع احدهما من الذهب، بينما صنع

الآخر من الفضة، وجميع هذه الآثار معروضة في حجرة الحلي في متحف القاهرة ، وقد عاشت أباح حتب حتى بلغت الثمانين من العمر أو أكثر من ذلك ، وقد أشار نص دون على لوح عثر عليه في الكرنك إلى ما يأتي: '' **الملكة هي... ربة الأرض... رفيعة السمعة من كل قطر أجنبي، التي دبرت سياسة القوم... القديرة ... التي حكمت شؤون مصر... وجمعت صفوف جيشها، وأعادت الفارين ، ولمت شتات المهاجرين، وهدئت قلق الصعيد...الملكة أباح حتب لها الحياة...** ،، **ويذكر هذا النص إسهامها الفعال في السياسة الداخلية والخارجية للبلاد.**

## الدولة الحديثة

ويمتد عهد هذه الدولة بين الأَســرة الثامنــة عشــرة (١٥٧٠-١٣٠٥ق.م) وينتهي بالأسرة العشرين ، وياتى ترتيب ملوكها كالاتي:

١- أحمس الأول (نب بحتي رع)

٢- أمنحوتب الأول (جسر كا رع)

٣- تحوتمس الأول (عا خبر كا رع)

٤- تحوتمس الثاني (عا خبر إن رع)

٥- حتشبسوت (ماعت كا رع)

٦- تحوتمس الثالث (من خبر رع)

٧- أمنحوتب الثاني (عا خبرو رع)

٨- تحوتمس الرابع (من خبرو رع)

٩- أمنحوتب الثالث ( نب ماعت رع)

١٠- أمنحوتب الرابع ( نفر خبرو رع وع إن رع أخناتون)

١١- نفر نفرو آتون (سمنخ كا رع توت عنخ –آمون، نب خبرو رع)

١٢- أي (خبر خبرو رع)

١٣- حور (إم حب، جسر خبرو رع)

ويعد " أحمس الأول " مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ؛ الذي ناضل في ظروف قاسية – كما تقدم – لمحاربة الهكسوس ، واجلائهم عن مصر ، ثم بدأ يوجه جهوده نحو بلاد النوبة ، فاسترجع المناطق التي خسرتها مصر فيها ، مما كانت تحكمه في عصر الدولة الوسطى فضلاً عن أنه قضى على الثورات التي اندلعت داخل البلاد ، ولم ينس تنظيم الحكومة ، واصلاح ما خربته حربه ضد الهكسوس ، فنعمت البلاد في عهده بالحرية ، وأقامت مصر علاقات طيبة مع جزر البحر المتوسط وأعيد فتح المحاجر ، واستؤنف العمل لاستخراج الاحجار اللازمة لترميم المعابد وبنائها.

وكذلك توحدت مصر في عهده ؛ الذي دام خمسة وعشرين عاماً بعد طرد الهكسوس، ومطاردتهم لكي لا يجرؤا على تهديد سلامة مصر مرة أخرى وبعد ذلك اتجه الى الجنوب ليقضى على نفوذ بعض القبائل الزنجية التى كانت قد استقرت فى بلاد النوبة وتجمعت قواها فى كرما وتحالفت مع ملوك الهكسوس. ونجح احمس فى اعادة الأمن والطمأنينة هناك. حكم مصر مدة تقرب من خمسة وعشرين عاما ، امضاها فى ازالة كل الرواسب التي تركها الحكم الأجنبي لمصر زهاء أكثر من قرن من الزمان ، فوطد النظام وأصلح الأمور وعمر ما تخرب من المعابد ، وشجع الشعب على الدخول فى سلك الجندية واقام حكمة على النظم العسكرية فوجد بين المصريين اقبالا على الانخراط فى سلك الجندية التي رأى الشعب فيها متنفسا للترقي والتقدم بالجهد الشخصي وليس بحسبهم ونسبه ، فوضع بذلك الاسس الأولى لجيش اقتحم الحدود وسارع الى البلاد المتاخمة ينتقل من نصر الى نصر ويقضى على كل محاولة لاستعمار اجنبي آخر للوطن. وتدل مومياءه المحفوظة في المتحف المصري على انه مات في الاربعين. وعلى

الرغم من انه كان آخر ملوك الاسرة ١٧ إلا ان "مانيتون" وضعه على رأس الاسرة الثامنة عشر باعتبار عهده بداية جديدة بعد طرد الهكسوس من مصر.

اهتم احمس بالوراثة الشرعية للسلالة الملكية ، فظهر فى عهده للمرة الاولى لقب "الزوجة الإلهية لأمون" وكان يطلق على زوجة الملك وام اولاده التي تقوم بدور ديني مقدس فى المعبد. وعلى هذا اصبح من المفروض ان يكون ولى العهد ابن اميرة ، وهى فى نفس الوقت بنت ملك وزوجة ملك وابنة الزوجة الالهيه لأمون ، وأول من اتخذت هذا اللقب هى الملكة احمس نفرتارى اخت وزوجة الملك احمس وأم الملك امنحوتب الاول. وقد استغل احمس محجرا جديدا من محاجر طرة لاستخراج الحجر الجيرى لتشييد المعابد والمقاصير المختلفة للإلهة فى كل من هليوبوليس وأبيدوس والاقصر ، اذ عثر هناك على نص يذكر العام الثانى من حكمه ، ومن هنا نرى اهتمام احمس بتشييد المعابد لإرضاء الإلهه والقائمين على خدمتها.

لم يعثر للآن على قبره ، على ان الاعتقاد السائد انه شيد مقبرته فى منطقة دراع ابو النجا فى البر الغربى بطيبة بالقرب من اجداده ملوك الاسرة السابعة عشرة ، وقد ظلت ذكراه طيبة بعد موته بل ألهه المصريون وكان لعبادته شأن كبير فى ابيدوس.

وقد حكم عشرين عاما وسبعة اشهر طبقا لما ورد فى تاريخ "مانيتون" وقد وفق مانيتون هنا فى تحديد فترة حكم الملك اذ يذكر نص منقوش فى مقبرة أحد كبار رجال الدولة المدعو امنمحات فى طيبة انه خدم ٢١ عاما تحت حكم الملك امنحوتب الأول. وقد سجل نص وجد على ظهر بردية ايبرس الطبية ظهور نجم الشعرى اليمانية فى العام التاسع من حكم الملك امنحوتب الأول (فى اليوم التاسع من شهر الحادى عشر) وقد استطاع علماء الفلك والمتخصصون الوصول الى

تاريخ ظهور هذا النجم وهو فى رأيهم عام ١٥٣٧ ق.م ولا شك ان تحديـــد هـــذا التاريخ قد ساعد الى التوصل الى السنوات التقريبية لحكم ملوك الدولة الحديثة.

وفي جهد يستهدف متابعة سياسة والده في الحفاظ على المستعمرات المصرية في اسيا فقد خرج على رأس حملة الى سوريا ؛ وهي الجهود التي جعلت البلاد بحاجة ماسة لمدة من الراحة وهو ما حققه الملك " امنحوتب الأول " ، فاستعادت المدن حياتها العادية ، ونمت فيها الزراعة والتجارة ، وزادت الثروات في مصر. فبدأت تظهر مظاهر الترف في الحياة، ومثال ذلك : انتقال الأغنياء من المصريين بعجلات تجرها الجياد بعد ان كانوا يحملون على محفات على الاكتاف ، ونعرف من تاريخ حياة القائد المصرى احمس بن ابانا الذى نقشه على جدران مقبرته بمنطقة الكاب ، انه عاصر واشترك فى الحروب تحت قيادة كل من احمس وامنحوتب الاول وتحتمس الاول ، كما نعرف من هذه النقوش ان الملك امنحوتب قد قام بحملة عسكرية للقضاء على الثوار فى النوبة، فنعمت البلاد بالهدوء والطمأنينة فى عهده ، وأتجه امنحوتب الأول بعد ذلك الى اقامة المبانى الدينية فى طيبه من صالات للأعمدة ومقاصير للآلهة ، ولا نعرف الأسباب التى دعت المصريين الى أعتبار الملك امنحوتب الأول مؤسسا لطيبة ، بل ان الفنانين والصناع فى دير المدينة اعتبره حاميا لهم ورفعوه هو وأمه احمس نفرتارى الى مصاف الألهه والالهات ، وكانت تقدم لهما الدعوات والقربان فى المواسم ولأعياد.

لم يعثر على قبره فى وادى الملوك حتى الآن وان اعقد البعض انه فضل منطقة دراع ابو النجا فى البر الغربى فى طيبة لتكون مقرا ابديا له إلا ان القبر الذى ينسبونه اليه فى هذه المنطقة هو قبر غير منقوش وليس فيه ما يؤكد نسبة الى امنحوتب الاول. على ان اكتشاف معبد تخليد الذكرى له ولأمه بالقرب من الارض المزروعة فى غرب طيبة يؤكد ان الملك امنحوتب الاول كان اول من نفذ

اسلوبا جديدا يفصل بين المقبرة الصخرية حيث تدفن المومياء ومعبد تخليد ذكراه حيث تقام له الطقوس التى تفيده فى العالم الاخر. ولم ينجب الملك امنحوتب الاول ذرية من الذكور من زوجته الرئيسية الملكة اعح حتب ، ولكنه انجب من زوجته الثانوية ابنه تحتمس الذى استطاع ان يتولى الحكم بعد وفاة ابيه وذلك بزواجه من الوارثة الشرعية للبلاد الأميرة احمس التى كانت تنتمى اغلب الظن للعائلة المالكة .

وعلى إثر وفاة " امنحوتب الأول " وقع نزاع على وراثة العرش ولعل سبب ذلك هو عدم ترك " امنحوتب الاول " من يرث عرشه من بعده ، ولم ينتــه ذلــك النزاع إلاَّ بتولي "تحوتمس الأول" عن طريق زواجه من الأميرة " احمس " أبنــة " امنحوتب الأول" وهي صاحبة الحق في ولاية العرش فالذي يبدو أن الإنــاث لــم يكن لهن الحق في الجلوس على العرش بمفردهن ؛ لذا عمد الأميــر " تحــوتمس الأول " ؛ الذي كان ابناً " لأحمس " من زوجة ثانوية إلى الزواج منهــا ، وتــولي العرش باسم " تحوتمس الأول".

وقد حكم طبقا لما ورد فى تاريخ مانيتون اثنى عشرة سنة وتسعة اشهر ، بعد ذلك مباشرةً وجه اهتمامه نحو اصلاح حدود البلاد الجنوبية ونعرف من نقش يرجع للعام الثانى من حكمه وجد على صخرة امام جزيرة تومبوس عند الجندل الثالث ، انه قام بحملة عسكرية لتأمين الحدود الجنوبية وصلت فى عهده الى جنوبى نباتا بمسافة ٢٠٠ كم عند الجندل الرابع وذلك بعد العثور على بقايا قلعة مصرية فى كنيسة كورجوس هناك.

كما سار على رأس حملة الى الجنوب حتى وصل الى الشــلال الرابــع ، حينها بدأ النفوذ المصري يتسع حتى وصل الى أخر " دنقله " وأصبحت مدينــة " نباتا " داخل حدوده وامتد النفوذ المصــري جنوبــاً حتــى وصــل الــى قبيــل

الخرطـــوم مع تعيين حاكم على هذه المملكة الجنـــوبية التي امتدت من مدينـــة – الكاب – حتى حدود مملكة السودان.

من جهة اخرى جرد "تحوتمس" حملة على الليبيين بعد أن أغاروا على حدود مصر الغربية ، فهزمهم وشتتهم في الصحراء ، وشن الحملات العديدة على الهكسوس في فلسطين وسوريا انتهت بانتصاره العظيم عليهم، وتابع مسيره حتى وصل نهر الفرات الذي اسماه مُعاصروه بانه "ذو المياه المعكوسة " ؛ لأنه يجري عكس اتجاه النيل، وعاد بعد ان ترك هناك لوحة حجرية تسجل بأسمه هذا النصر ، وقد ورد ذكرها فى حوليات الملك تحتمس الثالث عند حديثه عن حملته العسكرية الثامنة انه اقام لوحة حجرية بجانب الملك تحتمس الأول هناك، وان كانت حدود مصر الجنوبية وصلت فى عهد تحتمس الاول الى الجندل الرابع ، فقد وصلت حدودها الشمالية ، واهتم تحتمس الأول بتشيد المبانى الدينية فأقام العديد من المبانى فى معابد الكرنك ، وكان الملك تحتمس الاول هو اول من اتخذ وادى الملوك مقرا لمقبرته الملكية.

ونتيجة لذلك أخذ أمراء سوريا وفلسطين يقدرون مكانة مصر ، ويـــدركون تفوقها ، فأرسلوا الهدايا الثمينة والجزية إلى " تحوتمس " الذي عمد الى التنـــازل قبل وفاته عن عرشه لابنه "تحتمس الثاني " وهو من زوجته الثانية " موت نفرت" وزوجه من ابنته " حتشبسوت" إلا أنه توفي بعد مدة قصيرة من هذا الزواج ، ولم يحقق خلال هذا العهد انجازاً إلا القضاء على عصيان بعض القبائـــل الســـودانية قرب الشلال الثالث ، وشنه حرباً على البدو الذين كانوا يغيرون على حدود سوريا التي سارت اليها حملات اخرى ولم تنجب له زوجته واخته "حتشبســـوت " غيـــر ابنتين ؛ لذا لم يكن له ولد يرثه بعد وفاته .

ونعلم من لوحه اقامها الملك تحتمس الثانى فى العام الاول من حكمه وهـــو فى طريقه من اسوان الى فيله انه قام على رأس جيشه للقضاء على الثـــوار فـــى

النوبة وتمكن من القضاء عليهم جميعا ولم يبقى سوى أحد اطفال الزعيم النـــوبى الذى احضره معه الى طيبة كأسير . ونعلم ايضا من تاريخ حياة القائد احمس ابن ابانا الذى امر بنقشه على جدران مقبرته بمنطقة الكاب والذى عاش وخـــدم فـــى عهود الملوك ابتداء من احمس وحتى تحتمس الثالث وان الملك تحـــتمس الثـــانى توجه بشخصه لإخضاع قبائل (الشاسو) وهم البدو سكان شمال شـــرق وجنـــوب فلسطين وأسر العديد منهم.

وقد شيد مقبرته فى وادى الملوك وهى غير منقوشة ويبدو انها لم تكتمل وتحوى تابوتا خاليا من النصوص. وقد عثر على مومياه محفوظه فى خبيئة الدير البحرى ، مات تحتمس الثانى بعد فترة حكم قصيرة وكان لايزال فى الثلاثين من عمره وقد ترك ابنا وهو تحتمس الثالث من زوجته ايزيس ، وبنت وهى "نفرو رع" من اخته وزجته حتشبسوت.

وعلى أثر وفاة "تحتمس الثاني" انقسم المصريون على فئتين : أيدت الأولى أَنَّ "حتشبسوت " هي الوريثة الشرعية وهي صاحبة الحـــق الأول والاخيـــر فـــي العرش ، ورأت الأخرى أن العرش في مصر لا يليه إلاَّ رجل ، لـــذلك طرحـــت فكرة تولي " تحتمس الثالث " وهو ابن "تحوتمس الثـــاني" مـــن إحـــدى زوجاتـــه الثانويات ، فساعده كهنة "أمون" ، وأصبح ملكاً بعد أن تزوج مـــن "حتشبســـوت" (ويحتمل ان تحتمس الثالث قد تزوج ايضا من ابنة حتشبسوت نفرو رع ليؤكد حقه فى وراثة العرش) الاَّ انها انفردت بالحكم ، تاركة زوجها منزوياً حتى وفاتها.

تولى تحتمس الثالث عرش مصر بعد وفاة والده تحتمس الثانى ؛ علـــى ان شرعيته للحكم اتت تحقيقا لنـــــبوءة للاله آمـــون الذى اختاره ليجلس على عرش البلاد بعد وفاة ابيه. وكان تحتمس الثالث عند تتويجـــه صـــغير الســـن وكانـــت حتشبسوت زوجة ابية وام زوجته فى حالة زواجه من ابنتها نفرو رع وعمته فـــى آن واحد امرأة قوية ناضجة طموحة وتحمل الألقاب "ابنـــة ملـــك وأخـــت ملـــك

والزوجة الملكية والزوجة الإلهية لآمــون" فاستطاعت بقوتها وشخصــيتها منــذ البداية ان تتولى شئون البلاد وان تدير دفة الأمور.

حكمت حتشبسوت عشرين عاما وقد كانت صاحبة النفــوذ؛ اذ تولــت ادارة الأمور وتصريفها غير أَن السلمية الطويلة التي اعتمدتها مصر في ظل حكمهــا، واهتمامها فقط بتنظيم أحوالها الداخلية، واستثمار المحاجر، وتركها رعاية شــؤون السياسة الخارجية كانت هي الاسباب التي ألبت بعض القوى ضدها ، وأضــعفت من نفوذ مصر في آسيا وبالتالي التعاون على قيام تحالف قوي من دويلات آســيا بزعامة أمير " قادش " يناهض مصر ونفوذها هناك .

وركنت الملكة حتشبسوت تربية تحتمس الثالث الى الكهنة اى انها اجبرته على الاعتــكاف ثم اتخذت بعد ذلك خطوات جادة لتتويجها بموافقة الرب امــون وايرادته كما هو منقوش على جدران معبدها الجنائزى بالدير البحرى بطيبة ، وأصبحت حتشبسوت ملكة على مصر وقامت بدور الاله حورس ومثلته على الارض واتخذت لقب ابن الشمس بل وتشبهت بمظهر الرجال وارتدت زيهم كما استعملت الذقن الملكية المستعارة الخاصة بالملوك ، ووضعت الملكة " حتشبسوت " التاج المزدوج على رأسها ، وأشرفت على تجارة العطور والبخور، وأكثرت من العمران والانشاء واصلاح ما خربه الهكسوس حتى عد عصرها بصفة عامة عصر سلام وبناء وتعمير.

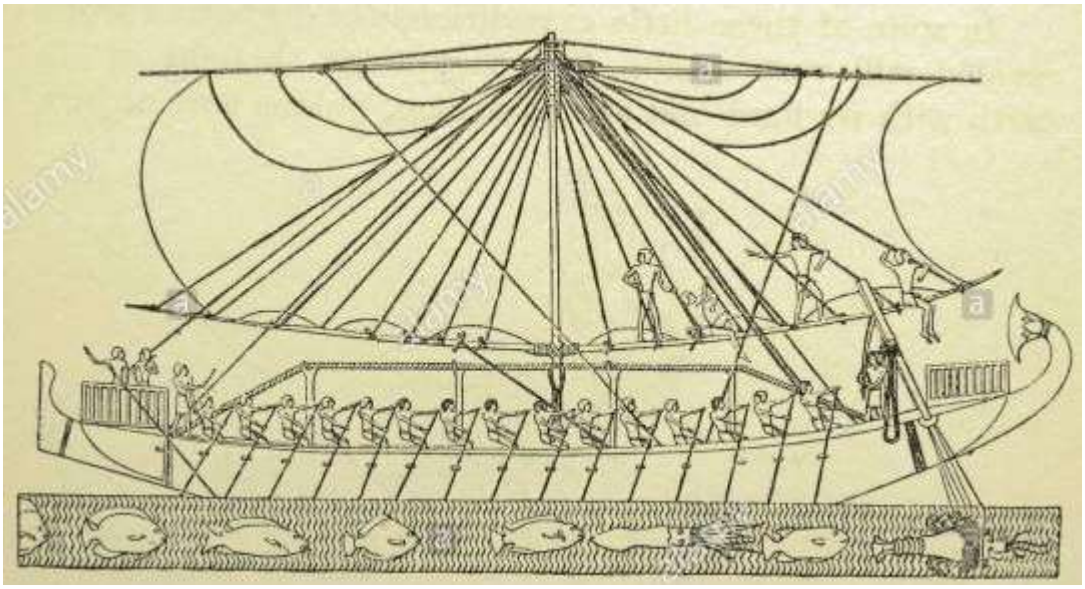

احد سفن رحلة بلاد بونت

الملكة حتشبسوت في زى الرجال

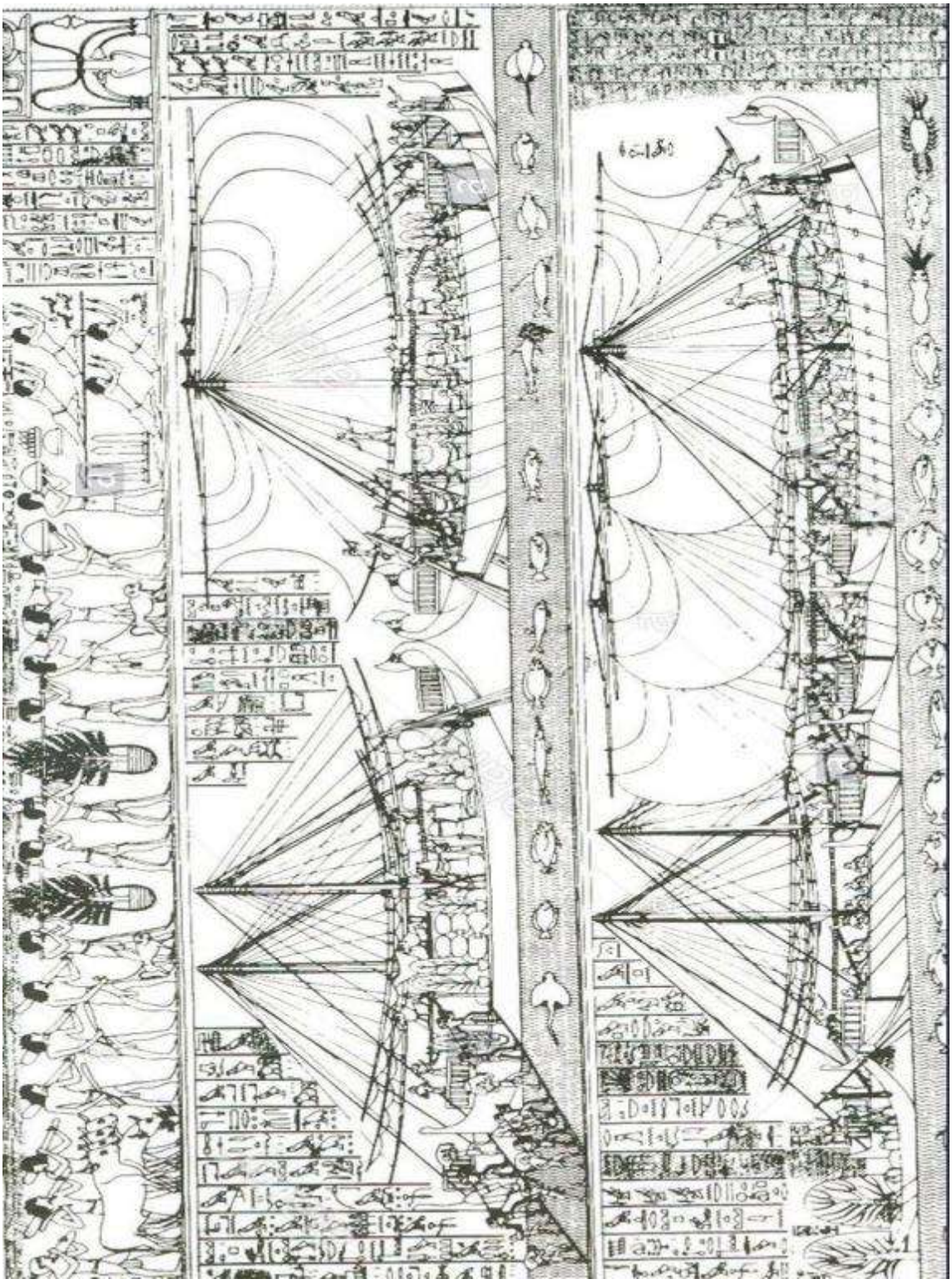

**مشهد عام لرحلة بلاد بونت – معبد الدير البحرى**

امرت حتشبسوت فى العام السادس او السابع من حكمها بإبحار خمس سفن ضخمة الى بلاد بونت ارض البخور قرب الصومال لإحضار منتجات هذه البلاد

الى مصر تحت قيادة القائد " تحسى" وبدأت الرحلة الطويله من احد موانى البحر الأحمر بالقرب من وادى الجاسوس. وقد صورت هذه الرحلة البحرية التى تعبر من اهم النقوش لدراسة بلاد بونت ومنتجاتها على جدران معبدها الجنائزى بالدير البحرى ، كما ارسلت حتشبسوت بعثة الى محاجر اسوان لإحضار الزوج الاول من مسلاتها فقد ترك لنا المهندس سنموت هناك تقشا يوضح انه هو الذى كان مسئولا عن قطع المسلتين "للزوجة الإلهية والزوجة الملكية العظمى حتشبسوت".

وفى العام الخامس عشر من حكم تحمس الثالث اى الثالث عشر من حكم حتشبسوت امرت الملكة احد كبار موظفيها المدعو "امنحوتب" بالذهاب على رأس بعثة الى اسوان لإشراف على قطع زوج آخر من المسلات ، ولقد ترك لنا الموظف "امنحوتب" نقشين يؤكد بهما قيامه بهذا العمل احدهما بمقبرته بطيبة والآخر فى جزيرة سهيل (اربعة كيلو مترات جنوبى اسوان) احدى هاتين المسلتين مازالت مقامة للآن فى معابد الكرنك ؛ وقد سجل على قاعدة المسلة قصة هاتين المسلتين اللتين امرت بتشييدهما والوقت الذى تم فيه قطعهما والسبب الذى اقيمتا من اجله. وتؤكد لنا النقوش التى وجدت على جدران معبد سرابيط الخادم وهى اهم مناطق مناجم الفيروز بسيناء ان الملكة حتشبسوت قد استغلت هذه المناجم خير استغلال.

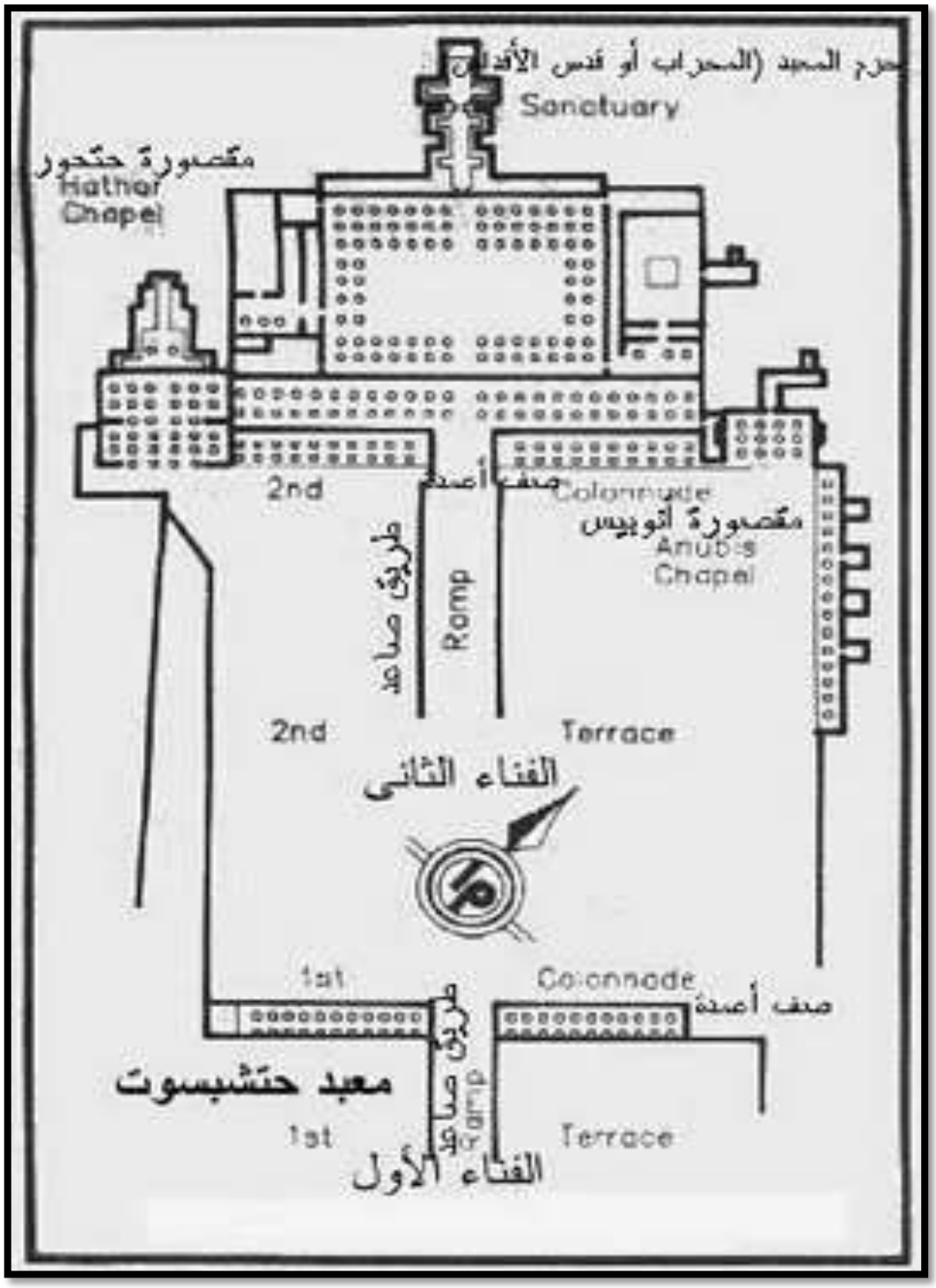


**رسم تخطيطي لمعبد الملكة حتشبسوت**

يعتبر سنموت المهندس والمربى الذى اشرف على نفرو رع هو اشهر الموظفين فى عهد حتشبسوت ويبدو انها اصطفته بدليل انه قد سمح لنفسه بنقش صورته على جدران اكثر من مشكاة بمعبدها الجنائزي خلف الباب مباشرة حتى

لا ترى عند فتح الباب الخشبى للمشكاة او للمقصورة وان كنا لا نعلم للآن الاسباب التى دعته الى نقش صورته فى هذه الاماكن المقدسة فهو لا ينتمى للسلالة الملكية ويشغل فقط وظيفته كمهندس ومربى ؛ وقد يكون هذا السبب من الاسباب التى دعت حتشبسوت عند اكتشافها لهذه الصور ان تأمر بكشطها وتشويهها . او ان انصار الملك تحتمس الثالث قامو بهذا التشوية بعد وفاتها. لا نعرف للآن كيف انتهت حياة حتشبسوت ؛ هل ماتت موته طبيعية ؟ ام كانت نهايتها محزنه ؛ اذ لم يعثر على جثمانها فى مقبرة من مقبرتيها فى طيبة سواء الموجودة فى سكة طاقة زايد او المحفورة فى وادى الملوك؛ كما لم يعثر عليها ايضا فى خبـــيـــئة المومياوات بالدير البحرى .اما معبدها الجنائزى فهو المعبد المشهور الآن بأسم معبد الدير البحرى بالبر الغربى بطيبة.

**سنموت وزير الملكة حتشبسوت مع ابنتها**

استطاع" تحوتمس الثالث " ان يستعيد السلطة في اعقاب وفاة حتشبســوت وبدافع مما كان يحمله من ضغينة ضد عمته ، أخذ يضطهدها بعد وفاتها ، فــأمر

بقشط أسمها من علي جميع الآثار واستبدله إما باسمه او باسمي جده وابيه وبعد وفاتها عاد الى الانفراد بالحكم ، وتولى القيام بمشروعات ضخمة دعمت وأُسس الإمبراطورية وقام بسلسلة الغزوات في آسيا الغربية ؛ بسبب اضطراب الأحوال فيها بعد اعلان التحالف بين الآسيويين وأمير "قادش".

**تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ق.م)**

وبدأ تحمس الثالث يهتم بالسياسة الخارجية بالبلاد بعد ان اهملتها حتشبسوت عشرين عاما كاملة وخاصة ان الأوضاع السياسية فى آسيا الصغرى بدأت تتغير، اذ ان هجرات الحوريين بدأت منذ القرن الثامن عشر ق.م من وسط آسيا الصغرى ، وهم شعب غير معروف للآن الى أى جنس ينتمى ، والبعض الآخر يعتقد انهم ينتمون للجنس الآرى ، هذه الهجرات المتتابعة استقر البعض منها فى مناطق الهلال الخصيب وكونوا بعض الدويلات فى بعض المدن السورية واستوطن البعض الاخر اطراف العراق وكونوا الدولة الميتانيين كما استقرت قبائل منهم فى الاناضول وكونوا دولة الحيثيين ، وكان يجاور دولة الميتانيين من الجنوب دولة أشور.

هذا وقد واجهت القوات المصرية في عهده القوات " الحثية " في سوريا ، وقد ثبت علاقاته بآسيا كما واجه الهكسوس في معركة " مجدو "، وانتصر عليهم ، وخضع له الأمراء السوريون ، ثم نظم الأقاليم التي فتحها في فلسطين ولبنان وجزء من فينقيا واستعمل نظام الرهائن مع أمراء هذه الأقاليم، ووصلت قواته الى مدينة " قرقميش " التي هزم فيها ملك "ميتاني".

وكان " تحتمس الثالث " في سياق تحركاته في مناطق غزواته يتخذ الاحتياطات اللازمة لنصرة وحماية الجيش ، فقد كان يقضي اكثر من عام في آسيا أحياناً كثيرة ؛ لتنظيم ما استولى عليه من أقاليم وللوقوف بوجه من يفكر

بالخروج على طاعته ، فامتدت امبراطوريته من الشلال الرابع جنوباً حتى نهـــر الفرات في الشمال الشرقي ، وكانت سائر الممالك القريبة والبعيدة تحرص علـــى كسب وده ، وتقدم له الهدايا والعطايا الثمينة كيف لا ؟ وهو الذي قاد سبع عشـــر حملة حربية ، استردت بعدها مصر مكانتها السابقة ، قبل وفاته التي حانت بعد ان قضى ثلاثة وثلاثين عاماً في الحكم .

**الحملة الأولي (معركة مجدو)**

عسكر الملك فى حصن ثارو علي مقربة من بلدة القنطرة في العام الثاني والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء وأستطاع أن يعبر بجيشه حوال ٢٨٠ كيلو مترا من الصحراء حتي وصلوا إلي غزة ، استراح الجيش اربعة أيام في غزة ثم اتجه نحو " يحم " بعد مسيرة احد عشر يوما دون أي اعتراض اذ اختار المتحالفون ان يتجمعوا في مجدو لملاقاة الجيش المصري في معركة واحدة ، ولما أقترب تحتمس الثالث من أعدائه جمع كبار رجال جيشه وعقد مجلسا حربيا ليختاروا الطريق الذي يسلكونه للوصول الي مجدو ، كان أمام الجيش المصري ثلاثة طرق : طريق مباشر يخترق الجبل ، وطريقان أخران يدوران حول جبل الكرمل ، ويؤديان الي مجدو مباشرة ودون أدني خطورة ، أختار تحتمس الطريق الاول الذي يخترق الجبل ، وحالفه الحظ واستطاع العبور بسلام ولما تجمع الجيش قرر الملك ان يقاتل في صباح اليوم التالي ، هجم الجيش المصري علي شكل نصف دائرة علي مجدو ، ولم يلبث المدافعون عنها أن ولوا عند بدء الهجوم تاركين معسكرهم بما فيه وكان كل همهم ان يدخلوا المدينة المحصنة ولكن الذين بداخلها اغلقوا الابواب ، حوصرت المدينة لمدة قصيرة هرب اثناءها أمير قادش في جنح الليل عائدا الي بلاده ، وعندما استسلمت المدينة لم يكن الامير من بين المئات من الامراء الثائرين الذين استسلموا ، وقام بأسر عدد من نسائه واصطحبوهن فيما بعد إلي مصر ، ولم يأخذ اعداءه بالشدة والعنف ، ولكنه عامل

هؤلاء الامراء بعطف كبير ، فقد عفا عنهم جميعا ، وثبتهم في ممالكهم واماراتهم بشرط ان يرسل واحد منهم ابنه ووريثه الي مصر لكي ينشأ ويتعلم طبقا للتقاليد المصرية في البلاط الملكي ، تعد معركة مجدو من أكبر المعارك في التاريخ القديم ، وقد نجح تحتمس في الحد من تقدم منافسه واضطر الي تأجيل العمليات العسكرية.

**الحملة الثانية:** قام تحتمس الثالث بهذه الحملة لتفقد أحوال البلاد التي فتحها من قبل وما كان عليه الامراء من الولاء والطاعة له والاحضار ما نحتاجه مصر من الاخشاب التي كانت تفتقر اليها ، وقد تفقد تحتمس الثالث أحوال الشام بعد ذلك أربع مرات في اربعة أعوام متتالية.

**الحملة الثالثة:** قام تحتمس الثالث بجيشه زاحفا نحو سوريا في حملته الثالثة لاخماد الثورة السورية على حكمه ، وقد استولى خلال هذه الحملة علي العديد من المدن ، ثم أقلع بأسطوله وسار شمالا محاذيا للشاطئ حتي وصل الي مدينة "ارواد" العظيمة فحاصرها ، ولم يمض طويلاً حتي سلمت وبسقوطها استولي المصرين علي مقدار عظيم من الثروة الساحلية لسوريا.

**الحملة الرابعة:** قام بها "تحتمس الثالث" في العام الثلاثين من حكمه استطاع خلالها ان يدمر مدينة قادش ويستولي عليها والتى تستمتع بحماية حدودها طبيعة فهى تقع بين ثلاث تحصينات مائية : نهر العاصي الذي قامت علي ضفته الشرقية وفرع صغير منه اتصل به عندها من ناحيته الغربية ثم بحيرة حمص التي تقع الي الشمال منها بقليل ، وقد عقد العزم هذه المرة على القضاء على امير قادش رأس الفتنة في عقر داره ، بعد أن اطمأن الي سلامة ظهره أي اطمأن الي اخلاص المدن الشامية التي تركها خلفه واطمأن الي كفاية أساطيله وقدرتها علي تموين جيشه من ناحية البحر ، وحماية امتدادته فيما لو حدث شيء يهدد اتصالاته من ناحية البر ، وقد حاصر مدينة قادش لمدة طويلة انتهزت خلالها بعض المدن

الساحلية هذه الفرصة وشق أهلها عصا الطاعة علي الفرعون ، من بينها مدينة "ارواد " التي قامت بثورة للتخلص من الجزية التي كانت تدفعها للفرعون سنويا .

وبعد سقوط قادش اتجه "تحتمس الثالث" مسرعاً الي "سميراميس " وأنزل جيشه بمدينة "ارواد " وانزل بأهلها عقابا صارما على غير عادته من معاملة اهل المدن المفتوحة حديثاً ، وقد كان هذا العصيان من جانب ارواد درسا علميا لتحتمس الثالث ، ألا يسير في خطته لغزو بلاد النهرين ، قبل ان تدين لسلطانه كل بلاد الساحل ، ولذلك أمضي صيف السنه الواحدة والثلاثين من حكمه خلال الحملة الخامسة في القضاء علي أي ثورة وكبح اي عصيان في هذه الجهات.

**الحملة الخامسة:** جاءت هذه الحملة لاخضاع مدينة "اثراتب" التي تقع علي الساحل بالقرب من قرقميش ، وقد كانت في حلف مع بلدة "تونب" وقد كان في مقدور الفرعون وقتئذ ان يحشد قوة كبيرة في اسطوله ويسير بها مباشرة لإخضاع هذه البلدة ، وقد تم له ما أراد ، اذ زحف بجيشه واخضعها في سرعة خاطفة.

**الحملة السادسة:** خرجت هذه الحملة في العام الـــ ٣٣ من حكم "تحتمس الثالث"، وكان قد اعتزم ان مهاجمة دولة الميتان في عقر دارها ليأمن دسائسها ومكائدها السياسية ، وتحريضها للمدن السورية عليه ، وليستقر الامن بعدها علي حدود دولته وعمل في سبيل نجاح خطته علي تنظم المواني الشامية وتزويدها بما كان يعوزها من المحاصيل الغذائية ، ثم طلب من رجاله ان يجهزوا اسطولا كبيرا من أخشاب لبنان وان ينقلوا سفنه وناقلاته مفككة عن طريق البر علي عربات تجرها الثيران الي قرب نهر الفرات ، والتقي تحتمس وجيوشه بالميتانيين في قرقميش ، وانتصر برجاله عليهم ، ففر ملكهم الي حد أقاليم دولته القصية.

توج تحتمس نصره بأن عبر الفرات بسفنه ، ثم أرسي رجاله نصبين علي ضفته وسجلوا عليه اخبار نصره وعينوا بهما حدود فتوحاته ، وقد ترك تحتمس الثالث هناك لوحة علي الضفة الشرقية لنهر الفرات لتسجيل نصره وتخلده ، تعد

هذه الحملة هي أعظم غزوة بعد غزوة قام بها في كل حروبه بعد الغزوة الاولي ثم خرج الي الاقاليم الشمالية نحو ثمان مرات اخري او تسع ، وتوطيد الأمن وإرهاب العصاة حينا ، مجرد الزيارة والرحلة حينا اخر.

**المعبودين "حور" و"ست" يدربان الملك "تحتمس الثالث" على استخدام القوس – معبد الكرنك.**

**امنحوتب الثانى**

تولى الحكم امنحوتب الثانى بعد وفاة ابيه الملك تحتمس الثالث ، وسجل نقش على جدران فى مقبرة القائد "امون ام حب" فى طيبة ان الملك تحتمس الثالث" صعد الى السماء واتحد مع الاله رع واندمجت اعضائه الطاهرة مع الذى خلقها. فلما جاء اليوم الثاني وأشرقت الشمس جلس على عرش ابيه الملك "امنحوتب الثانى".

نشأ "امنحوتب الثانى" نشأة عسكرية كما هو مسجل على اكثر من لوحة وأثر سواء بالنص او بالصورة اذ نرى صورته على احد جدران مقبرة الضابط "مين" بطيبة وهو الذى اشرف على تربيته العسكريه ويعلمه الرمايه ، وهو يوجه الحديث لأمنحوتب قائلا ''**شد القوس حتى اذنك مستعملا كل ما فى ذارعيك من**

**قوة وثبت السهم..يا امير امنحوتب**،، ومن لوحة حجرية للملك "امنوحتب الثانى" والتى عثر عليها سليم حسن بجوار تمثال ابو الهول عام ١٩٣٦م انه كان مولعا بممارسة انواع مختلفة من الرياضة البدنية وشغوفا بالفروسية، مفتونا بشبابه وقوة عضلاته فلما بلغ الثامنة عشرة كان قد اتقن كل فنون إله الحرب مونتو.

بعد موت "تحتمس الثالث" حتى أفصحت الولايات السورية الشمالية عن رغبتها بالتخلص من الحكم المصري ؛ لذا قاد "امنحوتب الثاني " حملة ضدهم كتب لها النجاح وتكررت مع اقليم " أفق " الواقع في شمال فلسطين ؛ مما جعل جميع المدن هناك تحسب له حساباً وفي مقدمتهم مملكة " ميتاني " ومدينة " قادش " في الوقت الذي تزايد فيه خطر " الحثيين " على مملكة " الميتانيين " لذا أحست الأخيرة بأهمية تمتين علاقتها بمصر ، وقدمت لها الولاء ، وكذلك فعلت مملكة " خيتا " في اسيا الصغرى حينما طالبت بصداقة مصر.

ثارت بعض الولايات هناك بعد توليته عرش مصر وهى ثورات غالبا ما تحدث لجس نبض الملك الجديد فإن اخفق فى القضاء على العصاة ، استطاعت هذه الولايات من ان تتخلص من سيطرة الحكم المصرى وان قضى عليهم فلم يخسروا شيئا، اذ تسجل لوحة من الجرانيت عثر عليها فى معابد الكرنك ان الملك قضى على الثوار ونكل بهم اشد تنكيل كما نعرف من لوحة في الفنـــتين بالنوبة ''**ان جلالته عاد سعيدا الى ابيه امـــــــــون بعد ان قتل بدبوس قتاله الرؤساء السبعة الذين فى منطقة نحسى وعلقهم مقلوبين على سفينة جلالته..وقد علق منهم ستة على واجهة سور طيبه وأرسل السابع ليعلق على جدار سور نباتا ليكون عبرة تريهم قوة جلالته**،، وكان نتيجة ذلك كما هو مذكور على لوحة الكرنك ان ''**اتى اليه رؤساء دولة الميتانى وجزيتهم فوق ظهرهم عسى ان يمنحهم جلالته نسمة الحياة**،، كما ذكرت النصوص ايضا بأن الملك امنحوتب قام

بحملة ثانية الى سوريا فى العام السابع من حكمه وحمله ثالثه للقضاء على الفتـــنة فى فسطين فى العام التاسع من حكمه.

وعاد مرة أخرى إلى آسيا لمواجهة الفتن التي أثارها " الميتانيون " ضده، فجرد ضدهم الحملات تارة ، والتقرب اليهم تارة أخرى في وقت اشتد فيه النزاع بين كهنة "أمون " وكهنة الإله " رع " بشكل واسع ، فقد ظهر اسم أتون في عهد " تحوتمس الرابع " للمرة الاولى.

ولا يعني تجريد "امنحوتب الثاني" للحملات الكثيرة خلال عهده أَنَّه انقطع الى الحرب فقط بل كانت له مساهمات في مجال البناء والتعمير خلال عهده الذي انتهى عام (١٤٢٠ق.م تقريباً)، فخلفه "تحوتمس الرابع" وهو أحد أبناء "امنحتب الثاني" الذين كان عددهم بين خمسة أو سبعة ابناء.

ومن اشهر الموظفين فى عهده "قن امون" الذى شيد مقبرته فى جبانة شيخ عبد القرنه والتى تميزت جدرانها بالمناظر المختلفة ولعل اهمها الهدايا التى يقدمها قن امون لملكه امنحوتب الثانى بمناسبة العام الجديد ، وقد امر امنحوتب الثانى بحفر مقبرته فى وادى الملوك بطيبه على نفس نظام مقبرة والده تحتمس الثالث وتعتبر مقبرته من اجمل ما خلفه ملوك الأسرة الثامنة عشرة من المقابر فى طيبه.

توفى الملك امنحوتب الثانى فى العام السادس والعشرين من حكمه وتبعه ابنه الملك تحتمس الرابع الذى حكم ما يقرب من تسعة اعوام ، ومن اهم اثاره اللوحه الجرانيتية المعروفة التى تعود للعام الأول من حكمه وهى المقامة الآن بين مخالب ابو الهول بالجيزة ، وتروى نقوشها ذهابه عندما كان شابا ليحتمى بظل ابو الهول وذلك بعد رحلة صيد مرهقة فغلبه النعاس فرأى فيما يرى النائم الاله حور ام اخت (المجسد فى تمثال ابو الهول) يبشره بتاج مصر عندما يحرره من الرمال التى عليه ، ويبدو ان الملك تحتمس الرابع لم يكن الوريث الشرعى ولهذا اختلق هذه النبوءة لكى يفسر لنا ان اختياره قد تم بواسطة الاله (حور ام اخت).

في غضون ذلك كانت دولة "الحثيين" قد اصبحت قوة لها خطرها على مصر وأملاكها في سوريا وفلسطين فقام بعد توليته العرش مباشرة بحملة للقضاء على الثورة التقليدية فى سوريا ثم بعد ذلك قام فى العام الثامن من حكمه بحملة الى النوبة للقضاء على الثوار هناك ؛ ثم وجد "تحوتمس الرابع" ان من مصلحته التحالف مع ملك "ميتاني " وعقد المصاهرات السياسية بينهما فتزوج من ابنة الأخير التي تدعى "ارتاتاما" وقد اطلق المصريون على هذه الأميرة الميتانية اسما مصريا هو "موت ام اويا" وهى التى اصبحت فيما بعد ام الملك المصرى امنحوتب الثالث الذى خلف والده تحتمس الرابع على عرش مصر

وعقد صداقة مع بابل فيما عمد زعماء الدول الآسيوية الى اكتساب عطف مصر مما ساعد في استتاب الأمن في مصر والبلاد الخاضعة لها في غرب آسيا وتكديس الثروات في خزائن الدولة. إلاّ أنّ النوبة ثارت ضد الحكم المصي ، فسار اليها "تحوتمس الرابع" بجيشه ، فهزمها وغنم الكثير ، وقد امر الملك بتشيـــــــيد مقبرته فى وادى الملوك اما معبده الجنائزى ، وقد وجد على احد جدران مقبرته نص بالخط الهيراطيقى يرجع لعهد حور محب الذى اصدر التعليمات الى المشرف على اعمال الجبانة فى ذلك الوقت المدعو "معيا" والى مساعدة "جحوتى مس" بإعادة دفن الملك تحتمس الرابع فى المسكن المقدس بالبر الغربى مما دعا الى نقل موميـاء تحتمس الرابع مع مومياوات اخرى الى قبر امنحوتب الثانى حتى عثر عليهم فى عام ١٨٩٨م وقد يدل هذا ان مقبرة تحتمس الرابع قد نهبت بعد وفاته مما دعى الملك حور محب بأن يأمر بإعادة دفنها.

**امنحوتب الثالث.**

تولى الحكم بعد وفاة ابيه الملك تحتمس الرابع وقد ادعى كما ادعت حتشبسوت من قبل على جدران معبدها فى الدير البحرى ، انه ابن الاله

امـــــــــون رع وقد سجل هذه الأسطورة على جدران حجرة الولادة بمعبد الاقصر. وتزوج فى العام الثانية من حكمه من سيده من عامة الشعب تدعى "تيى" يُرجح ان اصولها نوبية ، وهى ليست من الاسرة الملكية وكان لها اثرها الكبير فى الإمبراطورية سواء فى حياة زوجها او حياة ابنها اخناتون ، وهى سيده لها طموح وقوة شخصية فاستطاعت ان تتحكم فى سير الامور والاحداث. وقد استن امنحوتب الثالث سنه جديدة وهى الاهتمام بتسجيل الاحداث الهامه على ظهور الجعارين الكبيرة نسبـــيا ، مثل الجعارين التى يطلق عليها اصطلاحا جعارين الزواج وهى تسجيل زواج امنحوتب الثالث من "تى" وقد نقش عليها ''**..الملك امنحوتب المعطى له الحياة والزوجة الملكية والعظمة "تى" لها الحياة "يويا" هو اسم والدها ، وهى زوجة ملك عظيم تمتد حدوده الجنوبية الى كارى (بالقرب من نباتا) والشمالية الى (بلاد) نهرين**،،

ونعرف الآن بعد اكتشاف مقبرة والديها ان الأب كان يعمل كاهنا فى معبد الاله مين فى مدينة اخميم وان الأم كانت تحمل لقب كبيرة حريم امـــــــــون. ويبدو ان الملكة "تى" كان لها نفوذ كبير وتأثير على الملك امنحوتب الثالث فقد مثلت بجانبه بنفس حجمه اذ نشاهد فى المتحف المصرى تمثال ضخم يمثل الملك وزوجته "تى" جالسين جنبا الى جنب وهو تقليد لم يتبع من قبل عهده بل وذكرت معه على الجعارين التذكاريه ، اذ انه من الطريف ان نرى اسم الملكة "تى" واسم والديها مسجلا على جعارين زواجه من كيلوخيبا ابنة الملك الميتانى "شوتارنا" والذى تم فى العام العاشر من حكمه "فى العام العاشر من حكم جلالة الملك امنحوتب..والزوجة الملكية الكبرى تى لها الحياة"يويا"هو اسم ابيها و"تويا"هو اسم امها..لقد احضرت لجلالتها "كليوخيبا" ابنة سيد نهرين شوتارنا و٣١٧من سيدات حريمها" .

ومما سبق يتضح لنا حياة الترف والاستغراق فى الملذات والميل الى حياة النعومة التى عاشها الملك وأتباعه. فقد فاضت خزائن الدولة بعد ان استـــتب الامن فى الامبراطورية وتجمعت فى مصر ثروات العالم القديم لإرضاء الملك وبدأت مصر تجنى ثمار حروبها التى خاضتها سواء فى آسيا الصغرى او فى النوبة كل هذا نراه واضحا فى الفن وفى العمارة .

امنحتب الثالث – المتحف المصرى

الملكة تيى

توفى امنحتب الثالث وتولى ابنه امنحتب الرابع ، ولم يسر الملك الجديد على العادة المتبعة في مصر وهي زواج الملك بأخته الكبرى بل تزوج بفتاة لم

تكن لها صلة بالعائلة المالكة اسمها نفرتيتي وهي الأخرى كانت صغيرة السن حينما تزوجها " امنحوتب الرابع " ، فلم تتجاوز الثالثة عشرة حينها بعد أن كان الملك بمعزل عن كل طبقات الشعب ، والزواج محصوراً بين افراد الأسرة المالكة ، أو مع الأسر الاجنبية.

من ناحية اخرى فان الملك الجديد قد تعمق بديانة " رع " بعد أن تولى كهنة من أتباع العقيدة " الهليو بوليتانية " تعليمه، ثم سعى الى التقرب من كهنة "منفس" فهليوبوليس ليتسنى له كسر شوكة كهنة " أمون " في طيبة بعد أن سيطروا على البلاد ، ولم يشركوا المعبودات الأخرى إلاَّ القليل على الرغم من محاولات أبيه التي رمت الى تخفيف وطأة نفوذهم . في نفس الوقت فانه ينبغي علينا عدم نسيان تأثير زوجته " نفرتيتي " ، عليه فقد لعبت دوراً أساسياً في حياته بعد وفاة والده ، يضاف الى ذلك أن "امنحوتب الرابع" كان محباً للحقيقة ، وناشداً للصدق ، مرهف الحس له أراءه الفلسفية وهو ما جعله يرفض مفاهيم كهنة "أمون" ، ويخرج إليهم بفكرة أن الإله ليس قرص الشمس، بل القوة الكامنة فيه ؛ والتي أسماها " اتون " وطالب الناس بعبادته دون شريك له ، والخضوع له وحده دون أي إله آخر وعبادته وتقديسه.

وبذلك فإنّه شجع الديانة " الأتونية " ثم عدّها الديانة الرسمية للبلاد ؛ لذا توترت العلاقات بينه وبين كهنة أمون فبدأوا ثورتهم عليه ومؤامراتهم ضده ؛ للقضاء عليه ، فقد عدوه شخصية حالمة وضعيفة غير مؤهلة للحكم مما زاد في حدة الصراع بين اتون والآلهة الأُخرى.

من جانبه بدأ " امنحوتب الرابع " حركة قوية لمحو " أمون " من جميع أرجاء الامبراطورية المصرية ، لاسيما أن إعلان الحرب على " أمون " كان ينطوي على تحويل العطايا الملكية والأموال والأراضي المقدسة إلى " أتون " والاستغناء عن المعابد المغلقة واستبدالها ببهو كبير في وسطه مذبح بهدف امتاع

المتعبدين ؛ بقرص الشمس وهو ما يعني حصول ثورة فتية إضافة الى الثورة الدينية .

ثم غير " امنحوتب الرابع " اسمه الذي يعني " أمون راضٍ " الى اسم أخ – ان – اتون ومعناه " ليسعد اتون " تعزيزاً للصلة بمعبوده ثم نقل عاصمة مصر من " طيبة " إلى عاصمة جديدة إنشأها ، وأسماها " أخت أتون " (أي مشرق أتون) وهي قرية تل العمارنة حالياً ، وينسب تأسيسها الى " أتون " وبذلك يمكننا تحديد أهم مبادئ ديانة اتون بِعــدّ الاخير الإله الأوحد ، وتحريم عبادة غيره من الآلهة مع عــد " اخناتون " ابناً له ورسوله الى الناس كافة.

ثم اتهم " اخناتون " الكهنة بالسحر والشعوذة وبأنهم جنود اكثر منهم رجال دين. فكان ذلك مقدمة لثورة اجتماعية سياسية اضافة الى الثورة الدينية ؛ لأن " اخناتون " اعلن عن حل الامبراطورية وفصل سوريا ؛ لأنها مصدر للفساد والشر على مصر . ولما كان " امون " غنياً وزع " اخناتون " كل أراضيه على الفلاحين ، فأثرت الثورة على الفقراء وطبقات المجتمع وعــدَّ الجيش اوطأ طبقة في المجتمع يكسب أفراده قوتهم من الاستجداء أو يموتون جوعاً فقد وجد "اخناتون" أن الحروب تناقض إرادة الإله وان الأسلحة وسائل للطغيان. ادى ذلك الى انقسام كبير في البلاد بين مؤيد للديانة الجديدة ، او معارض لها. فكون "اخناتون" له حزباً قوياً في القصر ؛ ليستطيع توجيهه ضد فئات الكهنة المطرودين ، لاسيما كهنة "امون".

**الملكة نفرتيتى والملك امنحتب الرابع فى العمارنة**

في الوقت نفسه أهمل " اخناتون " الشؤون المتصلة بمستعمرات مصر ولم يلتفت الى رسائل حكامه في آسيا وبعض الأمراء الأسيويين (رسائل تل العمارنة) ؛ التي اوضحت له انهيار الجزء الأسيوي من الامبراطورية ، وسجلت تلك الرسائل الصرخات والاستغاثات التي بعث بها أمراء آسيا الموالين لمصر يحذرونه فيها من عاقبة الأمر إذا لم يبادر بإرسال جيوشه، لمعالجة الأمور ، فنصت احدى تلك الرسائل على ''**ان كل بلاد الملك ستدمر وإذا لم يصل جنود مولاي في هذه السنة فإنَّ كل البلاد سوف تضيع**،، وفيما كان هذا الملك مشغولاً بثورته الدينية وتداعياتها فقدت مصر فلسطين وبدأت الحاميات المصرية بالانسحاب من آسيا ؛ مما افقد مصر هذا الجزء من إمبراطورتيها في وقت فقدت فيه الكثير من مواردها؛ مما ضاعف مصاعبها المالية والسياسية التي نجمت عن معاداة طبقات الكهنة والعوائل المعادية للفرعون الذي عمد الى تزويج ابنته من " سمنخ كارع " ، وأشركه معه في الحكم إلاَّ انه قتل وزوجته في طيبة ، بعد أن جاء لتهدئة كهنة " أمون" ؛ لذا عمد " اخناتون " إلى تزويج أبنته الأخرى " عنخس أن اتون " الى " توت عنخ اتون " ثم أعلن الأخير خليفته له ، ولم يطل العهد "باخناتون" طويلاً إذ توفي بعد ان حكم مصر واحداً وعشرين عاماً فتولى العرش "توت عنخ اتون" وهو في الثامنة عشرة من عمره ، ومع ذلك فإنه لم يلبث

أن أفصح عن رغبته بالانقلاب على الثورة الدينية التي أحدثها " اخناتون " وذلك بتغيير اسمه الى " توت عنخ أمون" بغية التقرب إلى كهنة "أمون" الذين أصروا على إزالة كل أثار "اتون" ، فحطموا كلَّ ما له صلة به ، واشترطوا على الملك الجديد عدم إعادة العقيدة الأتونية ، فاصبح الملك خاضعاً لسيطرة الكهنة والموظفين فيما عادت الحياة الى وضعها الطبيعي ، ونشطت حركة البناء والإصلاح خلال عهد " توت عنخ أمون " الذي دام عشر سنوات تميزت بالإزدهار واستمرار النفوذ المصري في النوبة وشمال السودان.

**جزء من عرش الملك نون عنخ امون**

ولما مات " توت عنخ أمون " ، تولى الحكم من بعده (آي) الذي كان يعمل في أول أمره جندياً انخرط في سلك الإدارة والحكومة ، ثم وقف مناصراً " لسمنخ كارع " ولعب دوراً كبيراً في إدارة الأمور المالية بعد وفاة " اخناتون " ، وتولى " توت عنخ امون " العرش.

إلا أن عهد " آي " كان قصيراً فقد تولى الحكم أربع سنوات فقط ، أثقله فيها كبر سنه فتلاه ، "حور محب" ؛ الذي لم يكن من العائلة المالكة ، ولكنه تدرج في الوظائف حتى أضحى قائد الجيش ، والرجل القوي في ذلك الوقت. وبغية اعطاء نفسه حق تولي العرش تزوج من " موت نجمت " ابنة أخت " نفرتيتي "

، وأعلن أن عائلة العمارنة ملحدون واضعاً بذلك نهاية لكل أثار الاخناتونية ومحوها حتى أنه حرم ذكر الفراعنة " اخناتون " و"سمنخ كارع " و " توت عنخ امون " على اعتبار أنهم ملحدون ، فيما وجه جل اهتمامه إلى الإصلاحات الداخلية دون الخارجية ، لاسيما التشريعات والعقوبات ، ووقع معاهدة رسمية مع الحثيين قبل وفاته وهي المعاهدة التي أشرت نهاية الأُسرة الثامنة عشرة.

أنتقل العرش في مصر الى الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٥-١٢٠٠ق.م) بسهولة دون متاعب اذ تولى العرش "رمسيس الأول" على الرغم من انه لم يكن صاحب حق في عرش مصر ، وانما وصل اليه لأن الناس الغوا في هذا العهد حكم العسكريين امثال " آى " ومن بعده "حور محب " اللذين لم يتركا وريثاً لهما، يعتبر حور محب واسطة العقد بين عصرين عصر العمارنة الذى انتهى بوفاة الملك آى ، وعصر الرعامسة الذى يبدأ بالملك رمسيس الاول باللغة المصرية القديمة (رع مس سو) أي الاله رع هو الذى انجبه ؛ ويبدو ان الملك حور محب لم يكن له وريث من الذكور فأختار زميلا انخرط معه فى سلك الجندية وهو رئيس الرماة "بارع مس سو" وكان كبيراً في السن.

نقش رمسيس الاول على تمثالين له امام الصرح العاشر بمعابد الكرنك فى وضع كاتب ملكى في جالسة القرفصاء القابة التى كان يحملها قبل توليته عرش مصر مثل "الوزير ؛ ونائب ملك مصر ، رئيس مشاة سيد الأرضين العليا والسفلى" اولى هو والكثير من ملوك الاسرة قدراً كبيراً من الاهتمام بالنوبة ، وقد ومن آثار له ايضا نعرف انه منح لقب "ابن الملك" فى اواخر ايامه قبل توليته العرش فهو كما نعرف ليس ابنا لملك ، بل كان ابن الضابط المدعو سيتى من ابناء الدلتا.

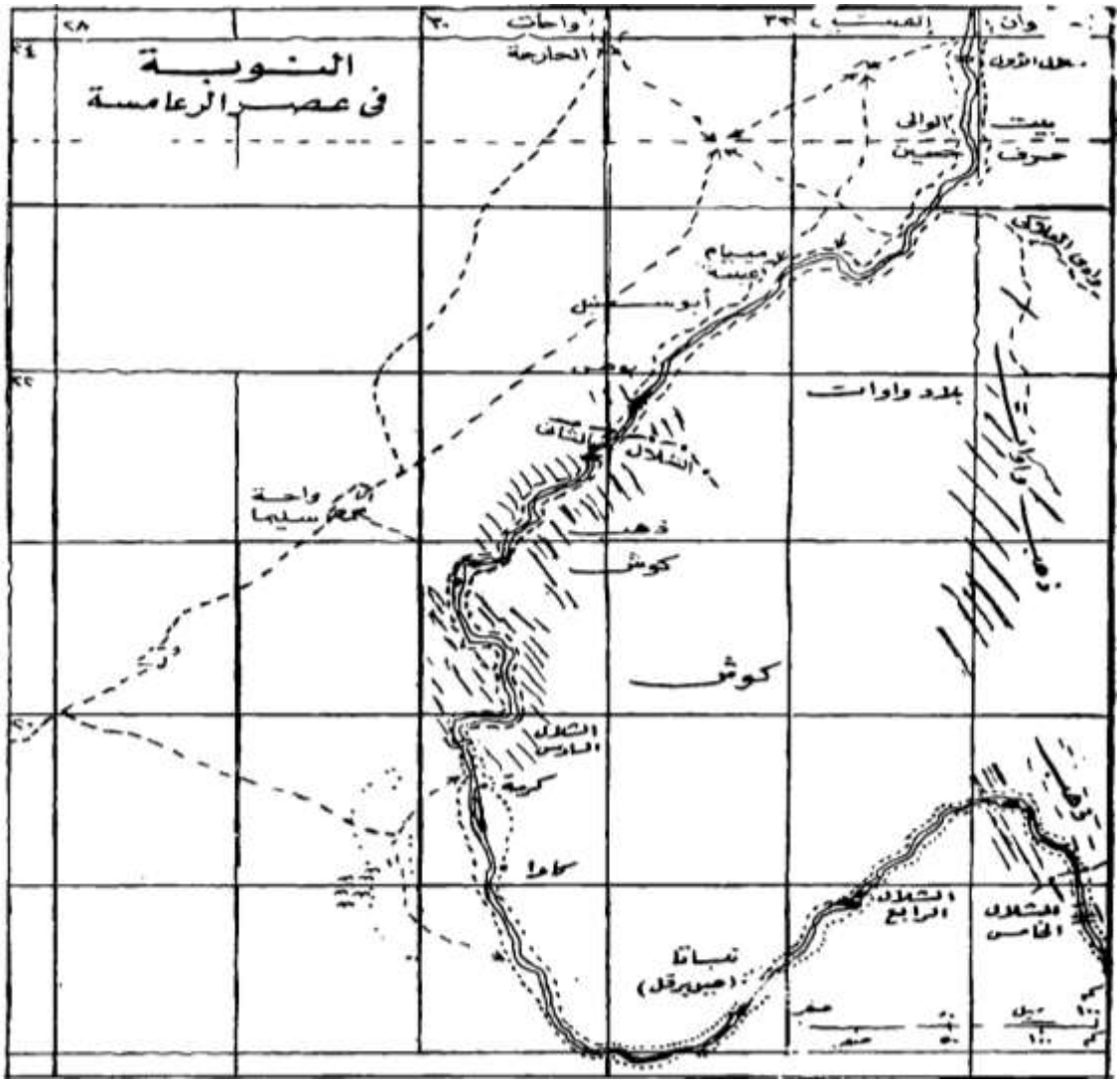


النوبة خلال عصر الرعامسة – نقلاً عن كنت أ.كتشن

رمسيس الثانى ملك مصر ، ص٣٣.

كل ذلك كان كافياً ان يفكر رمسيس الاول في حكم مصر ، وهو الأمر الذي سرعان ما نفذه فوجد أن الحل يكمن في اشراك أبنه "سيتي الأول" معه في شؤون الحكم، وبعد أَن تقدم به العمر ، وغلب عليه الإحساس بالضـــعف والشـــيخوخة ، والعجز عن إدارة شؤون دولته فيما مرَّ " سيتي الأول " بمراحل تؤهله لمســـاعدته أولاً وخلافته ثانياً ؛ لأن " سيتي الأول " كان قد أصبح قائداً لفرقة الرماة ، ثم قائداً لفيلق الفرسان ، وكبيراً للوزراء ، ثم ولياً للعهد.

حكم "رمسيس الاول" لفترة قصيرة هى فى رأى مانيتون سنة واحدة واربعة شهور، وتعتبر آثار رمسيس الاول قليلة جدا إذ كل ما تم العثور عليه بعض النقوش التى ترجع لعهده على الصرح الثانى بمعابد الكرنك ، بالإضافة الى لوحة تذكارية للعام الثانى من حكمه كانت فى معبد بوهين ، ويُرجح ان ابنه سيتى الاول اقامها تخليداً لوالده حيث وضعها مع لوحة اخرى ترجع للعام الاول من حكمه وربما يكون هذا دليلا على اشتراكه فى الحكم مع والده فى اواخر ايامه ، وقد دفن رمسيس الاول فى قبره الذى لم يستكمل بوادي الملوك.

ولما توفي " رمسيس الأول " تولى ولي عهده "سيتي الأول" عرشه وله من العمر إحدى واربعون سنة فنقل عاصمته الى "تانيس"[١٦] ، بينما بقيت " طيبة " العاصمة الدينية واستطاع استعادة ما فقدته الامبراطورية ، فقد قام بحملة سريعة إلى آسيا أسفرت عن بسط نفوذه على جنوب فلسطين ، ثم عاد الى شمالها ليخمد

---

[١٦] - تانيس عرفت فى النصوص القديمة باسم جعن أو جعنت. احد قرى مركز الحسينية محافظة الشرقية. عاصمة الإقليم التاسع عشر بمصر السفلى وتقع شمال شرق القاهرة بحوإلى ١٥٠كم ، وتبعد عن الزقازيق العاصمة ٧٥ كم للمزيد راجع :عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٣٣٤. ويعتبر تل صان الحجر من أهم المناطق الأثرية بشرق الدلتا لما يمثله من أهمية تاريخية وأثرية من حيث مكانته كعاصمة للبلاد خلال الأسرة الحادية والعشرين والعصر البوبسطى. وورد اسم تانيس فى بردية ونامون بهذا الشكل وكانت عبارة عن رقعة فى جزيرة رملية كبيرة فهى سهل منبسط تغمره المياه حول مجموعة من الهضاب للمزيد راجع : شكرى حسين على القنتيرى ، تانيس فى العصر البوبسطى ، رسالة دكتورة غير منشورة ، كلية الآداب، قنا ، ١٩٩٧، ص ٥٤. وعرفت فى الآرامية باسم صوعن وفى اليونانية تانيس والعربية صان وأضيف إليها كلمة - -الحجر لكثرة بقاياها من الأحجار وأشير إليها في العهد القديم باسم زوان. للمزيد راجع: عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص ٣٣٤.وأيضاً

- Helck.WundOtto.E.,Lexikon der Ägyptologie ,pand 6,1986 , p. 194-204.

ثورة اندلعت فيها فتمكن من ذلك، واخضع فلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا ، ثـــم أسرع لإخماد ثورة قام بها الليبيون وأوقف غاراتهم على حدود مصر الغربيـــة ، وأرسل الحملات للحصول على الذهب خلال عهده الذي دام تسعة عشر عاماً.

ولما توفي " سيتي الأول " خلفه أبنه " رمسيس الثاني " الذي كـــان يشـــارك أباه في الحكم كولي للعهد مما اكسبه دراية في شؤون السياسة والحرب استفاد منها في عهده الذي دام ما يقارب سبعة وستين عاماً واجه خلالها الحثيين قرب "قادش" في معركة غير فاصلة ومواجهات اخرى مع ملك " الحثيـــين " وجيشـــه دون ان يستولي على " قادش" ، ثم ثارت فلسطين ضد مصر فأخمد " رمســـيس الثـــاني " ثورتها ، وأخضع فلسطين كلها لسيطرته مرة اخرى ، وكـــذلك بـــلاد الأمـــوريين فاستقرت له الأمور بعد ذلك في آسيا لبعض الوقت التي كان يديرها من عاصمته الجديدة "بى رمسيس".

الشرق الادنى ابان عهد رمسيس الثانى- كتشن : مرجع السابق ، ص ١٠٩.

معركة قا

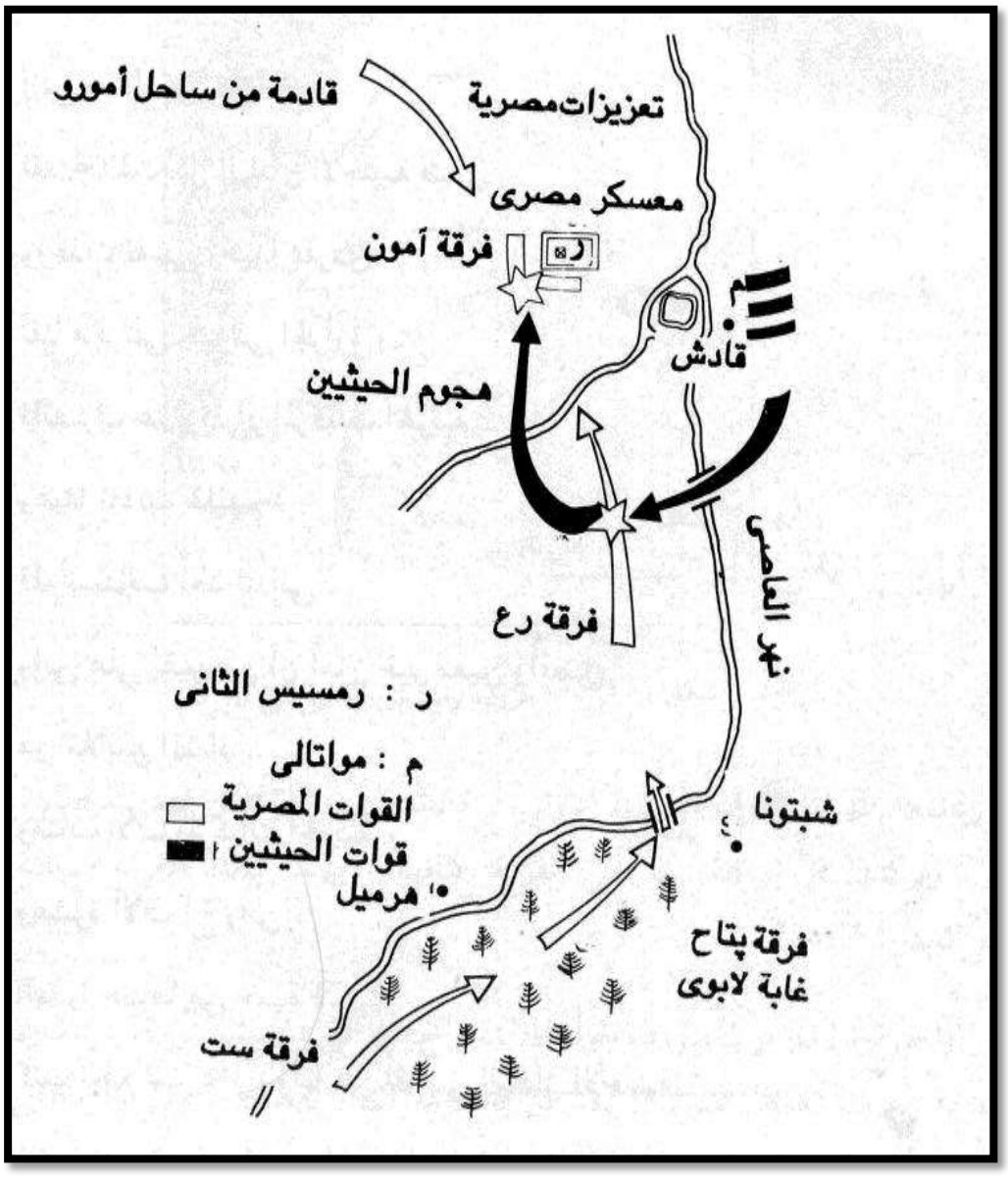


دش:

نقلا عن نقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة، ص ٣٣٠

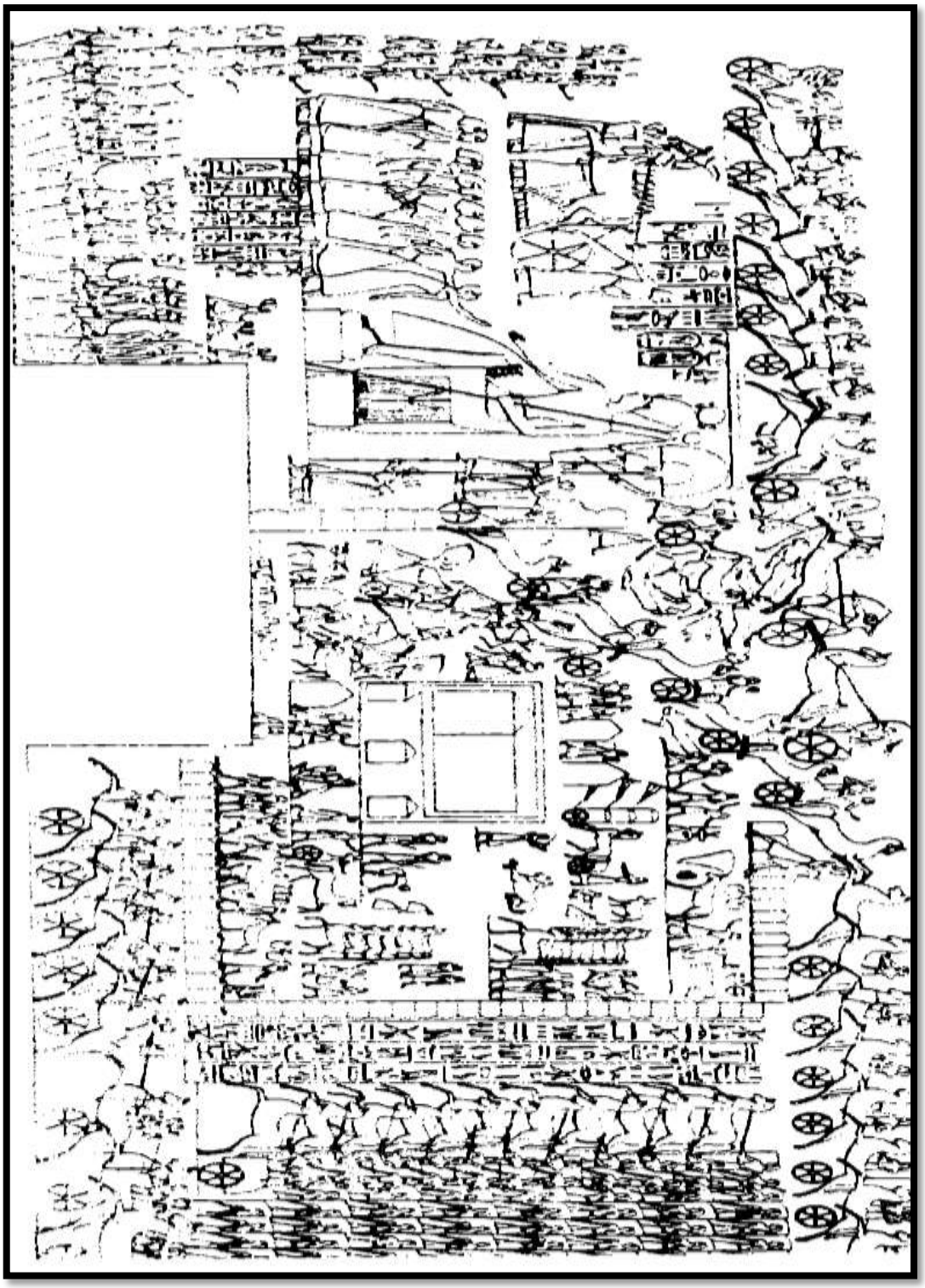

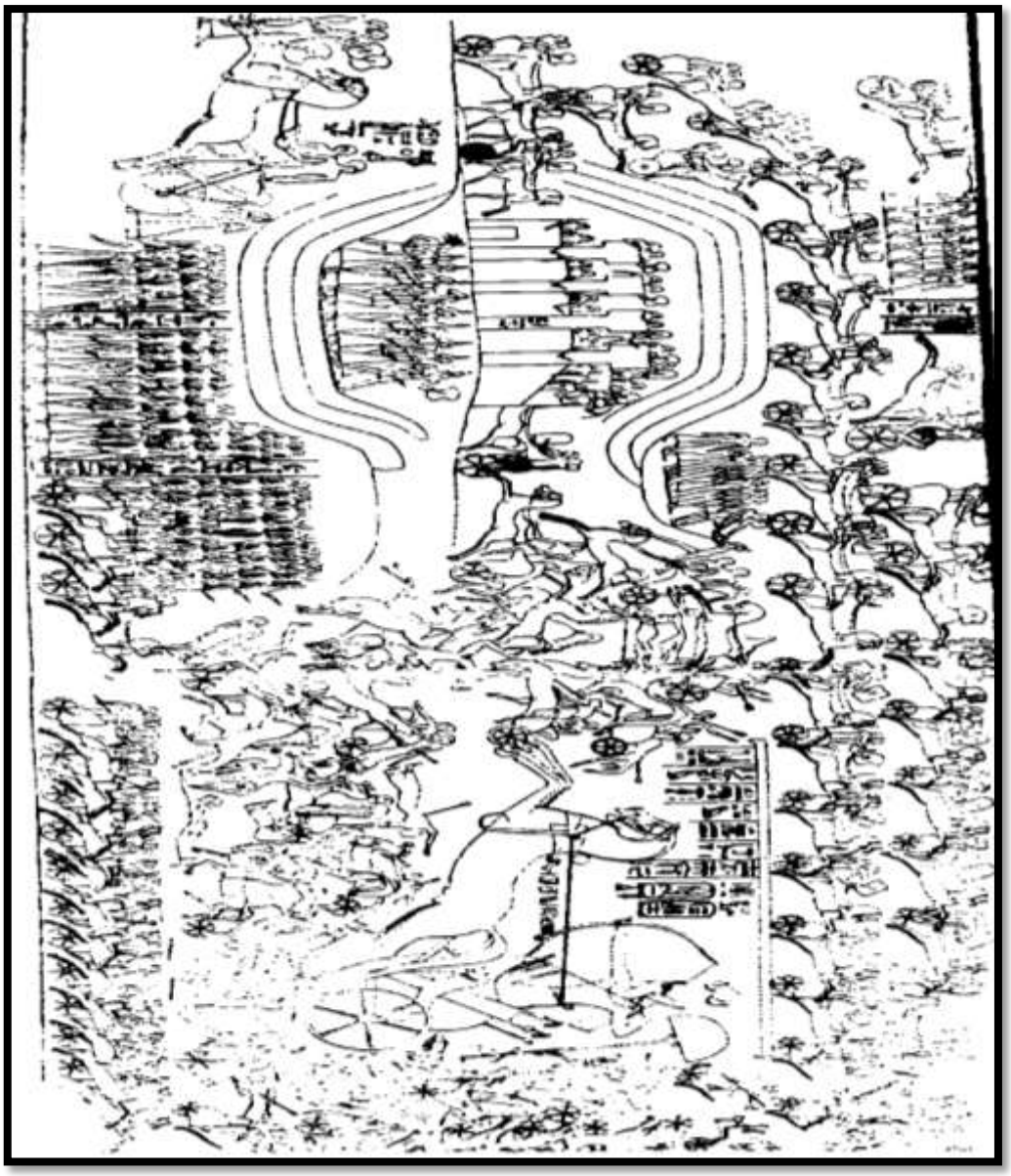

**معركة قادش بشكل مفصل من على معبد الاقصر.**

في غضون ذلك عقد التحالف (المصري – الحثي) بعد ظهور "الأشـــوريين" كقوة عسكرية في المنطقة كان لها خطرها على قطبي التحالف بعـــد ان اســـتولى الأشوريون على ميتاني.

ثم قويت العلاقات بين مصر والحثيين حينما تزوج " رمسيس الثاني " البنت الكبرى لملك الحثيين بعد ثلاثة عشر عاماً من توقيع معاهدة التحالف ، ولكن على الرغم من نقل العاصمة من طيبة الى الدلتا ، وقيام مدينة لهذا الغرض باسم " بـــر

رمسيس (اى دار رمسيس) فأن الضعف اصاب الكيان الامبراطوري وفقدت مصر سوريا وأوشكت على فقدان فلسطين.

**مكتب الشؤون الخارجية للملك رمسيس الثانى – كتشن: ص ١٢٦.**

ويعود اسباب ذلك الضعف الذي لحق بالبلاد الى أسباب عدة كان من أهمها ادخال المرتزقة في الجيش المصري ، والابتعاد عن مركز ومعبد الاله " امون "في " طيبة " بعد نقل العاصمة التي كانت بعيدة عن مجريات الأحداث ، واستنزاف موارد الدولة على المباني الضخمة ، وتدخل أفراد الحاشية والعائلة المالكة في شؤون الدولة بعد ان شاخ "رمسيس الثاني" وكان معروفاً بكرمة مع موظفيه كما يظهر ذلك في العديد من نقوشه ، وتقدم به العمر لذا فإنه لما توفي بعد ان حكم سبعة وستين عاماً ترك لخليفته دولة أصابها الضعف وفي طريقها إلى الانهيار.

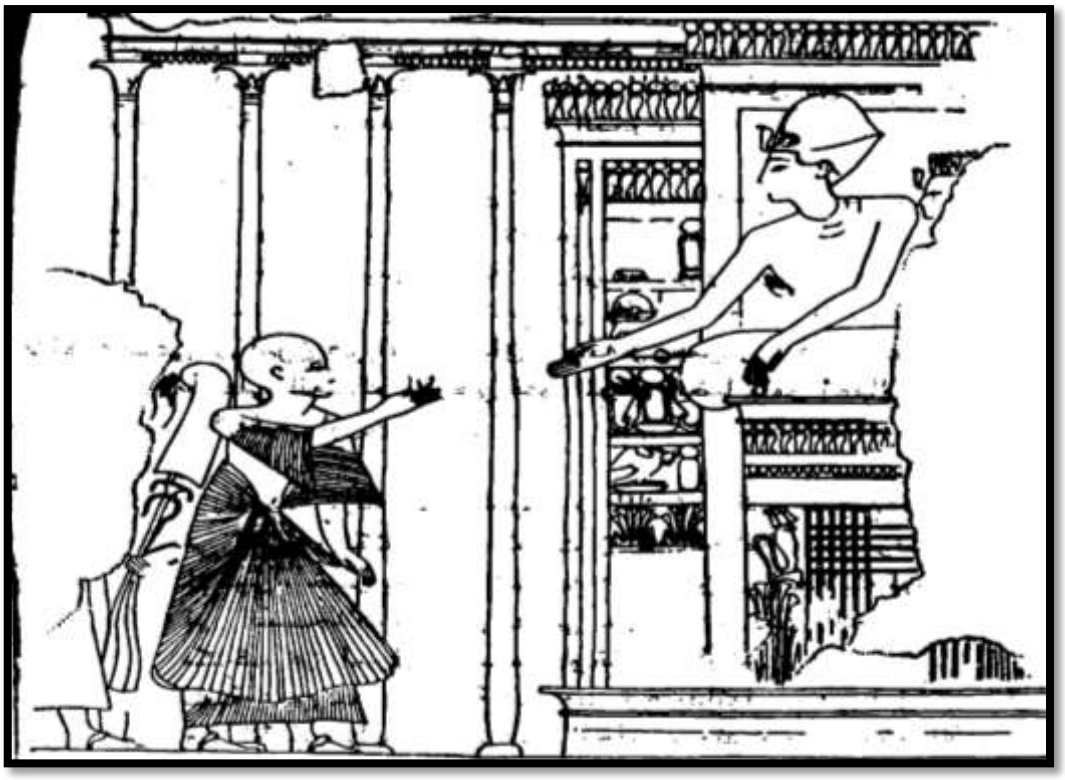

رمسيس الثانى والملكة نفرتارى خلال تنصيب كبير الكهنة "نب وننف" في ابيدوس

اذ خلفه أبنه الثالث عشر "مرنبتاح" الذي شرع بإخماد بعض الثورات ، منها ثورة في سوريا ، وضد هجمات الليبيين في شمال غرب الدلتا. فيما كان الملك الجديد يعاني من كبر سنه لأنه تولى عرش أبيه وكان له من العمر ستون عاماً تقريباً ، فوقف ضعيفاً أمام حاجات البلاد التي كانت تستلزم وجود ملك شاب ليعالج الازمات التي خلفها حكم "رمسيس الثاني" فانتشرت الفوضى والمنازعات المستمرة على حدود المملكة فيما ظهر عنصر جديد في ساحة الصراع الاقليمي وهم شعب جزر البحر المتوسط الذين تحالفوا مع الليبين ، وشرعوا بالضغط على حدود مصر الغربية حتى وصلوا غرب الدلتا.

في تلك الأثناء انهارت دولة الحثيين امام تحركات الشعوب الهندوأوربية التي نزلت في آسيا الصغرى وجزر بحر " ايجه " وبلاد " اليونان " وشمال " افريقيا " مما جعل مصر عرضة لخطرهم.

إلا أن حكم "مرنبتاح" لم يدم اكثر من ثماني سنوات فمات ، تاركاً عرشه فريسة للاختلافات العائلية التي دامت سنوات عدة حكم خلالها ثلاثة ملوك ، تولى العرش اثنان منهم بصفة غير مشروعة ، فلما جاء الثالث محا اسميهما من كل أثر تركاه . كان أولهما "امنمس" وهو ابن " مرنبتاح " فقد تزوج من اخته " تاوسرت " ؛ ليؤكد حقه في العرش إلا أنه توفي بعد عامين تقريباً من ذلك ، ثم جاء " مرنبتاح سبتاح " المعروف بذهابه الى النوبة لقمع ثورة اندلعت هناك وتعينه مندوباً فيها ولم يتول العرش إلاَّ بعد أن اقترن بالملكة " تاوسرت " ذات الأصل الفرعوني التي كانت السلطة الفعلية بيدها لا بيده على الرغم من انه بقي في الحكم ست سنوات فخلفه " سيتى الثاني " الذي بدأ امراء البلاد يناوئونه ويظهرون استقلالهم عنه ، ونتيجة لضعفه سقط حكمه من دون ان يستطيع مسقطوه بلوغ العرش ، فنشبت حرب أهلية في البلاد ، وعم الاضطراب أنحاءها وافتقدت البلاد للحكومة المركزية ، فيما ظهر شخص سوري اسمه "ارسو" ، فبلغ العرش ، وفرض نفسه ملكاً على مصر.

وقد ابقي ارسو في الحكم حتى تمكن " ست نخت " – الذي ربما كان من نسل "رمسيس الثاني " من طرده واعاد الاستقرار والوحدة الى البلاد وعمد الى القضاء على المطالبين بالعرش مؤسساً بذلك الاسرة العشرين (١٢٠٠-١٠٩٠ ق.م) في مصر.

مع ذلك لم يدم حكم " ست نخت " طويلاً بعد أن اشرك ابنه " رمسيس الثالث " معه في الحكم الذي قام باصلاح الإدارة والتنظيم الاجتماعي ، وشيد المعابد فعدَّ من اعظم ملوك هذه الاسرة فضلاً عن ما تقدم فانه انقذ مصر من كثير من الهجمات على الرغم من كل الدسائس والمؤامرات الكثيرة التي كانت تدبر في البلاد بعد توليه العرش .

كما شهد عهد " رمسيس الثالث " مهاجمة الليبيين وحلفائهم حدود مصر الغربية، وانتصاره عليهم قرب مدينة " كوم ابو بللوا " غرب الدلتا ، وحصول اول صدام بين القوات المصرية وشعوب البحر الذين كانوا يبحثون لهم عن مناطق للنفوذ في الشرق . فصد "رمسيس الثالث" هجومهم عند " زامي " وصد هجومهم البحري في الدلتا ، وانقذ " رمسيس الثالث" مصر من خطرهم الذي لا يقل عن خطر غزو الهكسوس، وتكرر هجوم شعوب البحر المتحالفين مع الليبيين في العام الحادي عشر من حكم " رمسيس الثالث " على مصر فهزمهم على حدود الدلتا.

ومع ذلك نعمت مصر في عهد " رمسيس الثالث " بالرخاء واستعانت بالمرتزقة من الأجانب لدعم جيشها ممن اصبحوا من الصعب السيطرة عليهم ، وانتشرت المؤامرات في قصر " رمسيس الثالث " الذي راح ضحية أحدها ، بعد زيادة نفوذ كهنة الاله " آمون رع"، وتعيين بعض الأجانب في البلاط الملكي لأنه اراد التقليل من الاعتماد على الوطنيين الخاضعين لنفوذ الكهنة.

ونتيجة لتردي الوضع الاقتصادي للبلاد جراء الحروب والبذخ على بناء المعابد والابنية الضخمة ، ولتعدد زوجات " رمسيس الثالث " الراغبات بتولي أولادهن العرش بعد وفاة الملك أوصى " رمسيس الثالث " بالعرش قبل مقتله لابنه " رمسيس الرابع " ، ووجه وصية بذلك الى حكام الاقاليم وقادة الجيش في محاولة منه لايقاف الانحلال الذي اصاب الامبراطورية المصرية ومقاومة ذلك الانحلال على الرغم من تردي الأوضاع السياسية واضطرابها في حياته ، فتولى العرش من بعده ثمانية ملوك حملوا نفس اسمه وسارت الأمور خلال عهدهم الى حافة الانهيار حتى قلَّ ان نسمع عن أحدهم قيامه ببعض الانجازات والحملات، لانهم لم يكونوا رجال حرب او رجال اصلاح ، فتضائل نفوذ الملوك ، بينما تزايد نفوذ كهنة " آمون " الذين اصبحت السلطة الحقيقية بأيديهم فساد الفساد في الدوائر الحكومية.

في خضم تلك الظروف والاجواء تولى " رمسيس الرابع " العرش المصري لمدة ست سنوات اهتم خلالها ببناء المعابد وتزيينها ، ثم جاء " رمسيس الخامس " من بعده الا انه توفي بعد مدة قصيرة لأصابته بمرض الجدري ، فلم يدم عهده الا اربع سنوات فقط ثم تولى العرش من بعده " رمسيس السادس " ، الذي كان يقيم في الدلتا وحكم لمدة سبع سنوات فقط اعقبه بعدها " رمسيس السابع " الذي اضطربت الأمور في عهده وعهد من بعده وساءت أحوال البلاد الاقتصادية ، وكثرت سرقات المقابر ، لاسيما في عهد " رمسيس التاسع " حينما بدأ نجم " امنحوتب " رئيس كهنة أمون يرتفع عالياً ، وطغى على شخص الملك وسلطته . فيما ازداد فقر الناس وكثرت حوادث السرقة بعد أن تدهور الوضع الاقتصادي كثيراً وزاد التوتر السياسي.

## السياسة الخارجية لمصر منذ وفاة إخناتون حتى عهد الملك رمسيس الثالث

منذ وفاة إخناتون بدأت تلوح في سماء مصر ملامح ثورة جديدة ، لكنها ليست من نمط الثورات التي تهدف للمجيء بأفكار ومفاهيم مستحدثة لم تعهدها البلاد من قبل ، كما يحدث في معظم الثورات عادة ، وأنما ثورة من طراز آخر ، غايتها الرجوع إلى القديم يوم كانت رايات أمون ترفرف من الشلال الرابع جنوبا إلى الفرات شمالا ، علما بأن ملامحها بدأت بالظهور حتى قبل وفاة إخناتون ، الذي تعرض جراء ذلك لعدة محاولات لاغتياله كادت إحداها أن تصيب هدفها لولا يقظة حراسه واستعدادهم الدائم لحماية ملكهم.

ومن الطبيعي أن يتصدر الدعوة لها وحمل لواءها حزب كهنة أمون الذين فقدوا كل ما لهم من امتياز أو نفوذ إبان عهد أخناتون ، يساندهم في ذلك دعاة مجد مصر التليد ، أو ما يعرف بـ(الحزب الحربي الإمبراطوري ) من كبار قادة الجيش وعامة الجند ، والذين ضرهم قصور أخناتون عن النهوض بواجباته إزاء

ضياع المستعمرات المصرية في بلاد الشام ، وقد وجد هذان الحزبان في تذمر الأهالي مما لحق عاداتهم وعقائدهم الدينية القديمة من إهانة في عهد هذا الملك ، فرصة طيبة لجذبهم للعمل سوية في التصدي له والدعوة لتغييره.

وهكذا كان طبيعياً أن يبدأ الأنقلاب على عبادة أتون ومردوداتها السلبية والعودة إلى عبادة أمون ومردوداتها الأيجابية حال وفاة مبتدع الأتونية مباشرة ، ومما ساعد على هذا أن أخناتون لم يرزق بولد ، فتولى العرش خلفا له ( سمنخ – كارع ) زوج ابنته الكبرى ( مريت أتون ) الذي لم يكن كفوءاً لأدارة شؤون الدولة ، فحكم مدة يسيرة ( ١٣٥١– ١٣٤٩ ق.م ) اكتنفها الغموض ، ثم تبعه في الحكم توت – عنخ أمون ( ١٣٤٩–١٣٤٠ ق.م) وهو صهر آخر لأخناتون وكان لحظة توليه العرش صبيا صغيرا لا يتجاوز عمره تسع سنوات ، فقوي نفوذ كهنة أمون على حسابه ، مما اضطره لمسايرتهم والشروع بتنفيذ المراحل الأولى لعملية الأنقلاب الكبير هذا .

وتبدو بوادر التغيير هذه هدأت نسبيا من روع المجتمع المصري وعززت ثقته بنفسه وبمعتقده ، كما إنها أسهمت إلى حد ما في وحدة طبقاته وتماسكها إزاء الأمور الملحة والضرورية التي تواجه البلاد ، وهذا ما انعكس بدوره إيجابيا على توجهات مصر الخارجية في عهد هذا الفرعون ، ولا سيما إزاء بلاد الشام التي شهدت آنذاك بعض المتغيرات والتطورات السياسية ، التي خدمت المصريين وضاعفت من فرص نجاحهم فيه .

فمن بقايا نصوص مقبرة ( حورمحب ) في منف يظهرأن وفداً يمثل سكان بلاد الشام (الأسيويين) حضر إلى مصر ليشرح الأوضاع المأساوية التي كانت تعيشها بلادهم طالباً التدخل لمساعدتهم كما واجه الحيثيون آنذاك ثورات عدة في أنحاء متفرقة من بلاد الشام فلم يتوانَ الفرعون (توت عنخ أمون) في توظيف

هذه الأحداث لصالحه ، حيث أنه حضر بنفسه شخصياً برفقة قائده ( حورمحب ) على رأس الجيش لغزو بلاد الشام ، استناداً إلى لقب (حورمحب) الفخري الذي خلعه على نفسه ((أنه مصاحب سيده في ذلك اليوم الذي انتصر فيه على الأسيويين)) وأرسلت قوة مصرية لاستعادة قادش.

غير أن ذلك كان نصراً مؤقتاً بالغ المصريون في تصوير حجمه كثيراً ، فعلى الرغم من مما وجد على مقابر الخاصة في مصر من نقوش ورسوم تبين نجاح الحملة المذكورة فإن واقع الحال يشير إلى أن جيوش الفرعون لم تنجح إلا في إخضاع بعض فلسطين ، أو إنها على الأرجح غنمت بعض الغنائم منها .

وباستثناء ذلك فإن الجيوش المصرية لم تواجه في هذه الحملة إلا ضروب الفشل باعتراف (حورمحب) نفسه ، فهو يقول في أحد النصوص المنقوشة على (نصب ترميم المعابد) المقام بأسم توت عنخ أمون ما نصه (( إذا كان (جيش) قد أرسل إلى جاهي (سوريه) من أجل توسيع الحدود المصرية ، فإنه لم يفز بأي نجاح ))

كما ان أحد النصوص الحيثية يتحدث عن نجاح شوبيلوليوما في القضاء على الثورة في قادش وطرد المصريين منها ، وعن توغل قواته ثانية بإقليم العمق التابع للمصريين ، رداً على تدخلهم في قادش.

تلا ذلك مباشرة وفاة الفرعون ( توت عنخ أمون ) ، فاضطربت أحوال بلاد النيل لعدم وجود وريث شرعي يخلفه على العرش ، فاضطرت أرملته ( عنخس أن أمون ) لأن تكتب للملك الحيثي ( شوبيلوليوما) ، مانصه (( مات زوجي وليس لي ولد . ويقول الناس ان عندك أولاداً كثيرين . فأذا أرسلت ألي أحد أولادك ، فأنه سوف يغدو زوجاً لي ، لأني أكره أن أختار واحداً من خدمي (رعاياي)

فأجعله زوجي )) ، غير أن شوبيلوليوما خشي أن يكون في الأمر خدعة ، فبعث إلى مصر من يستجلي حقيقة الموقف ، فغضبت الأميرة المصرية من تصرفه هذا ، فأرسلت له ثانية تقول :(( لماذا تقول : أنهم يحاولون خداعي ؟ لوكان عندي ولد ، هل كنت أكتب الى بلد أجنبي بأسلوب فيه مذله لشخصي وبلدي ؟ أنت لاتصدقني . بل تقول لي مثل هذا الكلام ... أعطني أحد أولادك فيصبح زوجي وملكاً على بلاد مصر )) ، فسر شوبيلوليوما لعرضها وقرر أرسال أحد أولاده المسمى (زنازنرا).

ولاريب أن الأميره المصريه ــ عندما أرادت الأقتران بالعائله الحيثيه المالكه ــ كانت على درايه تامه بقانون وراثة العرش المصري الذي يبيح لمن يتزوج ابنة الملك ان يرقى الى العرش

حتى وان كان لا يمت بصلة الـــى البيت المالك ولعلها أرادت من وراء ذلك التخلص من الأقتران بالكاهن العجوز (أي) الذي كان مرشحاً قوياً للزواج منها وتولي العرش المصري أو أنها رمت إلى الأحتفاظ بالعرش المصري ، فلايخرج من عائلتها .

ولكن طموحاتها هذه سرعان ما تلاشت ، حيث أثار أتصالها بالملك الحيثي موجة من السخط والمعارضة لدى الأوساط المصرية المتنفذة ، ولاسيما عند الكهنة الذين عدوا ذلك أمراً لا يمكن التساهل معه تحت أي ظرف كان ، فدبر الكاهن (أي) عملية اغتيال الأمير الحيثي وحرسه الخاص قبيل وصولهم إلى مصر ، ثم استولى على السلطة في بلاده وعزز مشروعيته فيها بالزواج من أرملة سلفه ولحد الآن لا يعرف الكثير عن حكم هذا الملك سوى أنه شيد بعض المباني واستمر حاكما مدة ثلاث سنوات فقط (١٤٤٠-١٣٣٧ ق.م ) توفي بعدها .

فاستشاط شوبيلوليوما غضباً لمقتل ولده وقرر الثأر له من المصريين ، حيث يذكر احد النصوص الحيثية بان شوبيلوليوما ((توجه إلى بلاد مصر وقضى عليها بعد أن شتت قواتها وحطم عربات مقاتليها))

ويجدر بنا أن نفهم من لفظة (بلاد مصر) في هذا الصدد ، إحدى المناطق الشامية التي لازالت خاضعة للفرعون آنذاكولعلها جنوب فلسطين المحاذية لحدود مصر الشمالية الشرقية ، التي لم تنقلب على المصريين حتى في عهد أخناتون فمن الثابت أن الحيثيين حاصروا فلسطين وقبضوا على القتلة وأعدموهم

وبعد هذه الحملة مباشرة ، فكر شوبيلوليوما بإعادة ماتيوازا إلى عرشه وكان قد قضى عشر سنوات لاجئاً عنده ، وذلك للاطمئنان على استقرار سلطته في بلاد الشام ، ولمواجهة المملكة الآشورية التي أخذت تنمو سريعاً بعد تحررها من ربقة الاحتلال الميتاني ولـــذا فقد نقض معاهدته السابقة مع (أرتاتاما الثاني) وأرسل ابنه (بياسليس) على رأس قوة كبيرة عبرت الفرات ودخلت إلى العاصمة الميتانية (واشوكاني) لتعيد (ماتيوازا) إلى عرشه وسط هتافات الجماهير فوجد الأخير نفسه مضطرا لتوقيع معاهدة مع شوبيلوليوما تنازل بموجبها عن جميع الأراضي التابعة لمملكته في بلاد الشام ، والتي حدها الفرات من الشرق ولبنان في الجنوب ، كما نصت هذه المعاهدة على استيلاء ملك كركميش الحيثي (بياسيل) على جميع الأراضي الواقعة على الضفة اليمنى للفرات حتى جنوب مصب نهر الخابور إلى ما وراء مدينة تيرقا (تل العشاره حالياً) ، وعقدت حالة من الصداقة والتحالف الدائم بين البلدين ، أصبحت بموجبها المملكة الميتانية موالية للأباطرة الحيثيين.

وبهذا العمل الجريء يكون شوبيلوليوما قد مهد الطريق لتحثيث شمال بلاد الشام ، استعداداً للمعركة الفاصلة ضد تغلغل النفوذ المصري في الشرق الأدنى القديم وبالوقت ذاته خلق دولة حاجزه بينه وبين أشور الناهضة.

وهكذا فإن شوبيلوليوما حقق ما لم يحققه أي ملك حيثي آخر لا قبله ولا بعده وثبت نفوذ دولته في الجزء الشمالي من بلاد الشام بحيث لم يتزعزع بعد ذلك على الإطلاق بصورة جادة بالرغم من تهديدات المصريين في الجنوب والآشوريين على طول نهر الفرات.

وعندما توفي متاثراً بوباء الطاعون الذي أصاب بلاده في أواخر سني حكمه الطويل ، تولى العرش من بعده ابنه الأكبر (ارنوونداش) الذي قضى في الوباء ذاته بعد سنة واحدة فقط أمضاها في الحكم ، فانتقل العرش إلى أخيه مرسيليس الثاني (١٣٣٩-١٣٠٦ ق.م) الـــذي يعد بحق من أعاظم الأباطرة الحيثيين وكان معاصرا للفرعون المصري حورمحب (١٣٣٨-١٣٠٤ق.م) ذلك الرجل الذي حاز من الوظائف والألقاب إبان عهد الفرعون (توت عنخ أمون) ما جعله انذاك المتصرف الأول بأمور الدولة كافة.

ولم تحدث على الأرجح أية حروب بين هذين الملكين (مرسيليس الثاني وحورمحب) لانشغال كل منهما بمشاكله الداخلية بالدرجة الأساس ، فمرسيليس الثاني قضى معظم سني حكمه في قمع الثورات التي قامت ضده في شتى أرجاء الإمبراطورية الحيثية المترامية الأطراف ، بما فيها الأجزاء الشمالية من بلاد الشام ، التي أعلنت الثورة ما لا يقل عن ثلاثة من ممالكها الرئيسية (كركميش ، قادش ، نوخاشي) وفقا لسجلات بوغازكوي ناهيك عن الطاعون الذي فتك بالبلاد الحيثية وأستمر عشرون عاماً متوالية .

ولا يبدو الملك الحيثي هذا راغباً في التوسع على حساب مصر ، وهو الذي أستنكر في إحدى حولياته على والده غزو أقليم العمق التابع للمصريين .

أما حورمحب فقد ورث تركة من المشاكل الداخلية والمتمثلة بالفساد الذي استشرى في كافة مفاصل الدولة المصرية وعم المجتمع المصري بأسره ، وهو من مخلفات العهد السابق (عهد العمارنه) وهذا ما دفعه للانصراف كلية للإصلاحات الداخلية التي اشتهر بها وإصداره قانونه الذائع الصيت لينأى بنفسه جانباً عن الشؤون الخارجية التي لم يعرها اهتمامه الكافي ، اللهم إلا في قيادته لحملة واحدة لإخماد الثورة التي شبت ضده في بلاد النوبة، وتفاخر بسحقها بوقت قصير ولعله أدرك أيضا قوة المملكة الحيثية وثبات نفوذها في بلاد الشام ، فلم يشأ التورط معها بأية مغامرة حربية ، وأوضاع بلاده الداخلية على مـــا هـــي عليه مـــن التدهور والانحلال

وإزاء ذلك فإن قائمة البلاد المغلوبة التي دونها (حورمحب) على الجانب الشمالي من بوابة معبد الكرنك الحادية عشرة ، وورد ضمنها أسم بلاد الحيثيين ، لا تعدو أن تكون أكثر من تقليد من التقاليد التاريخية التي انتهجها ملوك مصر للتباهي والتفاخر من قبله ومن بعده، وربما تشير إلى الحروب التي شنها هذا الفرعون أثناء عهد (توت عنخ أمون) أي قبل توليته الحكم .

وأسهمت اعمال مرسيليس الثاني واصلاحات حورمحب في اعادة الاستقرار الداخلـــــــي لبلديهما وتوطيد أركانه ، فالملك الحيثي عندما توفي ترك لأبنه وخليفته على العرش موواتاليش ( ١٣٠٦-١٢٨٢ق.م ) إمبراطورية ثابتة الأركان محاطة بالعديد من الممالك التابعة تمتد شرقا إلى بلاد أشور و جنوبا إلى جبال الكرمل والجليل في حين إن إصلاحات حورمحب كانت ناجحة إلى الحد الذي سمح للملوك من بعده باستئناف نشاطهم الخارجي وتحقيق انتصارات باهرة .

ولذلك فإن تجدد الحرب المصرية ــ الحيثية ، كانت أمراً متوقعاً بعد هذه المستجدات ولا سيما في ظل الرغبة الجامحة لملوك الأسرة التاسعة عشرة

المصرية (١٣٠٦-١٢٠٠ ق.م) لاسترجاع سلطانهم الضائع في بلاد الشام ، يقابلها إصرار الحيثيين بالاحتفاظ بالمناطق التي أخضعوها .

بدأت ملامح الحرب تظهر للعيان منذ أن اعتلى رعمسيس الأول عرش مصر ، بالرغم من أنه ارتقى العرش مسناً ولم يدم حكمه سوى عامين (١٣٠٦-١٣٠٤ ق.م) ، حيث أن هذا الفرعون أشرك في السنة الثانية من حكمه ابنه ( سيتي الأول ) ، الذي قام بإصلاح الطريق الممتد من حصن ثارو على حدود مصر إلى غزة ، ورمم القلاع المشيدة لحراسة صهاريج المياه على ذلك الطريق ، تمهيدا لاستئناف الحملات على بلاد الشام ولكن وفاة الفرعون المفاجئة حالت دون المباشرة بتنفيذ هذا المشروع .

ولما تولى (سيتي الأول) الحكم بعده (١٣٠٤-١٢٩٠ ق.م) انتفض البدو في صحراء مصر الشرقية واستولوا على ثلاثة وعشرين حصناً على طول الطريق الممتد ما بين القنطرة وغزه الذي يعد ممراً رئيسياً لقوافل التجارة بين مصر وبلاد الشام وفي الوقت ذاته ازداد الوضع في فلسطين إحراجاً وتعقيداً ، إذ أن البدو المحيطين بها أخذوا بالاستيلاء تدريجياً على كافة أرجائها ، وبتصعيد أعمالهم العدائية ضد سكانها ، فوصلت أحد التقارير إلى الفرعون يشكو له الحال بالقول (( لقد اتحد رؤساء البدو معا وأخذوا يضعون أيديهم على فلسطين ، وهم الآن يفتكون بالناس غير مكترثين لقوانين القصر الملكي)) .

غير أن ذلك كله لم يثن الفرعون عن عزمه عن إتمام مهمة والده في بلاد الشام ، فمنذ السنة الأولى لحكمه شهر سيفه عالياً وبدأ بالقضاء على تمرد البدو في الصحراء الشرقية وأستعاد جميع الحصون التي أخذوها ، ثم خرج غازياً لفلسطين فشتت جموع البدو الذين حاولوا إعاقة تقدمه وفرض سيطرته المطلقة على الأجزاء الجنوبية منها ، فيما يرجح أنه أخضع معظم أجزائها الشمالية أيضاً كما

أدت حملته هذه لتأمين ساحل فلسطين بحيث أصبح جاهزاً لرسو السفن المصرية الحربية القادمة من السواحل المصرية للقيام بحملات حربية في المستقبل.

لقد شكلت انتصارات المصريين الأخيرة هــذه خطراً ينذر باقتراب مواجهتهم المقبلة مــع الحيثيين وتابعيهم في بلاد الشام ، ولا سيما مع المملكة الأمورية التي أسسها (عبد عشرتا وابنه عزيرو) في أعالي نهر الأورنت ، والتي كانت (( بمثابة حد فاصل منيع بين شمالي فلسطين جنوبا ووادي نهر الأورونط المكون لحدود مملكة الحيثيين الجنوبية شمالاً )) ، لذا فإذا ما أريد

الاصطدام بالحيثيين بغية إخضاعهم فلابد أولاً من إخضاع هذه المملكة ، وكان في نية الفرعون أن ينجز هذه المهمة في السنة الثانية من حكمه ، ولكنه اضطر آنذاك للتوجه إلى حدود بلاده الغربية لمواجهة أقوام من الهندواوربيين نزلوا في وقت سابق على الشواطئ الليبيه وأخذوا بالتسرب إلى الدلتا الغربية وأثارة الاضطرابات فيها ، وقد تمكن الفرعون من إيقاع الهزيمة بهذه القبائل وطردها من بلاده شر طردةٍ ثم توجه مباشرة إلى بلاد الشام فاجبر المملكة الامورية على الخضوع له بالرغم من الدعم والمساندة التي كانت تتلقاها الاخيرة من حلفائها الحيثيين ، ولعله في هذه الحملة استولى على مدينة قادش كما يتضح من الرسوم المصرية المنقوشة على جدران معبد الكرنك واللوحة المكتشفة في قادش التي يظهر فيها الفرعون منتصرا ثم زحف بجيوشه مباشرة إلى الشمال، فاصطدم بالجيش الحيثي شمال قادش على نهر الأورنت ودارت معركة كبيرة بين الطرفين ، تباينت الآراء بشأن نتائجها، ففي حين ذهبت الرواية المصرية تأكيد عودة سيتي الأول من المعركة منتصراً ومعه الأسرى والغنائم ، نجد أن الرواية الحيثية تذكر عكس ذلك تماماً، مبينةً بأن الملك الحيثي (مورواتاليش) كان يريد أن يتفادى الحرب مع مصر لأنه يمقت الحروب.

والرأي الراجح أن تلك المعركة لم تسفر عن نتيجة حاسمة وأن أدت إلى توقف الزحف الحيثي نحو فلسطين وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وإرجاع الحيثيين قليلاً إلى الشمال

على اية حال شرع سيتي الاول بعد انتهاء المعركة بتنظيم شؤون المناطق المفتوحة ، فأرسل العمال المصريين إليها ووضع الحاميات العسكرية في معاقلها الرئيسية ، كغزة وعسقلان ومجدو وغيرها وبذلك يكون (سيتي الأول) أول ملك مصري يضطلع بالدور الأهم لاستعادة الهيمنة المصرية على بلاد الشام ، ومع إنه لم يسترجع سوى ثلث ممتلكات بلاده

هناك التي جلها قريبة من الحدود المصرية فإن من الواضح أن فتوحاته افهمت الحيثين ان مصر لم تعد كما كانت عليه ايام اخناتون غير أن الأمر اللافت للأنتباه ، أن سيتي الأول لم يواصل فتوحاته في بلاد الشام ، بل اكتفى بما أحرزه من نتائج في حملتيه المذكورتين ومن ثم عاد إلى بلاده ، فاستقبله الناس بالفرحة

ولعل التفسير المقبول لهذا أن الفرعون أدرك قوة الحيثيين ومدى ثبات ورسوخ جذورهم في بلاد الشام لاسيما أن الاحتلال الحيثي للأجزاء الشمالية منه رافقه حركة استيطان حيثية واسعة في مدنها الرئيسية مثل كركميش وحلب ، مما يجعل استعادة المصريين لهذه الأجزاء أمراً عسيراً ، لذا فأنه اقتنع على ما يبدو بصعوبة الحصول عل مكاسب إضافية في تلك البلاد، فلجأ إلى إبرام معاهدة ودية مع الملك الحيثي (مووتاليش) أقرت حالة السلام بينهما طوال الحقبة المتبقية من حكمه وعاد بعدها إلى وطنه وجعل همه توطيد السلام في البلاد وتشييد المعابد .

أما الحيثيون فالظاهر أنهم تنبهوا للخطر المصري ، فسعوا بعد المعاهدة إلى بسط نفوذهم على مستعمراتهم في بلاد الشام وتحصينها تحصيناً جيداً ، وأغار (مووتاليش) على وادي الأورنت ، فاستعاد السيطره على مدينة قادش .

ولما اعتلى رعمسيس الثاني عرش مصر (١٣٩٠-١٢٣٦ ق.م) ارسل له مووتاليش الرسالة الرسمية المالوفة في مثل هذه المناسبات ، التي اعتبرتها الوثائق المصرية دليل على تبعيته للفرعون الذي بدأ عازماً منذ البداية لاستئناف الحملات المصرية على بلاد الشام ، حيث اختار لنفسه عاصمة جديدة في شرق الدلتا (بررعمسيس) لتكون على مقربة من مجريات الأحداث في بلاد الشام ، نظرا لبعد العاصمة القديمة (طيبة) عما يجري هناك وأخذ يحشد أبناء مصر للمقاتلة ويستنهضهم ، وضم إليهم أعداداً كبيرة من المرتزقة ، فكون منهم جيشاً عظيماً ، قاده في السنة الثانية من حكمه إلى الساحل الفينيقي وجعل منه قاعدة أمينة لعملياته الحربية في المستقبل جرياً على خطة جده (تحتمس الثالث) وليستطيع منها التقدم ضد جناح مسيرة الحيثيين جنوباً وقد وصل الفرعون في تلك الحملة إلى نهر الكلب قرب بيروت حيث أقام هناك نصبا يمثل لوحا من الحجر الرملي .

لقد كانت التحركات المصرية كافية لانذار الملك الحيثي لما يمكن أن يتوقعه من خطر على نفوذهِ في بلاد الشام ، فبدا يتخذ التدابير اللازمة للمواجهة المرتقبة مع المصريين حيث ضم إليه الكثير من أمراء وملوك الشام المتحالفين معه مثل زعماء (أرواد وكركميش وقادش وكود وكنعان وأغاريت وحلب) بالإضافة إلى الكثير من أتباعه وحلفائه من الممالك الواقعة في وسط وغربي الاناضول ، الذين جلبهم بالتهديد والرشوة ، كأرزوا وكزواتنا ودردني ومنس وبدس وارون وقرقس ولك وغيرها حتى بلغ عدد رجاله ما يقارب من عشرين ألف مقاتل.

وعلم رعمسيس الثاني بذلك ، فسارع الى جمع جيش كبير ضم إليه أعداداً كبيرة مـــن المرتزقة من مقاتلي النوبة الأشداء والشردانييناالذين شكلوا الكتيبة الخاصة لحراسة الفرعون،

ناهيك عن أعداد أخرى من مرتزقة بحر أيجة ولوبيا وفينيقيا وقد بلغ تعداد الجيش المصري زهاء ثمانية عشر ألف مقاتل ، جرى توزيعهم إلى أربع فرق ، أطلق على كل واحدة منها اسم أحد آلهة مصر الكبرى ، ففرقة أمون من طيبة وفرقة بتاح من منف ومصر الوسطى وفرقة رع من هليوبوليس والدلتا وفرقة ستخ من تانيس والحلفاء الشرقيين ، ومن ثم تحرك الفرعون بجيشه هذا ليقطع المسافة من حدود مصر إلى مدينة قادش – حيث دارت المعركة الكبرى مع الحيثيين على أسوارها – بزهاء شهر تقريباً ، أي أن معدل سير الجيش المصري كان خمسة عشر ميلاً يومياً ،وهذه المسافة كانت تعد طويلة بالقياس لإمكانيات ذلك العصر المتواضعة، ويظهر أن رعمسيس الثاني اعتمد إلى هذه السرعة حتى يوجه ضربة خاطفة وسريعة للحلف الذي أخذ الحيثيون بتشكيله قبل أن ينجحوا في تقويته وشد أواصره.

وبالمقابل فإن الحيثيين كانوا على ما يبدو يراقبون عن كثب تحركات القطعات المصرية ومسار تقدمها ، فلما وصلت إلى مسافة غير بعيده عن قادش أرسلوا اثنين من جواسيسهم ليقبض عليهما المصريين وليؤكدا أن القوات الحيثية لازالت بعيدة كثيراً عن قادش ، وأنها تتجمع بالقرب من حلب ، ولأن طلائع الكشافة المصرية لم تعثر على أي أثر للقوات الحيثية على مقربة من قادش ، فقد اقتنع رعمسيس الثاني بما أورده هذان الجاسوسان من معلومات ، فعبر على الفور مصحوبا بفيلق أمون نهر الأورنت ، ثم أتجه شمالاً تتبعه بقية فيالقه على مسافات متفاوتة منه ، ولشدة تحمس الفرعون لفتح المدينة تقدم نحوها بصحبة حرسه

الخاص فقط تاركاً خلفه فيلق أمون يتبعه ، فأدرك الملك الحيثي (مووتاليش) عندئذ بأن خصمه الفرعون قد وقع بالفخ ، فأسرعت قواته بالتمركز شرقي قادش جاعلة منها حدا فاصلا بينها وبين طلائع المصريين التي يقودها رعمسيس الثاني ، ثم قـــام الحيثيون بحركة التفاف بارعة حول قطعات الجيـــش المصري المتقدمة بعبورهم لنهر الأورنت جنوبي قادش ، مما أدى إلى شطرها إلى قسمين حيث حوصرت فرقة رع وأبيد معظمها، كما حوصرت فرقة أمون التي يقودها الفرعون شخصيا ، (ينظر: خارطة رقم ٤ )وكاد الأخير يقع فـــي الأسر لولا شجاعته التي مكنته مـــن قيادة حرسه الخاص لفتح ثغرة في الطوق المفروض عليه من جهة الشرق ، ولولا انشغال الحيثيين بنهب المعسكر المصري وعدم ملاحقة فلوله المنهزمة ، مما أفسح المجال للقوات المصرية لأن تلتقط أنفاسها قليلاً وتبدأ بالبحث عن السبل الكفيلة للخروج من هذه الورطة التي وضعهم فيها قادتهم الذين لم يحسنوا مراقبة تحركات الحيثيين والمناطق التي احتشدوا فيها ولحسن حظ المصريين وصلت في ذلك الوقت الحرج تعزيزات إضافية لقواتهم المحاصرة ، مصدرها الساحل الفينيقي فانقضت على ثلة من الجنود الحيثيين التي كانت منهمكة بأعمال السلب والنهب وأبادتهم عن أخرهم ، مما أسهم في إفساد النصر الذي أنجزه الجيش الحيثي في أول المعركة ، فأنعكس ذلك أنعكاساً سلبياً على معنوياته ، وفي الوقت ذاته أدى هذا التطور إلى تقوية عزائم المصريين وأعطى الفرصة الكافية لرمسيس الثاني لأن يعيد استجماع قواته المتفرقة حوله مما دعم من مركزه الحربي في انتظار وصول فيلق بتاح ، ولم يطل انتظار رعمسيس كثيرا فمع غروب شمس ذلك اليوم العصيب التحقت فرقة بتاح للمعركة.

ويبدو أن الحيثيين بعد أن رموا كل نبالهم أنسحبوا الى ما وراء نهر الأورنت ، وفي صباح اليوم التالي للمعركه أرسل مووتاليش بخطاباً إلى رعمسيس الثاني

ليحدد له فيه يوم القتال ، ولا يحتوي عرضاً للصلح كما يذكر رعمسيس الثاني ، غير أن الأخير وجد من الأفضل تجنب قتال الحيثيين والأنسحاب نحو الجنوب.

وبهذا يكون رعمسيس الثاني قد تخلص من ورطة حقيقية وضع نفسه وجيشه بها ، وإذا كان هنالك من نصر يفتخر بإحرازه على الحيثيين ، فإن النجاة من هذه الورطة أكبر نصر تحقق ومع هذا فقد أدعى رعمسيس االثاني أنه أحرز النصر في المعركة وطرح اعداءه في مياه نهر الاورنت (( كالتماسيح ، وقد سقطوا على وجوههم الواحد فوق الاخر وتمكن من قتل من شاء قتله )) وهذا ما يناقض الرواية الحيثية عــن المعركة التي تؤكد انتصار الحيثيين فيها وملاحقتهم لفلول الجيش المصري المنهزمة حتى مدينة دمشق.

ويبدو أن الرواية الحيثية هي أقرب للصحة ، فقبل وقوع المعركة كان رعمسيس الثاني يخطط لاستعادة إمبراطورية جده الأكبر (تحتمس الثالث) في بلاد الشام ، وطرد الحيثيين منها وهذا لم يتحقق إطلاقا في تلك المعركة ، بل إن مدينة قادش التي كانت تعد المركز الأمامي للنفوذ المصري في بلاد الشام في أوائل عهد أمنحوتب الثالث ، ودارت المعركة الكبرى على أبوابها لم يتسنَ للمصريين استعادتها.

وليس ذلك فحسب ، بل كانت هذه المعركة وبالا حقيقيا على مصر ومركزها السياسي في بلاد الشام ، فمن جهة نجح الحيثيون في إخضاع عدد من الممالك الشامية التي كانت تدين للفرعون بالولاء قبيل بدء المعركة كمملكة أبينا ومملكة أمورو.

ومن جهة أخرى فإن آثار هذه المعركة سرعان ما امتدت إلى فلسطين إذ تشجع سكانها بتحريض ودعم من الحيثيين ، فأعلنوا الثورة على المصريين ثم آثارها امتدت بالتدريج لتبلغ ((الشمال الشرقي للدلتا واضطر رعمسيس أن يبني

لإمبراطوريته من جديد وأن يسترجع ما فتح والده)) ، وذلك في حملته الثالثة على بلاد الشام ، التي وقعت في السنة الثامنة من حكمه واستمرت ثلاث سنوات متوالية وأدعى فيها الفرعون أيضا -ليغطي على هزيمته في قادش- أنه حارب الحيثيين مرة أخرى ، وقوض مملكتهم في بلاد الشام ، واستولى على بلاد ميتاني وأخضع سكان كريت.

وهذا ما لم تشر إليه غير الرواية المصرية التي اتضح للباحث أنها تتصف غالبا بالمبالغة والبعد عن الواقع ، ولا يستبعد أن كتاب السير الكلاسيكية القديمة قد أسندوا إلى رعمسيس الثاني وحده كل هذه الوقائع الحربية التي أنجزها تحتمس الثالث وسيتي الأول ورعمسيس الثالث ، كما أن شواهد الأحداث التالية لا تؤيد هذا بتاتاً ، إذ لـــم تمضِ إلا بضع سنين عـــلى هذا حتى أنتهى التنافس بتقسيم بلاد الشام الى منطقتي نفوذ ، أحداها مصرية والأخرى حيثية.

وعلى أية حال ، فبعد الحملة المصرية الأخيرة على بلاد الشام توفي ( موواتاليش ) العدو اللدود لرعمسيس الثاني ، فخلفه ابنه في الحكم أورخي – تيشوب (١٢٨٢–١٢٧٥ ق.م) ، ويبدو أن هذا الحدث أسهم في تخفيف حدة التوتر والعداء بين مصر والدولة الحيثية ، حيث لم يتحرج الملك الحيثي الجديد في الطلب من الفرعون المصري التدخل لصالحه في صراعه مع عمه (خاتوشيليش الثالث) ولعله حصل على وعد منه بذلك .

وعندما انتصر خاتوشيليش الثالث على ابن أخيه الملك ، واعتلى العرش الحيثي بدلا عنه (١٢٧٤–١٢٥٠ ق.م) فأنه كتب برسالة الى رعمسيس الثاني ، يقول (( تسلمت السلطة ، فما ارسلت الي سفيراً ، ومع ان العرف والعادات بين الملوك قد جرت على ان يرسلوا عند تولي السلطة هدايا نفيسه ، وثياباً ملكية

وزيوتاً معطرة ، فانك ، انت ، في هذا اليوم لم تفعل ذلك)) فرد رعمسيس الثاني على الملك الحيثي برسالة امتازت عباراتها بالبرود والسطحية .

واستمرت المناوشات المتقطعة بين الجانبين في بلاد الشام حتى السنة الحادية والعشرين من حكم رعمسيس الثاني ، ومن ثم بدءا مفاوضات جادة ، ادعى كل طرف ان الطرف الاخر كان المبادر بها ، وتوجت بإبرامهما لمعاهدة قادش للصلح سنة (١٢٦٩ ق.م) وهي المعاهدة التي ما من شك أن عوامل عدة كانت وراءها ، لعل من أهمها إدراك كلا الطرفين المتنافسين قوة الطرف الآخر وإصراره على التمسك بنفوذه في بلاد الشام ، وخاصة الطرف المصري الذي أدرك على ما يظهر صعوبة بسط سلطانه علـــى كامل التراب الشامي في ظل القوة الهائلة للدولة الحيثية واستيطان أعداد كبيرة من سكانها في الأجزاء الشمالية من البلاد وبناءهم لعلاقات حلف وحسن جوار مع السكان الآخرين هناك كما ذكرنا قبل قليل ، ثم أن كلتا الدولتين المتباريتين واجهت آنذاك ضغوطا خارجية ومشاكل داخلية جمة دعتهما إلى البحث عن حل سريع للصراع بينهما ، للتفرغ لمواجهة هذه المخاطر والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها .

وبالنسبة للمملكة الحيثية ، فـــأن نجاح الملك الآشوري أدد – نيراري الأول (١٣٠٧-١٢٧٥ ق.م) فـــي إخضاع المملكة الميتانية ، أثار مخاوفها كثيراً لأن الأخيرة كانت بمثابة الحاجز بين الدولة الحيثية من جهة والدولة الآشورية من جهة أخرى ، وإن زوالها يعني أن الحدود بينهما أصبحت متلاصقة لا يفصلهما سوى نهر الفرات حيث بات الآشوريون يهددون الحدود الشرقية للمملكة الحيثية من جانب ، والمناطق التابعة لها في بلاد الشام من جانب آخر ومما عزز من المخاوف الحيثية ، الرسالة التي بعث بها الملك الآشوري (أددنراري الأول) إلى نظيره الحيثي (خاتوشيليش الثالث) ودعاه فيها لزيارة جبال الأمانوس وهي

الرسالة التي أثارت امتعاض الملك الحيثي وعدها بمثابة تهديد مبطن من قبل الآشوريين لغزو هذه المنطقة الخاضعة للسيطرة الحيثية ، ثم أن فشل محاولة الملك الميتاني (وسشتا) للتخلص من الحكم الآشوري بأعلانه الثورة على الملك الآشوري شلمانصر الأول (١٢٧٤-١٢٥٠ ق.م) ، أدى للقضاء التام على المملكة الميتانية ، حيث ألحقت أراضيها بالدولة الآشورية ، وهذا زاد من المخاوف الحيثية ، ولاسيما أن الحيثيين أصبحوا في حالة عداء علني للآشوريين نتيجة للدعم الذي قدموه الى الملك الميتاني أثناء محاولته التصدي

للآشوريين.

كما واجه الحيثيون عدة مشاكل في الداخل ، تمثل جزءاً منها بالحرب الأهلية التي حدثت بين الملك الحيثي (أورخي – تيشوب) وعمه (خاتوشيليش الثالث) ومع أن الأخير انتصر في الحرب واعتلى العرش الحيثي كما أسلفنا فإن ذلك لم يكن ليمنع مخاوفه من أن تصبح مصر ملجأ لخصومه السياسيين ناهيك عن المشاكل التي كانت تثيرها بين الحين والحين بعض القبائل المتمردة في بلاد الأناضول ، وخاصة قبائل الكاسكا القاطنة في شمال البلاد.

أما مصر فكانت تنظر بعين الريبة والشك على ما يبدو أيضا نحو الآشوريين ويساورها القلق نفسه الذي كان يساور نظيرتها الدولة الحيثية إزاء الأطماع الآشورية في بلاد الشام، فيما كان لقبائل الليبو الرعوية تأثير كبير في إقلاق حدود مصر الغربية.

وهكذا فإن هذه الأمور مجتمعة قادت كلا الدولتين إلى نبذ سياسة العنف والقوة والاحتكام لمنطق العقل والحوار في حل المشاكل العالقة بينهما ، مما أدى

في نهاية المطاف للتوصل لعقد معاهدة قادش الشهيرة ، تلك المعاهدة التي وضعت حداً نهائياً للصراع والتنافس بينهما والذي استمر مدة قرنين من الزمن تقريباً ، وقد كتبت بنصين ، أحدهما النص الحيثي المدون بالخط المسماري والآخر النص المصري المدون بالخط الهيروغليفي المصري .

ومجمل ما ورد بالمعاهدة في كلا النصين متطابقاً تقريباً ، عدا بعض الاختلافات الشكلية وبدت معظم بنودها تجسيدا حيا وواقعيا للمشاكل التي كانت تعانيها الدولتان المتعاقدتان ، وقادتهما للتوقيع عليها ، فقد نصت المعاهدة علـــى إشاعة أجواء الطمأنينة والسلام بينهما محل أجواء الحروب والمنازعات ، وشددت على أن يلتزم كل من الطرفين بعدم الاعتداء على الطرف الآخر في المستقبل ، وأن يكونا يدا واحدة ضد أي خطر خارجي يتهددهما – في إشارة ضمنية على ما يبدو للخطر الآشوري الماثل للعيان – وأن يتحدا أيضا لقمع الثورات التي قـــد

تواجهما في أي جزء من مملكتيهما ، مما يؤكد الرغبة الصادقة لكلا الطرفين بالحفاظ على العلاقات الودية بينهما ليس في تجنب دعم أي طرف منهما للثورات ضد الطرف الآخر فحسب، بل وفي وقوفهما سوية لقمع هذه الثورات ، كما تبدو في الاتفاقية روح تميل لتلافي كل ما يمكن أن يكدر صفو العلاقات المستقبلية بينهما ، إذ نص أحد بنودها على تعهد كل من الطرفين بإعادة الهاربين واللاجئين السياسيين الذين يفدون إليه من الطرف الآخر إلى بلادهم ، شريطة أن يحافظ كلاهما على أمن وسلامة هؤلاء الوافدين بعد عودتهم إليه ، وشدد بند أخر في هذا الخصوص على ضرورة الاعتراف المتبادل بارتقاء الملك الجديد إلى العرش بعد موت الملك السابق وزاد النص الحيثي بندا يلزم الفرعون بضرورة أن يقدم الدعم والمساعدة لوريث العرش الحيثي مستقبلاً ، إذا ما تعرض الأخير لتحد لسلطاته على بلاده ، ولضمان التقيد ببنود هذه الاتفاقية في نظر المتعاقدين، فقد اشهدوا

ألف معبود ومعبودة حيثية وعدد مماثل من المعبودات المصرية ، مؤكدين أنها تنزل الخراب والدمار بالطرف الذي لا يحترم الاتفاقية ولا يطبق نصوصها ، في حين أنها ستبارك وتمد بالعمر والرفاهية للطرف الذي يتعامل بإيجابية مع بنودها.

والحقيقة أن المصريين والحيثيين تقيدوا ببنود هذه المعاهده واحترموها ، إذ لا يوجد ما يشير لاحقا لتدهور العلاقات فيما بينهما ، أو تجدد تنافسهما على بلاد الشام ، أو على أي مكان آخر، لا بل أن العلاقات بينهما أصبحت على ما يرام بعد توقيع المعاهدة ، فقد تبادل الفرعون رعمسيس الثاني وزوجته (نفرتاوي) الرسائل الوديه مع الملك الحيثي خاتوشيليش الثالث وزوجته (بودوخيبا) ، وتزوج الفرعون من أثنتين من بنات الملك الحيثي هذا ، وذلك بخطوةً يبدو أن الدافع الرئيسي ورائها تثبيت بنود المعاهدة المذكوره مما أسهم في تطور العلاقات المصرية – الحيثية واضطراد نموها وتقدمها ، إلى حد أنها لم تتأثر لاحقا طوال المدة المتبقية من عمر الدولة الحيثية ، حتى أن (رعمسيس الثاني) كان يبادر إلى نفي أية إشاعة تثار حول طبيعة العلاقـــة الودية التـــي تربطه بالحيثيين ، إذ رفض ادعاءات حاكم ميرا المشككة بهذه العلاقة ، وكتب له يقول (( أن العلاقة الجيدة التي أقامها الملك العظيم ملك مصر مع ملك خاتي أخي بأخوة وسلام )) ، وقد دلل حجم النشاط التجاري المتبادل بين البلدين في عهد رعمسيس الثاني على قوة هذه العلاقات ومسار تقدمها،حيث اشار احد النصوص لاستيراد المصريين الاسلحة والخمور والفاكهة من بلاد الحيثيين ، فضلاً عـــــن الاغنام.

وتمسك الفرعون المصري (مرنيتاح) بالتزامات بلاده إزاء الحيثيين ، فعندما شكى له الملك الحيثي تودهيلياس الرابع (١٢٥٠-١٢٢٥ ق.م) المجاعة التي ألمت ببلاد الحيثيين نتيجة لانقطاع الأمطار ، ســـارع الفرعون لإسعافه بكميات كبيرة من الحنطة للمساعدة في مواجهة خطر المجاعة تلك .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أدى أبرام معاهده قادش إلى عودة الهدوء والاستقرار الى منطقة الشرق الادنى القديم ، فنشطت حركة التجارة وازدهرت المدن الفينيقية كما عاد الدفيء الى العلاقات المصرية الشامية ، فلم يخرج رعمسيس الثاني بعد المعاهدة في اية حملة الى بلاد الشام ، مع أنه أمضى حينها في الحكم سته وثلاثون عاماً .

هذا واستمر الوضع على هذا المنوال حتى لاحت في الأفق بوادر تغيير جديدة في موازين القوى في منطقة الشرق الأدنى القديم ، بقدوم موجات جديدة من موجات المهاجرين إليها في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، والمتمثلة هذه المرة بموجة مهاجري شعوب البحر التي نجحت أحدى قبائلها (الفريجيون) في أسقاط الدولة الحيثية حوالي سنة (١٢٠٠ ق.م) فيما أندفع قسم من أولئك المهاجرين إلى حدود مصر الشرقية ، فتصدى لهم المصريون بقيادة الفرعون مرنبتاح (١٢٣٦-١٢٢٣ ق.م) وردوهم على أعقابهم ، غيـــر أن الغزاة سرعان مـــا أعادوا الكرة مرة أخرى وأخذوا ينافسون مصر على بلاد الشام ويحاولون غزو الدلتا واحتلالها، وفي تلك الأثناء حاولت موجة أخرى من موجاتهم اجتياح مصر من جهة الغرب ، فلم يتسنَ لهم تحقيق ذلك وضلت مصر محافظة على حدودها ونفوذها السياسي في بلاد الشام طوال عهد مرتبتاح حتى أواخر حكم رعمسيس الثالث (١١٩٢-١١٦٠ ق.م)

إلا أن وفاة رعمسيس الثالث ومجيء فراعنة غير أكفاء واستمرار تدفق شعوب البحر على بلاد الشام، أضاع نفوذهم السياسي في تلك البلاد تماما ، إلى درجة ان حاكم جبيل اعتقل رسلاً مصريين مدة سبعة عشر عاماً من دون أن يسمح لهم بالرجوع إلى بلادهم ، ورفض الاعتراف بسلطان مصر على بلاده ،

كما لم يزود مبعوث الفرعون رعمسيس التاسع (١١٤٢-١١٢٣ ق.م) بأخشاب الأرز التي طلبها لبناء معبد لأمون.

من الطبيعي أن يكون لممالك منطقة الشرق الأدنى القديم موقف ما إزاء التنافس ، ولا سيما أن أحداثه وقعت في بقعة تعد حلقة وصل رئيسية تربط هذه الممالك بعضها بالبعض الآخر وبين المملكتين الأبرز قوة في تلك المنطقة آنذاك .

ولا بد أن كلاً منهما حددت موقفها من التنافس ، على أساس ظروفها ومصلحتها ومدى تأثرها وتأثيرها به ، ناهيك عن نوع علاقتها بهذا الطرف أو ذاك من الأطراف المعنية بالموضوع ، ومن هنا جاءت ردود أفعالها ومواقفها متباينة

أما " رمسيس العاشر " فقد شهد عهده الذي دام ثمانية اعوام اضراباً للعمال بسبب رفض كبير كهنة " آمون " صرف رواتبهم ، ففي عهد " رمسيس العاشر " اصبحت قوة كهنة " امون " تعوق ما كان للفرعون الصغير السن ، لاسيما بعد وضعه تحت رعاية أحد أبناء كهنة " آمون " الذي كان يعمل في خدمة معبد " آمون " فزاد ذلك من نفوذ كبير الكهنة " امنحوتب" لدرجة أنه أرغم الفرعون على التخلي عن جزء كبير من الأوقاف العائدة للتاج لمصلحة كهنة "آمون" ، وأصبح الفرعون أداة بسيطة بأيدي كبير الكهنة.

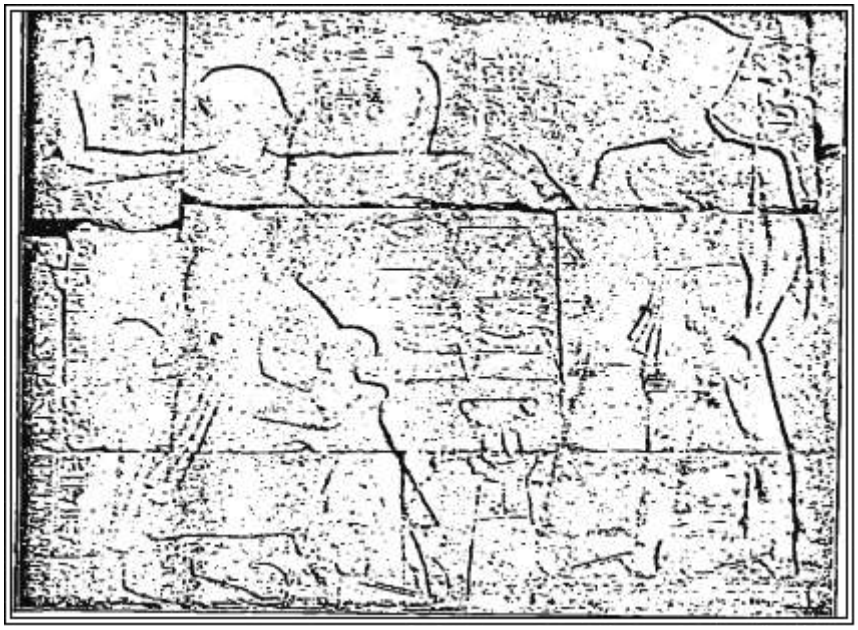

**أمنحتب يتلقى إنعام رمسيس التاسع ويلاحظ أن الكاهن إلى اليسار يتبادل فى الحجم مع رسم الملك إلى اليمين الأمر المخالف للعادات القديمة. برستد. مصر القديمة، ص٣٤٤.**

وبدأ في عهد " رمسيس الحادي عشر " اتجاه جديد اساسه محاولة تنظيم البلاد ، وتطهير كافة مرافقها مما وصلت إليه من تدهور من خلال تجدد الثورات التي ادت الى هروب " رمسيس الحادي عشر " الى " طيبة " حيث استقبله " حريحور " كبير كهنة "آمون" الذي عدَّ نفسه سيداً لمصر على الرغم من اعتلاء " رمسيس الحادي عشر " العرش رسمياً ، الذي ما ان توفي حتى اعلن الكاهن الاكبر لامون نفسه ملكاً منهياً الاسرة العشرين في الوقت نفسه الذي كان الامير المحلي " سمندس " يمارس سلطته الموالية " لرمسيس الحادي عشر " منذ بداية حكمه ، لذا فما ان انتهت الأسرة العشرون حتى انقسمت مصر إلى قسمين: أحدهما في الشمال **بزعامة** " سمندس " ، واخر في الجنوب بزعامة " حريحور " .

## الدور السياسى لملكات مصر خلال الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر.

### الملكة تي (١٤١٧-١٣٧٩ق.م)

كانت الملكة تي ابنة كاهن ريفي، وأصبحت من سيدات الحريم اللواتي خدمت والدة الملك، أعطيت امتيازات لم تمنح لأية امرأة سابقة من قبل وتم رفع

شأن والديها ولاسيما والدها الذي اكتسب ألقاب الشرف ومنها لقب (أب الإله)، وهي التسمية التي كان يشار بها إلى آباء زوجات الملوك، وأصبحت أمها كبيرة سيدات حريم الإله أمون، وعين احد أعمامها كاهنا أعلى (بهليوبوليس)، وعلى الرغم من تواضع مكانة والديها فقد جرى دفنهما بوادي الملوك، وفق مراسيم ملكية، وقد تم الكشف عن ضريحها الفخم من قبل بعثة الآثار الأمريكية بكل محتوياته الثمينة سليمة تقريبا، ومن الصعب تحديد الصفات التي رفعت الملكة تي إلى تلك المنزلة في قلب أمنحتب الثالث (١٤١٠-١٣٧٢ق.م) وعواطفه المتقلبة مع أنها لم تكن جميلة المظهر.

إن الحقائق عن سيرة حياة الملكة تي ضئيلة نسبيا، فمن المرجح أنها كانت قد تزوجت وهي في الحادية أو الثانية عشرة من عمرها، وغدت أرملة في الثامنة والأربعين تقريبا، وتوفيت في منتصف عقدها السادس، وقد عرف أنها أنجبت ثلاث بنات، وأنها لم تضع وريث العرش اخناتون إلا بعد عدة سنوات من زواجها، وكانت تي ذات شخصية قوية وحيوية فائقة وبزواجها من الملك أمنحتب الثالث، عملت على إزالة مفهوم المحافظة على نقاء الدم الملكي بشكل واضح، كما أزالت بذلك التقاليد والمعايير السابقة .

لقد كانت تي أم اخناتون أمنحتب الرابع (١٣٧٢-١٣٥٥ق.م)، من أكثر الشخصيات روعة، وقد تمت معالجة دخولها للعائلة المالكة بأسلوب يعد فريدا من نوعه في تاريخ مصر القديمة، وقد كتب على سطح احد الجعران التذكارية حول مركزها المرموق ما يأتي:

"فليحيا أمنحتب الثالث بمنحه الحياة، وزوجة الملك العظيم تي فلتحيا، وكان أسم أبوها يويا وأسم أمها تويا، فإنها زوجة الملك العظيم الذي تكون حدود حكمه الجنوبية بعيدة تصل إلى كاروي Karoy وشمالها تصل الى النهارين Naharin" .

فالملكة تي ارتقت من الغموض لتكون السيدة الأولى في البلاط الملكي والزوجة الرئيسة، كما تظهرها المشاهد الفنية بشكل واضح مع زوجها بحجم اكبر مما ظهرن عليه الملكات المصريات اللائي سبقنها، كما ظهرت في بعض المشاهد وهي تستلم الرسائل من الملوك الأجانب، مما يشير ضمنا إلى انه كان لديها رأي في القرارات السياسية ، وبهذا الخصوص عثر على تمثال رأس محفوظ حاليا في متحف برلين، يمثل رأس الملكة تي ، وعلى الرغم من زواج أمنحتب الثالث من أميرة ميتانية إلا أن مكانة الملكة تي هي الزوجة الأولى وسليلة العائلة الفقيرة ظلت محفوظة، ولم يزعزع مركزها قدوم أميرة من خارج البلاد .

وكذلك يظهر في احد المشاهد الفنية الكبيرة الملك أمنحتب الثالث وتجلس الملكة بالقرب منه، وورد في النص المدون على المنحوتة عزم الملك حفر بحيرة تمجيدا لها ، إذ كانت زوجته تي تحب النزهة وأرادت أن يكون لها بحيرة على مقربة من قصرها فتم لها ما أرادت، وكانت تتنزه في قارب زوجها الملك وبعض الوصيفات للتمتع جميعا في الهواء الطلق ، هذا ويرى بعض الباحثين أن ذكاء الملكة تي وعقلها المتوقدين كان الحافز الذي الهم ابنها اخناتون أمنحتب الرابع ثورته الدينية، ولكن ليس هناك أي برهان على ذلك، إذ إن اخناتون كان يحترم أمه كثيرا وهي بدورها ظلت تحبه وتدللـــه، وقد زارته في تل العمارنة حيث كان قد شيد لها قصرا خاصا لم يكشف عن موقعه لحد الآن .

## الملكة نفرتيتي (١٣٧٩-١٣٦٢ق.م)

تفيد المعلومات الواردة في النصوص المصرية القديمة أن نفرتيتي عاشت كملكة للمدة (١٣٥٢-١٣٣٨ق.م)، وصورت على المشاهد الفنية كملكة مرافقة للملك ، الذي كرس لها عددا من المعابد في بداية حكمه، لكونها معشوقة الإله أتون، والذي جُسِّدَ على هيئة قرص الشمس، واتُّخِذَ معبوداً وحيداً خلال حكم الملك اخناتون، وتعد نفرتيتي في الوقت الحالي رمزا للجمال، ومثلت مع تماثيل زوجها بمواصفات تشبه مواصفات الملك وبظهور قرص الشمس، إن هذا التشابه يعكس علاقة هذين الزوجين بقرص الشمس (آتون) .

كانت نفرتيتي من أشهر بنات أمنحتب الثالث، وقد تزوجت اخناتون (أمنحتب الرابع)، وكانت ملكة جميلة ذات تأثير كبير عليه حتى اتهمه الكهان بالوقوع تحت سلطانها، وقد تعمقت في الفلك والعلوم، وامتلكت قلب زوجها ومساعدته في نشر أفكارها الدينية الخاصة بتقديس الإله أتون دون غيره، ومن هذا المنطلق عد الباحثون نفرتيتي من أشهر ملكات التاريخ المصري القديم ، نظرا لدورها المميز وأناقة تماثيلها التي تتجسد فيها الرشاقة والميل إلى الأسلوب الطبيعي في الفن .

وكان لأمنحتب الرابع (اخناتون) ونفرتيتي ست بنات ، حيث تصور معظم المشاهد الفتيات بشكل صغيرات وربما كان الزوجان شابين، ومن جانب آخر وفي السنة الثانية عشرة لحكم الملك بلغت ابنته الكبرى من السن ما يتيح لها أن تشارك الملك في الحكم، مما يشير إلى أن الملك وزوجته نفرتيتي لم ينجبا أولادا من البنين ، ولم يتقيد الملك وزوجته بالصفة الرسمية أمام الناس، فقد سمحا لنفسيهما بان يرسمان في مواقف تسودها الصراحة التامة، فكانا يستقبلان رجال البلاط وهما لا يلبسان الملابس العادية، ويظهران في إثناء تناول الطعام أو يقبلان بعضهما سواء في القصر أو خارجه، كما يشاهد الملك يداعب إحدى بناته، ويقبلها

وهي تجلس على ركبته ، ومن أروع المشاهد التي تظهر فيها الملكة نفرتيتي جالسة أمام اخناتون يتسليان بلعبة النرد، وبالقرب منها قطة منزلية.

تلاحظ الملكة تجلس ابنة أخرى على ركبتيها، كذلك تشاهد احد بنات اخناتون وهي تمضغ قطعة كبيرة من اللحم، كما في ، وتفعل نفرتيتي الشيء ذاته، ولكنها تأكل طيرا مشويا ، ولقد اقترنت ثورة اخناتون الدينية بثورة اجتماعية وفنية أيضا، كان هدفها التخلص من القديم والطموح إلى توخي الحقيقية الكاملة في كل شي، لذا طلب الملك اخناتون من فنانيه أن يرسموه في حياته الشخصية مع أسرته وزوجته الفاتنة نفرتيتي وبناته الست، وكانت التقاليد القديمة قد حرّمت على الملك أن يصور وهو يقوم بأعمال الحياة اليومية بين أفراد عائلته .

كانت نفرتيتي الزوجة الرئيسة للملك أمنحتب الرابع (اخناتون)، وظهرت غالبا على المشاهد الفنية مع الملك في تقديم القرابين أيضا للإله آتون بتاح الذي شيد له الملك اخناتون في شرق الكرنك معبدا ضخما ، وقد صوّرت على جدران هذا المعبد مشاهد تظهر الملك وهو يقدم القرابين للإله آتون، وفي احد هذه المشاهد تظهر الملكة وهي تقدم القرابين بصحبة ابنتها الكبرى فقط، هذا إلى جانب صور أخرى تظهر الملك في مشاهد ضرب الأسرى، كما صورت نفرتيتي وبيدها هراوة تهوي بها على رؤوس الأعداء، كذلك زينت جوانب أريكة العرش في احد المشاهد بمناظر النساء من الأسرى ، ويبدو من هذه المشاهد أن اخناتون ونفرتيتي قد ألفا ثالوثا مقدسا مع المعبد آتون، فأحيانا تبدو هيئة نفرتيتي على هذه المشاهد بحجم كبير بالمقارنة مع هيئة اخناتون .

ولما اختفى اخناتون فجأة من مسرح التاريخ، أرادت نفرتيتي أن تنتقم من أخيه الوريث الطبيعي للملك فقامت بمناورات سياسية بارعة بمعونة الكاهن (آي)، مربي والدتها الملكة (تي) وكانت أول خطوة لها أن بعثت إلى الملك (خيتا)، بأن

يرسل احد أبنائه ليتزوجها ويكون ملك مصر، وأرسل ملك (خيتا)، احد أبناءه فعلا ولكنه قتل في الطريق ، ومما تجدر الإشارة إليه، أن نصوص العمارنة لم يرد فيها ذكر لنفرتيتي بعد السنة الثانية عشرة من حكم اخناتون، وقد يفسر ذلك بوفاتها، وان نشأت نظرية أخرى تفترض أنها اتخذت ألقابا ملكية واشتركت في الحكم مع اخناتون في أواخر عهده، كما ذكر أن خلافا دب بينهما أدى إلى عزلتها عنه، وعن بناته .

وربما نشأ ذلك الخلاف نتيجة ازدياد قوتها وسيطرتها عندما صورت نفسها وهي تقتل الأعداء كالملك، ومن ثم خرجت عن السياق والعادات المرسومة للملكة، حيث أرادت أن تصل إلى الملك .

## □الملكة نفرتاري (١٣٠٤-١٢٣٧ق.م)

ظهرت الملكة نفرتاري بجوار زوجها الفرعون رمسيس الثاني(١٣٠٤-١٢٣٧ق.م) في المشاهد الفنية، إذ كانت من أجمل ملكات مصر القديمة، وقد تمكن الفنان آنذاك من نقل وقائع أو قصة الحب العميقة التي كانت بين الزوجين آنذاك، فنادرا ما ظهر هذا الفرعون منفردا على تلك المشاهد، حيث كانت تشاركه زوجته في جميع الأعمال الفنية العائدة له، ومن ذلك يلاحظ على المشاهد المنفذة على واجهات معبد (ابو سنبل)، انه كان يجلسها معه على الدوام، فكانت نفرتاري الزوجة الملكية الرئيسة للملك رمسيس الثاني، وقد نالت من الألقاب ما لم تنله أية ملكة أخرى من قبل، فإلى جانب لقبها الرسمي (الزوجة الملكية الكبرى)، اتخذت لقب (سيدة الأرضين) و(ربة مصر العليا والسفلى) و(زوجة الإله)، ووصفت بأنها مليحة الوجه والوسيمة، ذات الريشتين.

اشتق اسم نفرتاري من الكلمة المصرية (نفر)، بمعنى: طيّب أو جميل مع صيغة التفضيل: ليعني الأحلى أو الأجمل أو الأطيب، ومع ذلك ليست لدينا معلومات واضحة عن شخصيتها أو أصلها، وكل ما يعرف عنها مشاركتها رمسيس الثاني في الحقبة الأولى من حكمه الطويل، فقد تزوج رمسيس الثاني من الملكة نفرتاري في السنة الأولى من حكمه، ولا يعرف حتى أي سنة من سنوات حكمه عاشت هذه الملكة غير أنها أنجبت عدداً من الأولاد، إذ كان من أولادها (سيتي الابن التاسع بين أولاد رمسيس)، وقد مثلت على تماثيل رمسيس الضخمة في معبد (أبو سنبل)، وفي معبد الأقصر، كذلك على تمثاله المحفوظ حاليا في تورين، إذ نحت هذا التمثال من حجر الكرانيت الأسود، كما عثر على تمثال لها صنع من الكرانيت أيضا، محفوظ حاليا في متحف الفاتيكان.

ويبدو أن نفرتاري كانت سيدة رزينة، حيث استطاعت أن تمسك رباط جأشها إزاء التنافس مع حريم الملك وزوجاته الثانويات ومحظياته، إلا أن المثير هو عدم معرفة سبب ابتعاد أبناء الملكة نفرتاري عن تولي الحكم وهي الزوجة الرئيسة، وربما أن أحدا منهم لم يعش طويلا حتى يخلف أباه، غير أن الملكة أنجبت ابنتها الكبرى الأميرة (مريت آمون)، محبوبة آمون التي احتلت مكانة أمها فيما بعد كقرينة للملك، وكما ذكر آنفاً الإشارة فقد صورت الملكة نفرتاري في عدة مشاهد فنية، تصور جمالها الرائع فضلا عن جمال ابنتها.

ويمتاز تابوت وقبر نفرتاري زوجة رمسيس الثاني عن باقي قبور الملكات بترتيبه وتنسيقه، حيث صورت الملكة بوجه خاص وبجمالها ورشاقتها، كما أن سقف المقبرة يمثل القبة الزرقاء وما فيها من نجوم لامعة، وعلى جدران القاعة نقوش دينية من الفصل السابع عشر من كتاب الموتى، ويظهر مشهد صورة الملكة جالسة تحت قبة تلعب النرد، كما يلاحظ في مشهد آخر الملكة وهي راكعة تتعبد

الشمس التي يحملها الكهنة، ومن أهم المشاهد الداخلية لمعبد (أبو سنبل)، المشهد الذي يصور نفرتاري وهي توقد عيدان البخور للآلهة حتحور مؤدية بذلك دور الكاهنة الكبرى لهذه الآلهة، كما في وبعد مرور أربعة وعشرين عاما من تخصص هذا المعبد للملكة نفرتاري اختفى اسمها مما يشير إلى وفاتها.

كان لنفرتاري دور بارز في شؤون البلاد، إلى جوار زوجها، ونالت من التكريم قدرا كبيرا دل عليه تصويرها في آثار كثيرة بحجم يكاد يضاهي حجم زوجها، فارتقت إلى منزلة أسلاف لها من الملكات الشهيرات كالملكة تي ونفرتيتي، إذ تردد اسمها في العلاقات الخارجية، ومنها الرسائل الواردة من الحثيين تطلب المساندة منها، كما ورد عن تبادلها الرسائل مع القصر الحثي وأرسلت التحيات إلى أختها الملكة الحثية بعد معاهدة السلام التي أبرمت بين مصر والحثيين آنذاك.

## الجذور التاريخية للعلاقات المصرية ببلاد الشام :

**تعود علاقة مصر مع بلاد الشام إلى حقب زمنية بعيدة سبقت توحيد بلاد النيل بزمن ليس بالقصير على الأرجح ، حيث أن طبيعة الأراضي الصحراوية المفتوحة ، التي تحيط بمصر من الشمال الشرقي وببلاد الشام من الجنوب أسهمت في تدفق المهاجرين والتجار والغزاة أيضاً من كلا البلدين إلى البلد الأخر منذ القدم .**

**ففي العصر الذي سبق نشوء السلالات الحاكمة في مصر من المرجح أن القبائل الجزرية التي دخلت مصر آنذاك جاءت من شمالي بلاد الشام عبر فلسطين ، فسيناء ، وأدخلت معها إلى مصر مدنية متحضرة لم تعهدها البلاد من قبل ، كاستخدام المعادن ولا سيما النحاس وعبادة الأموات وما سوى ذلك من**

المعتقدات الدينية الأخرى ، بالأضافة إلى كتابتها وفنونها ونظمها الاجتماعية والسياسية.

وقد رافق الحركة السكانية هذه وربما سبقها نشاط تجاري متبادل في العلاقة بينهما، فبالنظر لحاجة المصريين القدماء للأخشاب ولندرتها في بلادهم ، فقد عكفوا على استيرادها من بلاد الشام الذي أشتهر بإنتاجها قديما ،حيث أشير لاستيرادهم الأخشاب المخروطية من هناك إبان العصر الذي اصطلح على تسميته في مصر القديمة ، بعصر حضارة العمرة الذي تقدر بدايته بحدود سنة (٤٥٠٠ ق.م) ، كما إن هنالك إشارة أخرى تفيد بجلب قدامى المصريين لمادة الإسفلت من منطقة البحر الميت جنوبي فلسطين أثناء ما يعرف بفترة حضارة المعادى (حوالي ٤٠٠٠ ق.م) ، في مصر القديمة ، ومنذ عصر ما قبل الأسرات كان أحد أهم أسباب الرخاء التي عاشته مدن الدلتا الشرقية آنذاك ، التبادل التجاري بينها وبين مدن الساحل الشامي ولا سيما مع مدينة جبيل.

ويبدو أن تلك العلاقات مهدت السبيل لحدوث تفاعل وتأثير حضاري متبادل بين كلا القطرين المتجاورين ، إذ دخلت إلـــى مصر فـــي عصر حضارة جرزة (حوالي ٤٠٠٠ ق.م)

أنماط من الحضارة التي كانت منتشرة في بلاد الشام وبلاد الرافدين ، تجلت في أشكال الأواني الفخارية وزخارفها الخارجية وفي سكين جبل العركي ، وكذلك في التماثيل الحيوانية والملاعق المصنوعة من الإردواز على أشكال حيوانية مختلفة، وفضلاً عن ذلك فأن الأواني ذات المقابض المموجه ، التي ظهرت في حضارة نقاده الثانيه في مصر ــ التي تقابل حضارة جرزة ــ أستوردت من فلسطين وكانت مستعمله لنقل بعض الزيوت الثمينه إلى مصر.

وبالمقابل عثر في تليلات الغسول بفلسطين على مكاشط تشبه المكاشط التي وجدت في مصر أثناء عصر حضارة المعادي وفي أساس معبد مدينة جبيل عثر على بلط من الحجر المصقول وسكاكين من الظران ولوحات وخرز من الذهب والعقيق والمرمر ومن البلور الصخري ، وهي تمثل طراز الصناعة الذي كان قائما في مصر قبيل توحيدها ، واستمر أستعماله' فيما بعد التوحيد أيضا.

وفي عهد الدولة المصرية القديمة ( ٢٧٨٠ – ٢٢٨٠ ق.م ) تواصلت العلاقات بين القطرين وتعززت في أكثر من اتجاه ، فعلى الصعيد التجاري كان أبرز ما يميز العلاقات فيما بينهما آنذاك الصلات القوية التي ارتبط بها ملوك السلالات المصرية القديمة مع مدينة جبيل لغرض الحصول منها على الأخشاب ، لاسيما خشب الأرز ، الذي اشتهرت به تلك المدينة ، وكانت مصر بأمس الحاجة له لبناء مقومات حضارتها ، كتشييد المعابد والقصور والسفن ، ولصنع التوابيت والأثاث الفاخر وغيرها علماَ بأن أول إشارة تشير لهذا النشاط الحيوي ظهرت على آثار الأسرة المصرية الأولى (٣٢٠٠-٢٩٨٠ ق.م) أي في العصر الذي أصطلح على تسميته بالعصر الثيني ، أو بداية عصر السلالات الحاكمة (٣٢٠٠-٢٧٨٠ق.م) حيث وجدت في مقابر هذه الأسرة جسور من جذوع الأرز ، بالإضافة إلى آنية خزفية وسلع كنعانية أخرى.

أن أقدم نموذج لخشب الأرز المستورد من لبنان أبان عهد الدولة المصرية القديمة ظهر في الهرم المدرج في سقاره ، الذي بناه الفرعون زوسر (٢٧٨٠-٢٧٥١ ق.م) مؤسس الأسرة المصرية الثالثة.

على أن النشاط التجاري بين البلدين بلغ الذروة في عهد الأسرة المصرية الرابعة (٢٦٨٠ – ٢٥٦٠ ق.م) حينما أرسل مؤسسها سنفرو الأول

(٢٦٨٠-٢٦٥٦ ق.م) أربعين سفينة لمدينة جبيل عادت إليه محملة بأخشاب الأرز التي لازال الكثير منها باقيا حتى عصرنا هذا في هرمة بدهشور بحالة جيدة وقد سخر هذا الفرعون قسماً من هذه الأخشاب وأخشاب المر اللبنانية لتشييد أسطوله الكبير من السفن القادرة على الملاحة في البحار ، والتي صور البعض منها على جدران معبد أثنين من ملوك الأسرة المصرية الخامسة (٢٥٦٠-٢٤٢٠ ق.م) وهما سحورع (٢٥٥٣-٢٥٣٩ ق.م) وأوناس (٢٤٤٨-٢٤٢٠ ق.م) وقد عثر حديثاً على سفينة الفرعون خوفو (٢٦٥٦-٢٦٣٣ ق.م) ، وهي مصنوعه من خشب الأرز ايضاً.

لم تكن الأخشاب المادة الوحيدة التي استوردها المصريون من جبيل ، إذ ورد ما يدل على استيرادهم منها الزيوت اللازمة لأعمال التحنيط والخمور ذات الجودة العالية ، فيما أستوردت جبيل وباقي المدن الفينيقية من مصر الذهب والمصنوعات المعدنية ، بالإضافة إلى ورق البردي اللازم لأغراض الكتابة.

وتزامن مع هذا النشاط التجاري المكثف استقرار جالية مصرية في ميناء جبيل منذ عهد الأسرة المصرية الرابعة ، كان هدفها الرئيسي تنسيق العلاقات التجارية بين مصر من جهة ومدن الساحل الشامي وخاصة جبيل من جهة أخرى ، وأساس عمل هذه الجالية ضمن هذا الإطار يقوم على تحضير البضائع المطلوبة ، التي كانت تجلب من منحدرات جبال لبنان التابعة لمدينة جبيل وتشحن بحرا إلى مصر ، وأهم هــذه البضائع تتمثل في الأخشاب التي لا نظير لها في مصر ، كخشب الأرز والصنوبر وخشب الوشج والبان والسرو وغيرها من الأخشاب الأخرى ، ناهيك عن الصموغ التي كانت تبرز أهميتها الكبرى في تحنيط الأموات وفيما له صلة بالشعائر الدينية والقرابين الجنازيه.

ويبدو أن أفراد الجالية المصرية قد تمتعوا بقدر وافر من الحرية على النحو الذي مكنهم من ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية الخاصة مع احتفاظهم بالولاء المطلق لملوكهم الفراعنة، إذ أن هؤلاء التجار أقاموا لهم معبدا في جبيل ، كتب على بعض أحجاره المكتشفة أسماء عدد من ملوك الدولة المصرية القديمة ، ومنهم الفرعون خوفو – أحد أشهر ملوك الأسرة الرابعة– الذي يعتقد أنه من شيد هذا المعبد.

ولم تقتصر صلات مصر مع مدينة جبيل على الجانب التجاري فحسب بل تعدتها إلى نشاطات أخرى ، حيث كان المصريون القدماء يبجلون معبودة جبيل واعتبروها قرينة لمعبودتهم حاتحور وقد درج الفراعنة منذ الأسرة الثانية ( ٢٩٨٠-٢٧٨٠ ق.م ) حتى السادسة (٢٤٢٠ –٢٢٨٠ ق.م ) على ارسال الهدايا لمعبدها في جبيل حيث عثر هناك على بعض الأواني المصرية مكتوب عليها أسماء أولئك الملوك بالخط الهيروغليفي المصري ، نخص بالذكر منهم خع ـ سخموي (آخر ملوك الأسرة الثانية) وخوفو ومنكاروع (الأسرة الرابعة) ، وأوناس (الأسرة الخامسة) ، بالإضـــافة إلـــى بيبي الأول (٢٤٠٢-٢٣٧٧ ق.م) وبيبي الثاني (٢٣٧١-٢٢٧٧ ق.م) كماعثر في أنقاض المعبد ذاته علـــى أختام أسطوانية مصرية تعود لعهد الأسرة الثالثة .

وفضلاً عما تقدم فقد كان لمصر آنذاك صلات تجارية مع مدن بلاد الشام الأخرى ، حيث ظهر على جدران معبد الملك ساحورع ما يشير لقيام أسطوله بجلب زيت الزيتون بجرار كنعانية من بلاد الشام ، إضافة إلى حيوان الدب الذي جيئ به من جبال لبنان ليوضع في حديقة الملك ساحورع ، وأشار أحد نقوش الأسرة السادسة إلى كروم فلسطين.

وكانت جل المبادلات التجارية بين البلدين تتم عبر البحـــر ، لكن ذلـــك لاينفي القول أن طريق الصحراء كان هو الآخر يشهد حركة تجارية منتظمة بينهما ، فالقوافل التجارية كانت تسلك الطريق البري الواصل بين القنطرة وشرقي بحيرة المنزلة ،ومن ثم تجتاز شبه جزيرة سيناء لتصل إلى سهول فلسطين الواقعة بين البحر الميت وساحل يافا وعسقلان وغزة ، وقد كانت هذه القوافل تبيع المحاصيل المصرية لتشتري النبيذ وزيت الزيتون عوضاً عنها.

ومثلما أستمر مسار العلاقات المصرية الشامية في تقدم ونمو أثناء عهد الدولة المصرية القديمة فأن التفاعل الحضاري بينهما أستمر على هذا المنوال أيضاً ، إذ عثر آنذاك في مصر على أوانً فخاريه كبيره ذات عنق دقيق وفوهه مسطحه ، يبدو أن مصدرها من شمال بلاد الشام ، أذ ظهرت مصوره بين الأشياء التي أحضرت إلى مصر من هناك أبان عهد الملك ساحورع فيما ظهر الفخار المصري القديم في أجزاء عدة من بلاد الشام كفلسطين والساحل الفينيقي الذي تم الكشف فيه عن كسرتين فخاريتين ، إحداهما تحمل اسم الملك مينا ، والأخرى منقوش عليها اسم الفرعون تتي (٢٤٢٠-٢٤٠٢ ق.م) أول ملوك الأسرة السادسة ، كما عثر في جبيل على بعض الأدوات، وهي تحمل اســـم سادس ملوك الأســـرة الخامسة أسيبسى (٢٤٧٦-٢٤٤٨ ق.م) ويظهر بان كتبة جبيل كانوا ملمين بالكتابة الهيروغليفية المصرية حيث انهم كتبوا بحروف هيروغليفية تشبه الحروف المصرية في أقدم صورها.

وعلى النقيض مما تقدم ، فإن وتيرة الصراع المصري مع البدو المرابطين على طول حدود مصر الشمالية الشرقية مع بلاد الشام (الشاسو في النصوص المصرية القديمة) كانت في تصاعد مستمر ، فأولئك البدو لم ينقطعوا عن مهاجمة قوافل التجارة المصرية المتجهة لبلادهم، بقصد الأستيلاء على ما

فيها من بضائع وسلع ، وفي إحدى هذه الهجمات أشير لقتل المسؤول الأول (عنخت ــ نبتي) عن القافلة التي كان الفرعون بيبي الثاني قد أرسلها لإحضار الأخشاب من بلاد الشام كما كانوا يستغلون طبيعة الأراضي المفتوحة بين البلدين للانسياب إلى أراضي الدلتا الخصبة بدافع الاستقرار والتوطن فيها ، أو لشن الهجمات على مناجم النحاس في سيناء التـــي كثيرا مـــا كانت تؤدي لتعرضهم لبعثات الاستكشاف المصرية الساعية لاستخراج هـــذا المعدن الثمين ، وبلغت الجرأة في بعضهم الهجوم على الدلتا نفسها.

وبطبيعة الحال فأن هذه التجاوزات كانت تتطلب من ملوك مصر الأقدمين إجراءات حازمة ورادعة للحد منها والحيلولة دون وقوعها ، لذلك أولى هؤلاء الملوك اهتماماً كبيراً لفتح طرق المواصلات إلى بلاد الشام وضمان أمنها وسلامتها وأولوا عناية خاصة في محاولة السيطرة على الحدود المصرية عبر سيناء وفرض الرقابة الدائمية عليها ، وذلك من خلال أقامه الحصون والقلاع على طول هذه الحدود وإرسال الحملات العسكرية لضرب أماكن وتجمعات البدو المتحصنين فيها.

وقد بلغت الإجراءات المصرية ذروتها بتجهيز الحملات العسكرية إلى داخل بلاد الشام للقضاء على أصل الأخطار ومصدرها كلما تجمعت سحب غيومها على حدود مصر ، فأحد النقوش المصرية القديمة تحدث عن قيام الفرعون (بيبي الأول) بإرسال خمس حملات متتابعة إلى جنوبي فلسطين ، وأشار نقش أخر لحملة سادسه على المنطقة ذاتها في عهد الفرعون (بيبي الثاني).

تعد هذه الحملات أقدم ذكر للعمليات العسكريه التي خاضتها مصر في بلاد الشام، وإذا تتبعنا سير هذه الحملات والمراحل التي مرت بها والنتائج التي تمخضت عنها ، وربطنا هذا كله بما أل إليه وضع البلاد المصرية من فوضى

ودمار بعد انهيار الأسرة السادسة حتى قيام المملكة الوسطى ، لأدركنا تمام الإدراك مدى جدية الأخطار التي كانت تشكلها بعض الشرائح الأجتماعيه في بلاد الشام على مصر ومصالحها التجارية ، ولأدركنا أيضاً أن الحملات الأخيرة جاءت للتعامل مع هذه المشكلة والحد من أخطارها تلك .

وعلى أية حال فبعد وفاة الفرعون (ببي الثاني) شهدت البلاد ثورة اجتماعية رافقها تفتت السلطة المركزية،حيث برز إلى العيان مرة أخرى طغيان نفوذ حكام الأقاليم ، فتراخت سيطرة ملوك منف على البلاد التي عمتها الفوضى والانحلال ، مما مهد السبيل للبدو المرابطين على طول الحدود المصرية مع بلاد الشام لأن يندفعوا إلى داخل الدلتا ، ويبدءوا بمد نفوذهم التدريجي على ربوعها وهكذا ما أن جاء عصر سيادة مدينة هيراكليوبوليس (أهناسيه حالياً) في مصر ، أي عهد الأسرتين التاسعة والعاشرة ( ٢٢٤٢-٢٠٥٢ ق.م ) حتى أصبحت أجزاء مهمة من الدلتا خاضعة لنفوذ أولئك البدو خضوعاً تاماً.

أنعكست تلك الظروف السيئة بنتائجها السلبية على التجارة المصرية مع مدن بلاد الشام، وبالأخص مع مدينة جبيل الساحلية التي لم تستأنف العلاقة مع مصر ألا بعد أن أستقرت الأمور بعض الشيء في عهد الأسرة المصرية التاسعة (٢٢٤٢-٢١٣٣ ق.م) ، حيث أبحرت أنذاك بعض السفن المصريه إلى ميناء بيلبوس وعثر على مسلة تؤرخ بحوالي القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد سجل عليها نص يشير إلى أن هذه المسلة تعود لحاكم جبيل الأموري (أبي سمو) محبوب الإله المصري حريشف (الأله المحلي لمدينة أهناسيه)

ولكن يبدو أن الطابع العام الذي ميز علاقة مصر مع بلاد الشام في الحقبه التي أعقبت سقوط الدولة المصرية القديمة وحتى قيام الدولة الوسطى (٢٢٨٠-٢٠٥٢ ق.م ) تمثل بمحاولة المصريين طرد قبائل البدو التي تدفقت إلى

أراضيهم من بلاد الشام ، وعلى الأرجح فأن الملك خيتي الرابع (مؤسس الأسرة العاشرة ) نجح في إنجاز القدر الأكبر من هذه المهمه ، أذ أنه حجم الى حد كبير من نفوذهم في الدلتا ، ولمجابهة أخطارهم المستقبليه فقد قام هذا الفرعون بتحصين حدود مصر الشرقية وأسكان مجاميع كبيره من الرجال شرقي الدلتا، لفلاحة الأرض ولحمايتها ايضا من الأخطار الخارجية.

وعمل ملوك الأسرة الحادية عشره ( ٢٠٥٢-١٩٩١ ق.م ) على تطهير أرض الدلتا بشكلٍ تام من بقايا نفوذ أولئك البدو الذين كانوا يعلنون العصيان بين الحين والآخر ويعترضون سبيل قوافل التجارة المصريه المتوجهه لبلاد الشام ويغيرون على ربوع الدلتا الخصبه ويكثرون فيها الخراب والدمار.

وشهد عهد الآسرة المصرية الثانية عشره (١٩٩١-١٧٧٨ ق.م) تطوراً ملحوظاً في الروابط السياسية والتجارية والثقافية بين مصر وبلاد الشام ، ولاسيما مع مدن الشاطئ الفينيقي، إذ يبدو أن مدينة جبيل صاحبة العلاقات المتميزة مع مصر خضعت أسمياً لسلطة فراعنة الأسرة المصرية الثانية عشرة الأقوياء ، حيث بدأ حكامها باتخاذ شعار لإمارتهم ذي طابع مصري وكتبوا أسماءهم بالخط الهيروغليفي المصري ، والأكثر من ذلك تلقب أولئك الحكام بلقب الأمير الوراثي المصري (حاتي عا ) ويعني (النبيل الأمير)، ونقش أحدهم ( أبشم وابي ) أسم الفرعون المصري أمنمحات الثالث (١٨٤١-١٧٩٢ ق.م) على سلاحه وقلائده، وعثر في قبر أمير أخر من أمراء جبيل على أدوات ومواد تحمل أسم الفرعون أمنمحات الرابع (١٧٩٢-١٧٨٢ ق.م).

وعقدت مدينة أوغاريت حلفاً مع المصريين دلت علية الآثار المكتشفة ، وفي مقدمتها مسلة مقدمة إلى ملك أوغاريت ، يرجح أن من يقوم بتسليمها أليه المندوب المصري في بلاده ويبدو هذا التحالف قد أبرم في عهد الفرعون

أمنمحات الثالث الذي أدعى السيادة على المنطقة الممتدة بين فلسطين في الجنوب حتى جلعاد في الشرق ، وفينيقيه حتى وادي نهر الكبير فـــي الشمال وحوران دمشق ومعظم

البقاع ، وقد عثر له على نصب يمثله في صورة أبي الهول عند مدخل هيكل بعل في أوغاريت.

وفضلاً عما تقدم فقد عثر في أنحاء متفرقة من بلاد الشام ، وخاصة في مجدو وجبيل وأوغاريت وبيروت وقطنه، على (( تماثيل وأوان وجعارين وأختام نقشت بأسماء أفراد مصريين ترددوا على البلاد وتعاملوا مع أهلها، وكان منهم رسل من البلاط الفرعوني وحكام الأقاليم وأفراد عاديون لعلهم من التجار عمل بعضهم لحسابه الخاص وعمل بعضهم الأخر لحساب ملكه )). وكان رسل الفرعون سنوسرت الأول ( ١٩٧١-١٩٢٨ ق.م) ومبعوثوه يجوبون المنطقة الممتدة من جنوب فلسطين حتى مدينة جازر ، فانتشرت معهم لغتهم وصار أسم الفرعون المصري هناك مقروناً بالخوف والوجل ، وعمل الملك أمنمحات الثاني(١٩٣٠-١٨٩٥ق.م) على تعزيز علاقاته بجيرانه ، ومنهم أمراء بلاد الشام الذين تبادل معهم الهدايا ، حيث عثر في قطنه على تمثال يحمل أسم هذا الفرعون، وآخر لأبنته ( أتا ) على هيئه أبي الهول ، وهو أقدم تمثال لامرأة مصرية بهذه الهيئة واكتشف في مدينة مجدو تمثال الكاهن الأعلى لمدينة هيراكليوبوليس (تحوتي حتب) وهو يعود لعهد الفرعون سنوسرت الثالث (١٨٧٩-١٨٤١ ق.م) كما تم العثور في بيروت على تمثال صغير لأبي الهول يمثل أمنمحات الثالث، وقلادة للفرعون أمنمحات الرابع.

ولم يقتصر التطور في العلاقة بين البلدين عند هذا الحد ، فثمة ما يشير لوجود جاليات مصرية مقيمة في بلاد كنعان منذ عهد الدولة المصرية الوسطى ، ففي مدينة جازر الكنعانية

عثر على قبور بنيت لمواطنين مصريين تعود لعهد هذه الدولة.

وبالمقابل نجد أن مصر كانت ترحب بالمهاجرين الذين كانوا يفدون أليها من بلاد الشام ، فعلى جدران مقبرة أحد أمراء بني حسن ( خنوم حتب ) نقشت مناظر تصور جماعة من الكنعانيين رجالاً ونساءً وأطفالاً قد قدموا إلى دلتا مصر في السنة السادسة من حكم الفرعون سنوسرت الثاني(١٩٢٨-١٨٧٩ق.م) ، وهم يحملون معهم كمية من الكحل أهدوها إلى الأمير (ختوم حتب) لكي يسمح لهم على ما يبدو بالاقامه في بلادة ، ويبلغ عدد أولئك الأشخاص سبعة وثلاثين شخصاً يتزعمهم شخص يدعى ( أبشا ) الذي نعته' النقش بلقب (حقاو-خاسوت) أي حاكم البلاد الأجنبية. ومن المرجح أن يكون أولئك الأشخاص تجاراً قدموا بعوائلهم للاستقرار بمصر ، وخاصة أن النشاط التجاري بين البلدين أزدهر في تلك الحقبة.

**وفضلاً عما ورد في الأثار فأن أحدى روائع الأدب المصري القديم (قصة سنوهي)[١٧] تعطينا معلومات مفيدة عن طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين مصر وبلاد الشام في عهد الفرعون (سنوسرت الأول) ، فمن سياق القصة يتضح أن**

[١٧] - وهي إحدى قصص الأدب المصري القديم ، وتدور أحداثها حول شخص يدعى سنوهي كان أحد رجالات البلاط المصري البارزين في عهد الفرعون ( أمنمحات الأول)، وشاءت الأقدام أن يقتل الفرعون ، فيحتشى سنوهي أن يتهم بالتدبير لقتله ، مما دفعه إلى اللجوء عند شيوخ إحدى القبائل في جنوب فلسطين، فعاش هناك كأي رجل من سكان البادية ، وبعد عدة عقود من الزمن قضاها هناك عاد سنوهي لبلاده، حول نص القصة ، راجع: سليم حسن : مصر ، ج٣، صص٢٣٣-٢٤٢.

**هذا الفرعون لم يكن له سلطه على بلاد الشام وبالأخص مناطق البادية التي كانت ملجأ للفارين من الحكم المصري ومنهم (سنوهي) الذي كان متهماً بالتآمر على حياة الفرعون شخصياً ألا أن ذلك لا يلغي – كما يظهر من القصة أيضاً – أن الكثير من سكان الباديه وشيوخها ، وبالأخص الذين لجأ عندهم سنوهي ، كانوا يكنون كل مشاعر الإعجاب والوقار لفراعنة مصر وأن الأخيرين كانوا دائمي الحرص للحفاظ على علاقات أيجابيه معهم ، وذلك بإرسال الهدايا القيمة لهم لضمان أمن وسلامة قوافل التجارة المصرية التي تمر عبر ديارهم كما يفهم من القصة وجود الكثير من المصريين في حاشية بعض أمراء بلاد الشام ، وأن رسل ملوك مصر إلى بلاد الشام كانت تصل بصفة مستمرة ، مما يدل على أن التجارة بين البلدين كانت مستمرة ودروبها أمنه .**

ويبدو التطور الذي شهدته العلاقات المصرية الشامية في عهد الآسرة الثانية عشرة كان نتاج لرغبة مشتركة بين البلدين لتعزيز العلاقة بينهما تحقيقاً لمصالح مشتركة ، فمصر كانت تريد من وراء هذه العلاقة فتح أسواق لها في بلاد الشام لتصريف مصنوعاتها واستيراد ما تحتاجه منها من مواد وسلع ضرورية كالأخشاب والزيوت وغيرها فضلاً عن استيراد ما يتجمع في الموانيء الشامية من منتجات الحوض الشرقي للبحر المتوسط كالفضة والزيوت والمعادن والأحجار الكريمة ، وكذلك استيراد ما كان يتجمع في أسواقها الداخلية من منتجات بلاد النهرين وفارس والأناضول وشبه الجزيرة العربية، أما الممالك الشامية فوجدت في مصر مصدراً رئيسياً للتبادل التجاري ، أو الحضاري بصورة أشمل ، وكان يعنيها المحافظة على علاقات طيبة مع مصر القوية الغنية.

هذا إلى أن ظهور الحوريين في بلاد الشام منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وسعيهم الحثيث للاستيلاء على أجزاءه الشمالية شكل تهديداً خطيراً للمصالح المصرية هناك من جانب ، وللدويلات

الأمورية من جانب أخر ، مما اسهم في توطيد العلاقات السياسية بينهما.

وكان لهذه الصلات القوية أعمق الأثر في زيادة التفاعل الحضاري بين مصر وبلاد الشام، فقد ظهرت حينذاك صناعة البرونز المصرية لأول مرة وكان المصريون يجلبون القصدير اللازم لها عن طريق موانى فينيقيا ، وشاع في أسماء النساء المصريات أسم (حتحور) معبودة جبيل ، فيما عثر بالمقابل على تماثيل صغيرة لمعبودات مصريات في شمال بلاد الشام ، وكذلك على حلى مذهبة وأسلحة جمعت بين طراز الصناعة في مصر ونظيره في بلاد الشام ، كما قلد الصناع الشاميون ما كان يصلهم من أدوات الترف المصرية.

ولكن على صعيد أخر متصل بالعلاقة بين الطرفين استمر البدو المرابطين في صحراء فلسطين الجنوبية بتهديد مدن الدلتا الخصبة ، ولابد أنهم أغاروا عليها عدة مرات ، وعليه فقد قام مؤسس الأسرة الثانية عشرة المصرية امنمحات الأول(١٩٩١-١٩٦١ ق.م) بتجهيز حملة أو عدة حملات على معاقل هؤلاء البدو ومراكز تجمعاتهم الرئيسية ، ولمواجهة إخطارهم قام ببناء عدة حصون على حدود الدلتا الشرقية والغربية وأطلق عليها (حائط الأمير).

وهذا يذكرنا بالسور الذي بناه أحد ملوك سلالة آور الثالثة (٢١٢٣- ٢٠٠٦ ق.م) والمسمى شو – سين (٢٠٤٨- ٢٠٤٠ ق.م) لمواجهة الخطر الأموري المتزايد على حدود بلاد الرافدين الغربية مما يدل على الأرجح أن العدو المشترك لكلا البلدين (بلاد الرافدين ومصر) كان واحدا في تلك الحقبة (البدو الرحل) ، وإن

الأسلوب الأمثل لكبح جماحه سلميا وفق تصورهما يتمثل ببناء الأسوار والحصون وما شابه ذلك من مستلزمات الدفاع الأخرى .

والظاهر إن إجراءات أمنمحات الأول تلك حققت نتائج طيبة في الحد من اعتداءات البدو ، إذ لم يرد بعد هذا ما يشير لأي حرب خاضتها مصر في بلاد الشام حتى نهاية حكم سنوسرت الثالث ، إذ قام أولئك البدو حينها بالإغارة على الدلتا غارة مباغتة ، فتصدى سنوسرت الثالث لهذه الغارة وأرسل جيشاً بقيادة أحد رجالات حربه (خوسياك) لملاحقة المغيرين داخل الحدود الفلسطينية ، فنجح الجيش المصري من إيقاع الهزيمة بهم واستولى على موضعاً يدعى (سكميم)، ثم عاد إلى بلاده وبصحبته الأسرى والغنائم.

وثمة ما يشير إلى أن سنوسرت الثالث قد أرسل لاحقاً حملتين إلى جنوب فلسطين قرب الحدود المصرية بهدف تأمين الطرق التجارية وضمان العمل على ديمومتها واستمرارها.

وباستثناء هذه الأحداث فليس هناك ما يدل على وقوع مشاكل على الحدود أو أي شيء أخر يسيء إلى العلاقة بين البلدين طوال المدة المتبقية من عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية .

وحافظ ملوك الأسرة الثالثة عشرة الأوائل على قدر وافر من علاقاتهم المتميزة مع بلاد الشام ، إذ وجدت آثارهم في أنحاء عده من لبنان ، فقد عثر في جبيل على نحت بارز للفرعون (نيفر حوتب الأول) ، وفي بلدة تل حزين قرب بعلبك عثر على تمثال للفرعون (سيبك حوتب الرابع) كما اعترف أمير جبيل ( يوناتان) بسيادة الفرعون (سيخيتيبيرع الثاني) واكتشف حديثا في مدينة أريحا

نحتان صغيران يمثلان جعلا عليهما اسم الفرعون حوتب أيـــرا (١٧٧٥ -١٧٦٥ ق.م ).

ألا أن تولي قوى معادية لمصر زمام السلطة في أنحاء متفرقة من بلاد الشام ، أدى الـــى تأزم العلاقة بين البلدين ، وهذا ما يستشـــف مـــن نصـــوص اللعـــن المصرية ، التي ظهرت على نطاق واسع في عهد الأسرة المصرية الثالثة عشرة ، حيث اعتبرت هذه النصوص الكثير من أمراء بلاد الشام بمثابة أعـــداء يجلبـــون الضر ، وأمكن التعرف من بين البلاد التي ذكرت في هذه النصوص على أســـماء جبيل وعسقلان ويافا وأورشليم.

وقد صاحب هذا اضطراب الأوضاع السياسية في مصر ، نتيجـــة للصـــراع على العرش بين أفراد الطبقة الحاكمة من جانب ، وتنامي نفوذ حكام المقاطعـــات واستعادتهم سلطانهم السابق من جانب أخر وهذا ما أسهم إلى حد كبير في تـــدفق أعداد كبيرة من المهاجرين من بلاد الشام إلى مصر ، وقد صور أحـــد النقـــوش المصرية عدداً كبيراً منهم وهم يعملون في حقل الزراعة لدى موظفي مصر العليا أثناء عهد أحد فراعنة الأسرة الثالثة عشرة (سيبك حوتب الثالث).

وقد استمر تغلغل أولئك الأقوام لاحقا حتى أصبحوا من القوة ما مكـــنهم مـــن السيطرة على الأجزاء الشرقية من الدلتا في حدود ســـنة (١٧٢٠ ق.م)، واتخـــذوا من افاريس عاصمة لهم هناك وقد عرف هـــؤلاء الأقـــوام فـــي التـــاريخ باســـم (الهكسوس).

ويبدو أن أغلبهم كانوا من القبائل الجزرية كما يستدل من أســـماء ملـــوكهم ، والى جانبهم جماعات من الأقوام التي نزحت من أواسط أسيا إلى منطقة الشـــرق الأدنى القديم مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، حيث أن البعض منهم كـــالحوريين

وبعض الجماعات الحيثية استقروا في بلاد الشام وامتزجوا بسكانه لا سيما في الجنوب ولعلهم دخلوا سوية مع القبائل الجزرية إلى مصر.

والظاهر ان المصريين لم يتصدوا للهكسوس ويحاولوا طردهم من الدلتا نتيجة للظروف الداخلية الصعبة التي كانت تمر بها مصر آنذاك ، التي بلغت ذروتها في ظهور سلالة ملكية معاصرة للسلالة الثالثة عشرة ، حكمت في غرب الدلتا واتخذت هناك من مدينة (سخا) عاصمة لها ، ونعني الأسرة الرابعة عشرة كما إن الأسلحة الجديدة التي جاء بها الهكسوس كالعربات التي تجرها الخيول والسيوف والخناجر المصنوعة من البرونز والأقواس الكبيرة البعيدة المرمى ، ضمنت لهم حينها التفوق على المصريين الذين لم يكن لهم معرفة بها أو قدرة على مقاومتها.

وأزاء ذلك يبدو أن ملوك الأسرة الثالثة عشرة مالوا إلى مهادنة الهكسوس وربما الخضوع أسمياً لسلطتهم ، إذ تلقب أحد ملوك هذه السلالة (نحسى) بلقب (حبيب الإله ست معبود أواريس) وعثر على نصب يحمل اسم الفرعون ( مرنفر – رع – أبي ) قرب أفاريس ، ولما كان هذا الفرعون قد حكم في حدود عام(١٧٠٠ ق.م) ، ومدينة أفاريس سقطت بيد الهكسوس قبل ذلك التاريخ بنحو عقدين من الزمن ، فإن وجود ذلك النصب هناك ربما له دلالته السياسية المطلقة إذ قد يشير إلى إن هذا الملك كان تابعاً للهكسوس.

هذا وقد أقام الهكسوس عدة إمارات حاكمة في شرق الدلتا لحقبة زمنية استمرت خمسين عاماً (١٧٢٠-١٦٧٠ ق.م) فلما تزايد عددهم انتظموا في دولة واحدة وانتخبوا لهم رئيساً واحداً، وهو فيما يروي (منيثو) شخص يدعى (سالاتيس) الذي قادهم للاستيلاء على العاصمة المصرية (منف) بحدود سنة ١٦٧٤ ق.م تقريباً،مما يعد المؤشر الحقيقي لسقوط الأسرة الثالثة عشرة المصرية

، والبداية الفعلية لعصر الهكسوس في مصر والذي امتد حقبة من الزمن تجاوزت المائة سنة ( ١٦٧٤-١٥٧٠ ق.م)، وذلك لأن الهكسوس بعد إسقاطهم للعاصمة المصرية ، اعتبروا أنفسهم الحكام الشرعيين لمصر وسرعان ما فرضوا الجزية على أمراء طيبة في مصر العليا. كان لعهد الهكسوس في مصر انعكاساته على مجمل العلاقات المصرية – الشامية ، فمن الناحية السياسية أفرزت تلك المرحلة ، وحدة بلاد الشام أو أجزاء منه مع بلاد النيل .

وعلى الصعيد التجاري فثمة ما يشير لعودة العلاقات التجارية بين البلدين إلى ما كان عليه الحال أيام الأسرة الثانية عشرة ، إذ عثر على الكثير من الآثار المصرية ، لاسيما آثار ملوكها الهكسوس في أجزاء متفرقة من بلاد الشام.

ولم يخل عهد الهكسوس من تأثيرات متبادلة بين الجانبين فالهكسوس – وأغلبهم من سكان بلاد الشام – كانوا على جانب عظيم من المدنية ، بل كانوا أكثر تقدماً في بعض النواحي من جيرانهم في وادي النيل لذلك أضافوا إلى الحضارة المصرية جملة من اللمسات الحضارية التي لم يعرفها المصريون من قبل ، وكان لها دور كبير في تحقيق النصر لهم في حملاتهم التالية ، كالعربات الحربية التي تجرها الخيول والسيف الحديدي المقوس والقوس المركب ، والدروع التي تلبس فوق الصدور كما تعلم منهم المصريون الفنون الحربية وتعبئة الجيوش الجرارة ويعتقد أن الهكسوس هم الذين أدخلوا إلى مصر زراعة الرمان والحناء والكثير من الزهور والأهم من ذلك كله فقد أسهم احتلال الهكسوس لمصر بأيقاظ الشعور الوطني لدى المصريين الذين تحفزوا ليس لتحرير بلادهم فحسب ، بل إلى ضم ما جاورها من أراض وفي المقدمة منها بلاد الشام .

وفي مجال الدين ، عبد الهكسوس الاله (سوتخ) ، وهو بلا شك احد مظاهر أله الحرب والصحراء المصري (ست) الذي كان معبوداً في شرقي الدلتا منذ

ايام الدولة القديمة ، كماعبد الهكسوس الاله المصري ( رع )وأولوا معابده عناية خاصة، واستخدم بعض ملوكهم أسماء يدخل في تركيبتها اسم ( رع ) .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل أستخدم الهكسوس الكتابة الهيروغليفية المصرية في تدوين نصوصهم وسجلاتهم وتأثروا بالعادات والتقاليد المصرية وتطبعوا بها فتلقب ملوكهم بالالقاب الفرعونية ونصبوا لهم تماثيل حكام الدلتا السابقين على النمط المصري الفرعوني فاسهموا بذلك في وحدة بلاد الشام ومصر لأول مرة ، وحدة سياسية وثقافية .

وعلى أية حال فإن احتلال الهكسوس لمصر يمثل نهاية لمرحلة أخرى من مراحل العلاقة بين مصر وبلاد الشام ، مهدت السبيل لمرحلة جديدة ، طغى عليها الأسلوب العسكري المتمثل بالاجتياح المصري لبلاد الشام بعد إخراجهم الهكسوس من بلادهم ، كما سيأتي لاحقاً .

## العصر المتأخر

المرحلة الفاصلة بين نهاية الدولة الحديثة وبداية عصر الانتقال الثالث.

انقسم النظام السياسى فى مصر خلال الأسرة الحادية والعشرين إلى قسمين ، لكل منهما وضع خاص يختلف عن الآخر، في نظمه السياسية وهياكله الإدارية[١٨]. التي يقوم عليها. فكانت مصر السفلى تبدأ من الحدود الشمالية لإقليم هيراكليوبوليس . حتى البحر المتوسط ، تحت حكم القادة العسكريين ومقرهم مدينة

[١٨] - إذ طغت الصبغة الملكية على الشمال وكان الملك يرأس الهيكل الإدارى، بينما اتسم الجنوب بالطابع الدينى وكان كبير كهنة آمون على قمة الهرم الإدارى .

تانيس ، أما القسم الثاني فيبدأ من طيبة. شمالاً حتى حدود الجندل الأول جنوباً أما سلطتهم فى الشمال فليس هناك أى أثر يحدد مدها.

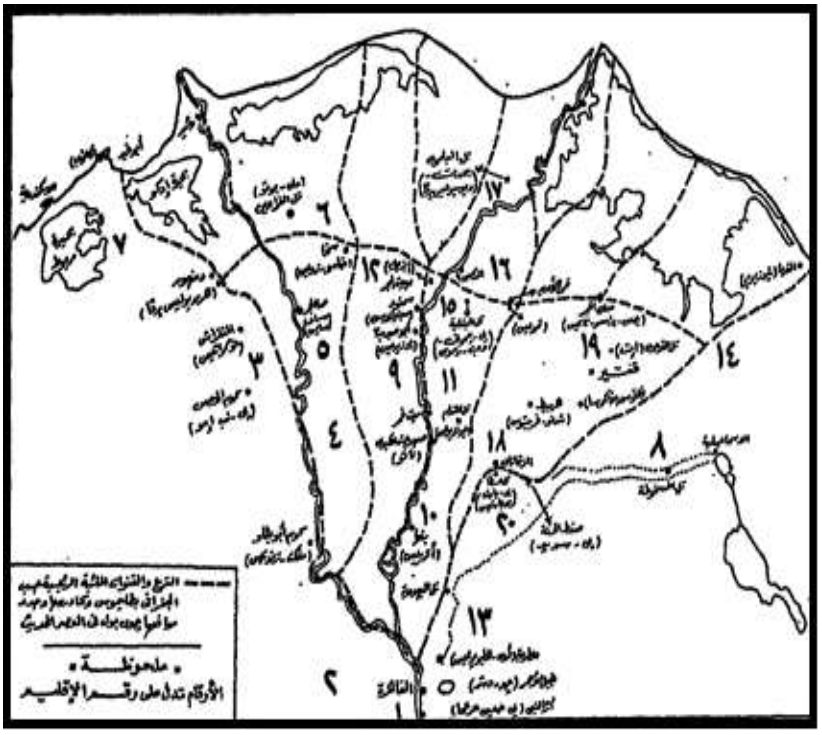

أقاليم مصر السفلى محمد بيومى مهران . المدن الكبرى ، ص ٢٥٤

وتشير بعض الآراء إلى أنها وصلت حتى مدينة الحيبة . كما امتدت سلطتهم على الواحات الجنوبية ومناطق التعدين فى قفط (قنا) ووادي عبادى ووادي الكاب (قرب محافظة المنيا). حيث عُثر لكبير الكهنة "من خبر رع [١٩]"على خرطوشة هناك[٢٠]. وكان يتسيد هذا القسم كبار كهنة آمون مع احترام السيادة التانيسية احتراماً كاملاً. فعلى مدار حكمهم له لم يجرأ أى منهم على منازعة ملوك الشمال ، على الرغم من إن كثيرا منهم حمل الألقاب الملكية كاملة[٢١].

[١٩] - أو "منخبيرير" وقد ذُكر بهذه الصيغة فى بعض المراجع العربية .

[٢٠]- Hendrickx.Stan., Elkab , Vol.5, 1994, Bruxelles, P.173.

[٢١] - Winkeln.K.J., relative chronology of dynasty 21 "from the book ancient Egyptian chronology" , Boston, 2006 , P. 218.

إن فكرة انقسام مصر إلى عاصمتين – سياسية فى الشمال ودينية فى الجنوب– لم تكن وليدة الأسرة الحادية والعشرين. بل داعبت أذهان ثلاثة أجيال من الرعامسة بدءاً من "رمسيس الثاني" (١٢٩٠– ١٢٢٤٠ق.م) حتى "رمسيس الحادى عشر" ١١١٤– ١٠٨٧ق.م. والذي يؤيد الكثيرون أنه كان مقيماً في شمال البلاد تاركا طيبة دون سلطة قوية تواجه التمرد والانقلابات[٢٢]. ومن ثم فإن زيادة اللامركزية ساهمت بشكل فعال في تدهور الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد. ولم تكن السرقات التى وقعت فى عهد "رمسيس الحادي عشر" ليست إلا واحده من أبرز الأوضاع المتردية التى سادت البلاد. وبتهديدات "أمنحوتب" خلال توليه منصب رئيس كهنة آمون أصبحت أحوال البلاد أكثر سوءا[٢٣].

ومما لا شك فيه إن ضعف الحكومة المركزية ساعد كثيرا فى تحول الأقاليم الجغرافية فى الجنوب والشمال من مجرد أقاليم تنظيمية إدارية إلى وحدات سياسية شبه مستقلة. وقد أدى هذا الوضع المفكك فى نهاية المطاف إلى ضياع الوحدة التى سعى إليها المصريون منذ قديم الزمن وتحققت على يد الملك "نعرمر"[٢٤].

---

[٢٢] - هناك إشارات عديدة مؤرخة بالسنوات الأخيرة للملك رمسيس التاسع عن حضور أجانب إلى طيبة ولم يحدد إن كانوا غزة أم أسرى وأوقفوا العمل بالجبانة عدة مرات.للمزيد راجع

-Černý.J., Egypt from the death of Ramesses III to the end of the twenty first dynasty chabter xxxv from the Cambridge ancient history (CAH) ,Vol 2, part 2 , history of the middle east aegenaa region 1380 – 1000 B.C, Cambrideg, P.11.

[23] - Polz.D., the Ramsesnakht dynasty and the fall of the new kingdom , A new monument in Thebes , SAK , band. 25,1998, P.292.

[٢٤] - جاب الله على جاب الله : تاريخ مصر القديم "عصر الانتقال الثالث" ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص٩.

وعلى الرغم من إن ملوك الأسرة الحادية والعشرين استقروا فى تانيس كما ذكر "مانيتون " وتركوا بها معظم آثارهم إلا أن نشاطهم امتد ليشمل أجزاء كبيرة من مصر. ولعل هذا ما شجع الكثير من المؤرخين على ألا يضعوها كبداية لعصر الانتقال الثالث؛ كما فعل "كتشن". أما "جاردنر" فاعتبرها ضمن الأسرات الأجنبية التى حكمت مصر خلال عصر الانتقال الثالث، معتمدين فى ذلك على إن حكام الشمال كانوا ذوى أصول ليبية وكبار كهنة آمون من أصول نوبية. إذ تقارب الأسماء الليبية مثل "بسوسينيس" من ملوك البيت التانيسى والنوبية مثل "بعنخى" خليفة الملك "حريحور"[٢٥].

وفى ضوء هذا الصدد يرى "عبد العزيز صالح" إن الأسرة الحادية العشرين لم تكن سوى فترة من الثيوقراطية[٢٦] الإقطاعية أعقبت فترة الانحلال والفساد الذى ساد نهاية الأسرة العشرين[٢٧].

وجدير بالذكر إن الأسرة الحادية والعشرين تعد امتداداً طبيعياً لعصر الرعامسة ؛ حيث تربطهما العديد من السمات المشتركة ما بين السياسية والاجتماعية حتى الفنية والمعمارية. هذا التشابه جعل بعض الباحثين يجدون صعوبة في فهم الفترة الفاصلة بينهم والمسماة بعصر النهضة (الوحم مسوت

---

[25] - Kitchen.K.A., the thrid intermediate period in Egypt (1100-650) B.C, (TIP) England ,1996, P.5.

[٢٦] - الثيوقراطية نظام سياسى يستند إلى التفويض الألهى ، حيث يتولى السلطة رجال الدين. كما يجب على السلطة الدنيوية البشرية الخضوع التام للسلطة الروحية. راجع كلير لولايت ، المرجع السابق ، ص٦٥.

[٢٧] - عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم "مصر والعراق" ، القاهرة ، ١٩٩٠، ص٢٧٨-٢٧٩.

wḥm mswt) حرفيا- تجديد الولادات- والتي يُرجح إن عامها الأول يُقابل العام السابع عشر من حكم "رمسيس الحادي عشر"[٢٨].

وإن كان البعض يجعله العام التاسع عشر، فى حين إن أول تاريخ بـــالوحم مسوت كان يقابل السنة التاسعة عشر من حكم نفس الملك ، وهـــذا النـــوع مـــن التاريخ غريب في بابه حتى إن العديد من المؤرخين اعتقدوا فى البداية إن تعبيـــر (وحم مسوت) يخفى في باطنه اسم ملك مصري ذهبت فيه معظم الآراء إلى أنـــه الملك "رمسيس العاشر"(١١٢٣- ١١٢١ق.م)[٢٩].

ويُعتقد إن (الوحم مسوت) أعقبت الفترة المعروفة باسم (حـــرب الكهنـــة). والتى تولى بعدها "أمنحتب" منصب كبير كهنة آمون لمدة ٩ أشهر، استولى خلالها المتمردين على مدينة طيبة عدة أشهر، وتشير ورق ماير إلى غزو "بانحســـى" [٣٠] نائب الملك فى كوش[٣١]. أصبح يرأس محكمات سرقة بعض المقابر هذا يعني أنـــه

---

[28] - Kitchen.K.A., TIP, P.4.

[٢٩] - جيمس هنرى برستد : تاريخ مصر" من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي" ، ط ٢ ، ت. حسين كمال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٧، ص ٤٠٧.

[٣٠] - واسم بانحسى يعنى السودانى (إذ كان يطلق على أبناء أقليم واوات بالنوبة السفلى اسم نحسيو وخلال الأسرة الثانية عشر أصبح هذا الاسم يطلق على عموم أبناء النوبة كلير لولايت ، المرجع السابق ، ص ٩٠. ولم يستقر فى مصر بعد الانقلاب الذى قام به فقد وجد أنه من الأفضل له الحكم فى موقع يكون له جذور، وعاد إلى النوبة. كما أنه سيطر على مناطق الجنوب حتى الحيبة شمالا. وأعاد الكاهن "أمنحوتب" إلى منصبه ككاهن اكبر للإله آمون. راجع

-Niwinsky.A., le passage de la xx à la xxll dynastie chronologie et histoire politique, BIFAO ,Vol .95,1995, P.340.

[٣١] - الإقليم الإدارى المحصور بين الجندل الثانى والرابع يلى أقليم واوات وظهر هذا الاسم لأول مرة خلال العام ١٨ من عهد سنوسرت الأول على لوحة حجرية فى بوهن .راجع كلير لولايت ، المرجع السابق ، ص٩.

كان مسئولا عن طيبة لمدة بضعة أشهر على الأقل. أى أن هجومه نجح إلى حد ما فى تحقيق أهدافه.

وجدير بالذكر إن "بانحسى" كان كبير كهنة آمون خلال العام السابع عشر من عهد الملك "رمسيس التاسع" حيث إعطائه الأوامر لشراء الأثاث والأحجار الكريمة لأحد المعابد. ويقترح البعض بأن الانقلاب وقع فى العام التالى مباشرة. وتم اعتقال "بانحسى" بأحد السجون وتولى "أمنحتب" مكانه، ثم حدث نوعاً من التمرد انتهى باستيلاء "حريحور" على العرش كل ذلك كان كفيلاً بأن يؤرخ "حريحور" لعهده بعهد تجديد الولادات أو (عصر النهضة)[٣٢].

إن التأريخ باسم عصر النهضة كان سابقاً لعهد الملك "رمسيس الحادى عشر". حيث سبقه فى ذلك الملك "أمنمحات الأول" ١٩٩١-١٩٧٢ ق.م[٣٣]. مؤسس الأسرة الثانية عشر(٢٠٠٠- ١٧٨٨ق.م)[٣٤]. والتى اتسمت بالقوة الاقتصادية والعسكرية. كما ورد هذا النوع من التاريخ أيضاً فى نقوش الملك "سيتي الأول" (١٣٠٣-١٢٩٠ ق. م) بداية الأسرة التاسعة عشر (١٣٠٨- ١١٩٤ ق.م).

مع ملاحظة إن كلا الملكين السابقين يستخدمان هذا التعبير للإشارة إلى عصر ازدهار جديد حل بالبلاد على يديهما بعد فترة ركود داخلية وخارجية. ويمكن ملاحظة إن كليهما قد أخذا اللقب nsw-bity mn m$^{c}$t R$^{c}$ ملك الوجهين القبلى والبحرى "من ماعت رع" والذي يعنى- روح عدالة رع أو مثبت عدالة رع - واللقب فى حد ذاته يحمل دلالة سياسية واضحة ؛ إذ أن

---

[32]-Nick.T.,The third intermediate period in Egypt , London , 2008, P.4.

[٣٣] - يختلف "جريمال" فى هذا التاريخ حيث وضع العام ١٩٦٢ق.م نهاية لهذا الملك. راجع نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ت ماهر جوريجاتى، مراجعة محمد حسنين، دار الفكر،١٩٩٦، ص ٢٠٥.

[٣٤] - برستد : المرجع السابق ، ص ٥٨٢.

الظروف التي حكما فيها كلا الملكين متشابه. فقد ساد بداية كلا العهدين اضطرابات أعقبها عصر جديد اتسم بالهدوء النسبى[٣٥].

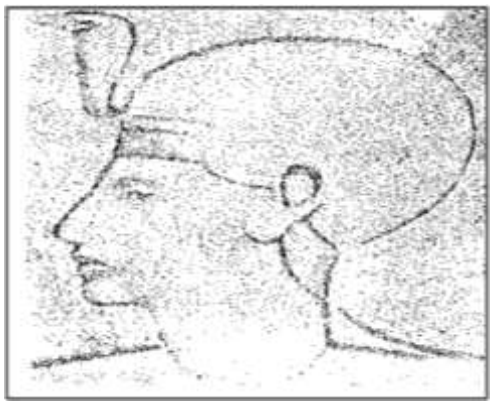

حريحور من معبد خنسو بالكرنك وهو يرتدى الصل الملكى

ويبدأ العصر المتأخر بالأسرة الحادية والعشرين (١٠٩٠ – ٩٤٥ق.م) ؛ التي انقسم الحكم فيها بين عاصمتين منفصلتين ، فقد سيطرت في الجنوب حكومة بيروقراطية أقامها كهنة " آمون " ممن تلقبوا بالألقاب الملكية بدءاً " بحريحور " كبير كهنة " آمون " في طيبة على السلطات الدينية والدنيوية ، فيما ساءت حالة البلاد الداخلية بشكل كبير فقد اعتمدوا في تدعيم سلطتهم على مكانة " طيبة " العريقة ، وعلى سلطات " آمون ".

أما العاصمة الثانية فكانت هي " تانيس " – صان الحجر – التي تسيطر على مصر الوسطى والدلتا وحكم فيها " سمندس " وقد عدَّ أَصحابها انفسهم الورثة الشرعيين للأسرة العشرين بحكم قرابتهم أو مصاهرتهم لها.

ولم يمضِ وقت طويل على تولي " حريحور " العرش حتى توفي، وخلفه ابنه "بعذخي" الذي كان في وقت من الأوقات حاكماً للسودان الشمالي ، وقائداً للجيش ، فلم يدّع الملك كأبيه بل احتفظ لنفسه فقط بمنصب كبير كهنة " آمون " ، واعترف بأحقية البيت المالك في " تانيس " في الجلوس على العرش.

---

[٣٥] - سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٨ ، مكتبة الأسرة ،٢٠٠١، ص ٥٢٧- ٥٢٨.

لوحة الكاهن الأكبر بعنخى ابن حريحور بالعرابة المدفونة

سليم حسن : ج ٨ ، ص ٦٦٢.

ثم ازدادت الصلة بين ملوك " تانيس " وكهنة " آمون " فقد بدأت أسرة " سمندس " بمصاهرة أسرة الكهنة في " طيبة " . وبذلك أصبحت العلاقات –شقي الوادي– ودية وتعاونية لاسيما أن الزواج والصداقة بين العاصمتين قد جعل من وجودهما المشترك أمراً طبيعياً.

وعلى أثر موت " سمندس " تولى أبنه " بسوسينيس الأول " العرش الذي يعد ثاني ملوك مصر في عهد الأسرة الحادية والعشرين ، وقد تزوج من أبنتي " سمندس " اذ كانت الأولى تدعى " استمخب " ، فيما كانت الثانية تدعى " حنت تاوي " فيما تزوج أكبر أولاد " بعذخي " من ابنة " بسوسنس الأول " ماعت كارع.

ولما مات بسوسينيس الاول أعلن " بينزم – بى نجم " نفسه ملكاً تاركاً وظيفة كبير كهنة آمون لابنه " ماساهرت " إلاَّ أن الأخير سرعان ما توفي فتولى أخوه " منخبررع " مكانه في عهد الملك " امن ام ابت " الذي كان يحكم في " تانيس ".

وقد اندلعت خلال هذا العهد ثورة كان قوامها المرتزقة الذين هيمنوا على شؤون الجيش في أيام الأسرة السابقة والأسرة الحالية. بعد أن ازداد عددهم على اثر استيطانهم في مصر ، وارتفاع شأنهم تدريجياً فقد كونوا الفرق العسكرية من بينهم حتى قامت بعد حين حروب داخلية على اثر ذلك انتهت بزوال الأسرة الحادية والعشرين مما سهل على الأسرة الليبية الأصل الثانية والعشرين (٩٤٥-٧٤٥ ق.م) التي كانت تسكن اهناسيا بتسلم الحكم.

فتقلد رئيس تلك الأسرة " بوياواوا " منصب رئيس كهنة المعبد ، ثم خلفه ابنه "موسن" ، تلا ذلك اقتصار هذه الوظيفة على أفراد هذه الأسرة فقط. ممن سمى حكامها أنفسهم " برؤساء المشوش " ؛ أي رؤساء الأجانب الذي استمر حكمهم لقرنين متخذين من "تانيس" و "بوباسطة" مركزاً لذلك الحكم ، لاسيما " شينشق الأول " الذي تمكن من تدريب جيش كبير يذود عنه وعن مقاطعته فقد كان حاكماً قوياً وشجاعاً . إلاَّ أن جهوده التي قام بها خلال عهده الذي دام ستة وثلاثين عاماً ذهبت ادراج الرياح بسبب سوء حالة البلاد ، اذ لم ينفعه تزويج ولي عهده " اوسركون " من ابنة " بسوسينيس " وتغلبه على نفوذ كهنة " آمون " في " طيبة " فانسحب غالبيتهم الى السودان ؛ ليؤسسوا أسرة ملكية في مدينة " نباتا " بالنوبة العليا ، فيما بقي بعض اولئك الكهنة في الواحات ولم تنفعه حملته على فلسطين ؛ لتوحيد مركزه في البلاد ، فقد انقسمت البلاد على ثلاثة بيوت بيتين في شرق الدلتا، وثالث في غربها ، فضلاً عن وجود عدد من الأمراء الاقطاعيين في مصر الوسطى والصعيد. ولم يكن عهد " اوسركون " أحسن حالاً ولا خليفته " تكلوت الأول " الذي وجد أخاه "شيشنق" في طيبة قوياً معادياً له فدخل معه في صراع اشاع الفوضى في البلاد الا انه توفي بعد مدة وجيزة ، فتبعه ابنه " اوسركون الثاني " الذي كان يلقب بابن الألهة "باستت" في معبد " تل بسطة " .

فحكم البلاد وأشرك ابنه " تاكلوت " معه في الحكم لمدة سبع سنوات فلما مات "اوسركون الثاني" بعد حكم دام خمسة وعشرين عاماً انفرد ابنه "تاكيلوت الثاني " بالحكم ، وعين ابنه " اوسركون الثالث " كاهناً في طيبة الذي اندلعت ضده ثورة في العام الحادي عشر من حكم " تاكلوت " فأخمدها " اوسركون " الذي كان يمارس عمله فيها ايضاً محافظاً لمصر العليا ، وقائداً للجيش ، فلما انتشر لهيب الثورة ووصل الى مصر الوسطى ، استطاع القضاء عليها ، ثم عاد الى طيبة حيث انصرف فيها للاصلاح ومعاقبة المذنبين ، تلا ذلك اندلاع ثورة أخرى في العام الخامس عشر من عهد " تاكلوت الثاني " انتهت بالصلح بعد أن ملّت أطراف الصراع فيها من النزاع.

ثم تولى العرش " شيشنق الثالث " الذي حكم اثنين وخمسين عاماً بعد أن تولى العرش وله من العمر ثمانية عشر عاماً وفي العام الخامس عشر من حكمه ثارت عليه طيبة، فأضطر خلالها كبير الكهنة " اوسركون الثالث " للفرار الى الجنوب البعيد حتى اخمدت الثورة.

ولما مات " شيشنق الثالث " خلفه من بعده ابنه " بامو " ، ثم " ششنق الخامس " الذي كان أخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين التي ازداد تفكك البلاد في عهدها الى درجة جعلت حكام الأقاليم يستقلون باقاليمهم.

فقد انقسمت مصر على نفسها على أثر الثورات المتتالية ، وضعفت سلطة الملوك، وتقوت سلطة امراء الأقاليم . لهذا لم يجد " بادي باست " مقاومة كبيرة عندما أسس أسرة مالكة جديدة حكمت الشمال في تل " بسطه " وهي الأسرة الثالثة والعشرون (٧٤٥-٧١٨ ق.م) في الوقت نفسه الذي كان هنالك ملك آخر يحكم في " صان الحجر " . ويبدو ان " بادي

باست " حكم جزءاً من غرب الدلتا ، وحصل على معونة كهنة طيبة ، بينما ظل كهنة " منف " يؤيدون الملك الأخير الذي امتد نفوذه إلى شرق الدلتا ومصر الوسطى.

في غضون ذلك كانت السودان مسرحاً لنهضة كبيرة وحضارة مزدهرة بنيت على اكتاف كهنة " آمون " ممن هربوا إلى السودان حتى تمكن رجل اسمه " كاشتا " من اقامة دولة قوية في بلاد السودان اشتقت اسمها من اسم عاصمتها " نباتا " الواقعة جنوب " دنقله " .

من جهة اخرى توفي " بادي باست " بعد حكم دام سبعة وعشرين عاماً ، فخلفه ابنه "اوسركون الثالث " الذي حكم تسع سنوات تقريباً ، فساءت أحوال البلاد الداخلية في عهده، وانقسمت على امارات عدة مستقلة من الوجه البحري شمالاً الى الاشمونين جنوبا.

ولما مات " اسركون الثالث " ، خلفه " تاكلوت الثالث " الذي ولى ابنته " شب ان اوبت" وظيفة كهنوتية ، ولقبت بزوجة " آمون " الإلهية ، ولم يمض وقت طويل حتى زاد نفوذ الزوجات الإلهيات الى درجة تضاءل امامهن نفوذ كبار الكهنة لمدة قرنين من الزمان.

ثم تولى العرش " آمون رود " ومن بعده ابنه " اوسركون الرابع " الذي لوحظ في عهده ازدياد تفكك البلاد داخلياً في هذه الظروف التي مرت بها الأسرة الثالثة والعشرون في أيامها الأخيرة الى درجة استقلال حكام الاقاليم كل باقليمه التابع له اثناء ذلك كانت القوات الاشورية تهدد حدود مصر بعد غزوها لفلسطين فيما لم تتخذ أية اجراءات من جانب مصر لدرء هذا الخطر الجديد.

اما الاسرة الرابعة والعشرون فقد أسست على أثر وفاة أخر ملوك الاسرة الثالثة والعشرين " شنشق الخامس " على يد الأمير " تف تخت " أمير مدينة "

صان الحجر " في الوقت نفسه الذي كان فيه ملوك اخرون في اهناسيا والاشمونيين وتل بسطة وتانيس .

مما يعكس حالة التفكك والانقسام في البلاد . إلاَّ أَن " تف نخت " تمكن من اخضاع الدلتا بأسرها ، ثم مضى في طريقه فوجد استجابة من حكام مصر الوسطى ، لاسيما الاشمونين واهناسيا ، فحقق فيها نجاحاً ايضاً، إلاَّ أَن " تف نخت " لم يستطع اكمال سيره وانقاذ البلاد من حالة الفوضى التي كانت عليها ؛ ففي حوالي عام (٧١٥ ق.م) حدث اول غزو لمصر من جنوبها ، اذ كان بقيادة " بعنخي " ملك بلاد " كوش " الذي كان ملكه يمتد إلى السودان والنوبة ، فنجح جيش " بعنخي " في هزيمة أعوان " تف نخت " ، وانتهى الأمر بانتصار جيوشه على الاشمونيين ، فزحف بعدها الى " منف " ، واعترف كهنة معبد " بتاح " بـ"عنخي" ملكاً ، فزار هليوبوليس حيث اعترف به كهنة الإله " رع " ملكاً ايضاً .

ونتيجة لهذه الانتصارات المتتالية لـ" بعنخي " ، اضطر أمراء الأقاليم وحكامها الى تقديم الولاء لـ" بعنخي " حتى إن " تف نخت " نفسه ارسل الى بعنخي طالباً العفو وهو ما اجيب عليه فقد اظهر " بعنخي " بعض التسامح معه ومع أولئك الأمراء فابقاهم في مناصبهم، فيما ابقى " تف نخت " أميراً على " صان الحجر " وبقي " بعنخي " فرعوناً على مصر والسودان الى نباتا.

ولم يواجه الفرعون الجديد مقاومة إلاَّ مقاومة ابن " تف نخت " وهو " باك – ان – رنف " الذي هُزمت قواته أمام قوات الغزو ولما عاد " بخنعي " الى بلاده ثار عليه "ياك – ان – رنف" مرة اخرى بعد ان اطلق على نفسه لقب حاكم القطرين وسيد الدلتا والصعيد لمدة عشر سنوات ، لذا جرد " بعنخي " حملة بقيادة ولي عهده " شباكا " ؛ لاخضاع " باك– ان – رنف " فهزم الاخير وانتهت معه الاسرة الرابعة والعشرون في مصر فتشبث ابنه "بكوريس أو يوخاريس" بالحكم حتى أخضعه شباكا ايضاً ، وقضى على استقلال " بكوريس " في مصر بعد أن

تولى " شباكا " العرش أثر وفاة أبيه ، وجعل من " منف " عاصمة له ، ثم هادن " سرجون الثاني " ، وتبادل معه الهدايا خلال عهده الذي دام ستة عشر عاماً .

وبذلك تكون مصر قد توحدت مرة اخرى ولكن تحت حكم اسرة نوبية وبدأ عهد اسرة جديدة هي الأسرة الخامسة والعشرون التي كانت مؤلفة من ملوك " نوبيين " حكموا مصر لمدة نصف قرن فقد حكم " شباكا " نحو ستة عشر عاماً استولى خلالها على الدلتا ونصب نفسه الفرعون الأوحد من " مروى الى البحر المتوسط " ثم جاء من بعده على عرش " نباتا أخ له من أبناء " بعنخي " اسمه " شبتكو " (٧٠١-٦٨٩ ق.م) الذي جاء الى مصر ومعه أخ شاب في العشرين من عمره اسمه " طهارقه " الذي كان مولعاً بالحرب وفيه صفات من أبيه وهمته، فيما عاد أمراء الدلتا الى سلطتهم القديمة بعض الشيء وتجددت عداواتهم فيما بينهم لذا سعى "طهارقه" إلى تهدئة الحال في وقت بدأ فيه الخطر الآشوري يتزايد على مصر فيما لم يكن " شبتكو " قادراً على اعادة القوة الى السلطة المركزية لتهيئة مصر لمواجهة الغزو الآشوري الذي بدا وشيكاً لاسيما بعد وصول الجيوش الآشورية الى حدود مصر أكثر من مرة فقد ازداد الخطر الآشوري بعد موت " سرجون الثاني " ، وخلافة " سنحاريب " له، وثورة بلاد الشام ضد الآشوريين التي استغلها " طهارقه " فارسل قوات مصر لمساعدة الثوار ضد الآشوريين رغبة منه بإيقاف التوسع الآشوري فعادت الحملة الآشورية الى بلاد أشور بسبب انتشار الطاعون بين صفوفها ، وقتل " سنحاريب " ، وخلفه ابنه " اسرحدون " فيما مات " شبتكو " بعد حكم دام أثنى عشر عاماً ، فخلفه " طهارقه " الذي توج في " منف " على الرغم من ان مقر اقامته كان في " صان الحجر " وكان يبلغ من العمر حينها خمسة واربعين عاماً.

فأهتم " طهارقه " بالاصلاحات الداخلية ، ثم وضع طيبة والصعيد تحت امرة أحد رجاله وأقام في شمال مملكته خوفاً من " الآشوريين " الذين حرض

طهارقه الفلسطينيين والفينيقيين ضدهم مما استدعى حضور " اسرحدون " بنفسه للتغلب عليهم ، ومواصلة المسير الى مصر التي دخلها من سيناء ثم دخل " منف " ، واستولى عليها فيما انسحب " طهارقه " جنوباً تاركاً الوجه البحري تحت سيطرة " اسرحدون " الذي نظم الأمور فيه وضمه الى املاكه ؛ لذا اعترف جميع حكام البلاد بسيادته على مصر ومنهم أمير " طيبة " إلاَّ أن "طهارقه " عاد بعد سنوات ، فاسترد "منف" وهزم حاميتها الاشورية مما اضطر " اسرحدون " لقيادة حملة أخرى لاخضاع مصر ثانية لكنه توفي قبل ان يتم له ذلك فخلفه " اشور بانيبال " الذي ارسل جيشاً طرد " طهارقه " من " منف " فانسحب الاخير الى " طيبة " التي سقطت هي الاخرى بأيدي الاشوريين ومع ذلك بقي كهنة " منف " يعترفون " بطهارقه " حاكماً للبلاد ؛ فقد عين أخته " شب توبت " بدل الأميرة " امنديس " رئيسة لكهنة " آمون " ، ثم أشرك معه في الملك ابن " شباكا " الأمير " تانوت آمون " ، وعينه حاكماً على الصعيد بينما استقر هو في " نباتا " التي مات فيها بعد عام واحد فخلفه " تانوت آمون " الذي لبى دعوة أهل الصعيد، فجمع جيشاً سار به الى الشمال حتى وصل " طيبة " حيث استقبل بالفرح والترحاب ، ونظر اليه الناس على انه المنقذ من الآشوريين.

فسار بجيشه ومن تبعه من أمراء الدلتا حتى وصل " منف " إلاَّ أنه اضطر للانسحاب إلى طيبة أمام الآشوريين اذ سقطت " طيبة " مرة أخرى بأيديهم ، فلم يحاول " تانوت آمون " استعادتها مرة أخرى ، وعاد إلى " نباتا " على الرغم من اصراره على كونه الملك الحقيقي خلال حكمه الذي دام ثماني سنوات فأخذت طيبة منذ ذلك الحين بالتدهور والاضمحلال والاندثار فأشرت عودة " تانوت آمون " إلى " نباتا " نهاية الحكم النوبي لمصر وعدَّ عصر تسلط الاجانب من الليبين والنوبيين والاشوريين على مصر من أظلم عصور التاريخ المصري.

إلاَّ أن ذلك لا يعني هدوء الوضع بالنسبة للاشوريين بل سرعان ما ثار أمير " سايس " وهو من سلالة " تف نخت " على الحكم الآشوري ، ففشلت ثورته وأُسر ثم أعيد إلى "سايس" التي نشأت فيها الأسرة السادسة والعشرون (٦٦٣-٥٢٥ ق.م) التي اتخذت من " صان الحجر" عاصمة لها.

ويعد " بسماتيك " الأول مؤسس هذه الأسرة ، ويرجح أنه من سلالة " تف نخت " ، وقد كان ملكاً على غرب الدلتا من البحر المتوسط إلى " منف " ، ولكن باعتباره مولى اشورياً حاول كسب ثقة أمراء الأقاليم ، وأبقى " منتوحات " أميراً على طيبة وكذلك كبيرة الكاهنات ، ثم أرسل أبنته لتصبح زوجة الهية لآمون وعهد لبعض الأمراء من أنصاره بإقطاعيات قي الصعيد ، ونظم السلطة الداخلية استعداداً لمواجهة الآشوريين، وتحالف مع ملك " ليديا " الذي أمده بجيش ليكون عوناً له في اقصاء الاشوريين عن مصر وهو ما تم له فعلاً وتابعهم في فلسطين ثم شرع بتوطيد مركزه فيها ، فهادن مملكة " نباتا " ، وتوقف عن عدائه الصريح مع الآشوريين بعد وفاة حليفه ملك ليديا " جيجس " ، فاستقرت البلاد وازدهرت التجارة والفنون خلال ما تبقى من عهده الذي دام أربعة وخمسين عاماً . وحدَّ خلالها البلاد مرة أخرى فعاد إليها الرخاء ، وأصبحت مملكة قوية ، ثم خلفه ابنه " نيكاو الثاني" الذي سعى الى بسط سلطانه على الامارات الآسيوية بعد انشغال آشور بشؤونها الداخلية، ثم تجاوز ذلك إلى التحالف معهم فاستطاع اخضاع فلسطين وباقي المدن السورية إلى الفرات. إلاَّ أنه هزم في (قرقميش) امام قوات (نبوخذنصر) ، واضطر للإنسحاب بعد هزيمته أمامها إلى الدلتا حيث شرع ببناء اسطولين أحدهما في البحر المتوسط والآخر في البحر الأحمر.

ولما مات " نيكاو الثاني " بعد حكم دام خمس عشرة سنة خلفه أبنه " بسماتيك الثاني" الذي سحق القوات النوبية قبل مسيرها الذي خططت له لغزو مصر ، وأصبح لمصر في عهده الذي دام ست سنوات ثلاث حاميات رئيسة

ورثها عنه ولده " واح اب رع " المعروف باسم "ابريس " الذي أدى دعمه للفلسطينيين إلى حملة قادها " نبوخذ نصر " لاخضاع الفلسطينيين وهو ما تم فعلاً .

ثم استنجد الليبيون بالملك " ابريس " لينقذهم من سطوة اليونانيين على بلادهم ، فأنجدهم بجيش مصري كاد يغدر به اليونانيون المقيمون في ليبيا مما أحدث ثورة في مصر فحاول "ابريس" تهدئتها بارسال " احمس الثاني " وهو أحد قواده ، إلاَّ أنَّ الجنود المصريين بايعو " أحمس " الذي تقدم بهم الى مصر فوقع أسيراً بيد " ابريس " الذي أطلق سراحه ، وجعله شريكاً له في الحكم إلاَّ أن " أحمس الثاني " عاد فأستنجد باليونانيين وشن حرباً على " ابريس " فقتله وانفرد " أحمس الثاني " بملك مصر.

وقد أخضع " أحمس الثاني " خلال عهده الذي دام حوالي أربعة وأربعين عاماً بعض المدن في جزيرة " قبرص " ، وهاجم البابليين في فلسطين ، وعاشت مصر في عهده بازدهار ورخاء. إلاَّ أنَّ الأجواء عادت للتعكر بسبب ظهور قوة جديدة في الشرق كانت تدعى "فارس" التي تزعمها " كورش " ومن بعده " قمبيز " فقد استولى " كورش " على ليديا وبابل ثم خلفه " قمبيز " الذي استولى على باقي دويلات آسيا الصغرى ، وأخذ يستعد لمهاجمة مصر. في تلك الأثناء ، مات " أحمس الثاني " فخلفه أبنه " بسماتيك الثالث " الذي توجب عليه مواجهة الجيوش الفارسية إلاَّ أنه هزم أمامها في " بلوزيوم " ، وانسحب الى " منف " فتبعه " قمبيز " الذي أضطره للاستسلام فعدَّه " قمبيز " ملكاً تابعاً له إلاَّ أن الاخير سرعان ما تخلص منه بدعوى التآمر عليه ، ثم استولى على " طيبة " وبذلك انتهت الأسرة السادسة والعشرون ، ووقعت مصر فريسة للغزو الفارسي.

فتأسست في ذلك الوقت الأسرة السابعة والعشرون ((٥٢٥-٤٠٤ ق.م)) إلاَّ أنها كانت أسرة فارسية فبدأ " قمبيز " بالتخطيط لتوسيع ملكه من خلال

عزمه على ارسال حملة لتدمير " قرطاجة " وهي الحملة التي لم يكتب لها المسير ؛ لعدم حصولها على مساعدة الفينيقيين البحرية فيما كانت وجهة الحملة الثانية واحة " سيوه " وهي الحملة التي هلكت في الصحراء دون ان تبلغ غايتها ، واستهدفت الحملة الثالثة بلوغ " نباتا " فكتب لتلك الحملة المسير واللقاء بجيش " نباتا " وهزيمتها الكبيرة بعد أن خارت قواها نتيجة التعب والخوف والجوع ، لذا قرر " قمبيز " العودة إلى بلاده تاركاً الوالي الفارسي " اريباندس " ليحكم مصر نيابة عنه.

وبعد موت "قمبيز" خلال رحلته إلى بلاده ثارت في ليبيا ثورة فشل الفرس في اخمادها ، ثم ثار المصريون على "اريباندس" ، فقرر خليفة "قمبيز" "دارا الأول" اخماد تلك الثورات بالتودد للمصريين فجاء بنفسه لإصلاح ما أفسده "اريباندس".

إلاَّ أن المصريين عادوا للثورة مرة أخرى في الدلتا ضد الفرس في عهد " ارتكسر كيس الأول " ثم تكررت تلك الثورة في مصر بمساعدة اليونانيين الذين أرسلوا اسطولاً كبيراً لذلك الغرض فوصل الى " منف " ، وهزم الفرس فيما حوصر من بقي منهم لمدة عام ونصف.

وقد نجح المصريون في استعادة حصون "منف" من الفرس إلاَّ أن الملك الفارسي أخمد الثورة وأسرَّ زعيمها إلاَّ أن ذلك لم يحل دون تجدد الثورة تحت زعامة "آمون حر" أمير "سايس" فحاول الفرس تهدئة الأمور بعد إخماد تلك الثورة بتعيين بعض الولاة المصريين ومنهم أبناء زعماء الثورة إلاَّ أن الاخيرة عادت للإتساع بعد موت " ارتكسركيس الأول " ، وتولي أبنه دارا الثاني وهنا تنتهي الأسرة السابعة والعشرون فيما كانت مصر تكافح لتحرير نفسها من الفرس.

اذ لم يتوقف المصريون عن محاولة التحرر من السيطرة الفارسية ومن يعاونها ؛ ولذا اندلعت ثورة عامة عام ( ٤١٠ ق.م ) بقيادة " آمون حر " أمير " تايوس " ضد اليهود المقيمين في " الفنتين " لتحيزهم للفرس رغم ايواء مصر لهم

، واطلاق حرية العبادة لهم فيها. وامتدت تلك الثورة لست سنوات ثم طرد الفرس بعدها نهائياً من مصر . وبذلك يكون " آمون حر " المؤسس والملك الوحيد في الأسرة الثامنة والعشرين ( ٤٠٤-٣٩٨ ق.م) التي اتخذت مدينة " سايس " عاصمة لها.

فاعترفت مصر كلها له بالسيادة وعدَّته منقذاً لها من الطغاة. إلاَّ أن الحكم عاد فأنتقل من بعده إلى أسرة جديدة هي الأسرة التاسعة والعشرون ( ٣٩٨-٣٧٨ ق.م) التي أسسها "نفريتيس الأول "، وأتخذت من مدينة " منديس " عاصمة لها من دون حرب ، أي أَن الأنتقال تم دون نزاع على العرش .

فأهتم " نفريتيس الأول " بشؤون البلاد الداخلية بعد أَن حاول مساعدة " اسبرطة " في صراعها ضد الفرس بالمؤن ، أو بالمساعدة في انشاء اسطول بحري مؤلف من مائة سفينة تحطمت في " رودس " على يد قائد " اثيني " كان يعمل بخدمة الفرس ، فلم يطل العهد "بنفريتيس الأول " حتى مات ؛ لذا خلفه الملك " اكوريس " الذي حاول تقديم المساعدة لاثينا وقبرص خلال صراعهما مع الفرس كما فعله سلفه حتى استسلمت قبرص للفرس.

ولما مات " كوريس " خلفه " بساموبتس " الذي حكم لعام واحد ومن بعده " نفريتيس الثاني " الذي حكم أربعة أشهر ، ثم استولى على العرش أمير قوي لعب دوراً كبيراً في أيام "اكوريس" هو " نخت نيف " الذي أسس الأسرة الثلاثين ((٣٧٨-٣٤١ ق.م)) خلال الاضطراب الداخلي الذي عاشت فيه الأسرة التاسعة والعشرون في أواخر أيامها ، فدخل في بداية عهده صراعاً مع الجالية اليونانية ممن اظهر أفرادها تذبذباً اثناء نزاع مصر مع الفرس، واثباتهم عدم جدارتهم بالثقة في أيام " كوريس " ، فدام حكمه ثماني عشرة سنة.

فخلفه "جدحر" الذي أعاد الصلة باليونانيين ، وعقد حلفاً مع اسبرطة عام (٣٦١ ق.م)، وكون جيشاً لم يسبق تكوينه منذ أيام الدولة الحديثة . فقد كان يطمح

الى مهاجمة الفرس إلاَّ أن هذا الجيش كان يعاني من مشكلة التنافس على القيـــادة. فتولى بنفسه قيادته ، ونازل الفرس في بلاد الشام حتى تمرد عليه أبنـــه " نختنبـــو الثاني " مستغلاً غياب أبيه في الشام ، واستيلائه على العرش ، ومبايعة عمه لـــه على الرغم من أن "جد حر" قد تركه ليكون نائبه في مصر ، وعلى الـــرغم مـــن الاضطرابات التي واجهت الملك الجديد فانه استطاع التغلب عليهـــا ، واســـتقرت الأمور له وازدهر الفن في عهده ازدهاراً واضحاً.

غير أَن الفرس غزوا مصر مرة اخرى عـــام (٣٤٣ ق.م) بقيـــادة الملـــك "ارتكسر كسيس الثالث " فاحتل " منف " فيما انسحب " نختنبو الثاني" الى الصـــعيد ، ثم استكمل الفرس احتلال مصر بأسرها فتجددت الثـــورات المصـــرية ضـــدهم لاسيما بعد تولي " خباشا " وهو أحد أمراء الدلتا حركة المقاومة واعلانـــه لنفســـه ملكاً على البلاد ، واعتراف كهنة " منف " به ملكاً فقاد الثورة طيلة ثمانية اعوام.

**علاقة بمصر بممالك الشرق الادنى فى العصر المتأخر:**

علاقة مصر بيفينقيا : فى عصر الاسرة ٢١ لم تتغير السياسة بين مصر وفينيقيا وظلت العلاقة قائمة وتمثلت فى استيراد اخشاب الارز والصنوبر عن طريق ميناء جبيل ، فى نهاية عصر الرعامسة انفصلت سوريا وفلسطين وفينيقيا عن الامبراطورية المصرية وانقسمت الى عدة امارات صغيرة مثل فينيقيا – بلستيا (فلسطين) – اسرائيل – مؤاب – ادوم – ارام ، ولكن ظلت الروابط التجارية والثقافية قائمة بين تلك الدويلات ومصر والعراق.

فى الاسرة ٢٢ قام ششنق الاول بحملة على فلسطين سنة ٩٣١ ق.م اراد منها استعادة الامبراطورية المصرية فى غرب اسيا وامتد نطاق الحملة الى شرق الاردن شرقا والساحل السورى غربا وسهل يزرعيل والجليل شمالا وعصيون جابرعلى خليج العقبة وصبرون وبئر سبع جنوبا ، سجلت اخبار تلك الحملة على الجدران الجنوبية الخارجية لبهو الاعمدة الكبير فى معبد الكرنك وان كانت تلك النقوش لاتذكر بعض المدن الفينيقية المشهورة. يبدو ان ششنق الاول وخلفاءه قد اعادوا العلاقات بين مصر وامراء بيبلوس والجديى بالذكر ان هذه العلاقة توقفت فى الاسرة ٢١ ، قام ششنق الاول باهداء تمثال له يمثله وهو جالس الى معبد سيدة جبيل اشارة الى عودة العلاقات التجارية والسياسية مع ملك جبيل ابى بعل. فى عهد اوسركون الثانى اشتركت مصر بعدد من جنودها فى موقعة قرقر سنة ٨٥٣ ق.م مع حلف مكون من ١٢ ملك واامير من سوريا وفينيقيا وفلسطين والاعراب ضد اشور فى عهد شلما نصر الثالث.

فى عصر الاسرة ٢٥ قام الملك شبتكو- اثناء غزوات اشور على سوريا وفينيقيا - بتكون حلف ضم مصر و فينيقيا - فلسطين - مؤاب - ادوم – عمون – يهوذا مع بعض قبائل البدو ضد الملك الاشورى سناحريب الذى انسحب من الغزو فجأة وعاد الى نينوى عاصمة اشور. فى عهد طهرقا نظم مقاومة ضد الاشوريين فى غرب

اسيا مع امراء صور وصيدا ، نجح طهرقا فى هزيمة الاشوريين سنة ٦٧٤ق.م الامر الذى ادى الى انضمام الامراء السوريين الى طهرقا.

فى عصر الاسرة ٢٦ عمل ابسماتيك الاول وابنه نيكاو الثانى على الحفاظ على دولة اشور- التى كانت تمر بحالة من الضعف - امام قوة بابل المهددة فى المقام الاول لاشور (وضعت اشور كحاجز بين مصر وبابل ولكى تسترجع مصر سيطرتها على غرب اسيا حاول بيكاو الثانى مساعدة اشور اوباللليط المتمركز فى حران وعندما تأخرت المساعدة الوافدة من مصر سقطت حران فى يد بابل سنة ٦١٠ ق.م بعد ان سقطت نينوى فى ٦١٢ق.م. لم يستطع نيكاو انقاذ اشور ولكن ظل فى الفترة ٦٠٩ - ٦٠٥ مسيطراً على منطقة الفرات ومعقل كيموخو وهزم بابل فى قوراماتى ، كما نجح نيكاو فى اخضاع المدن الساحلية مثل عسقلون – اشدود – غزة ، ويؤكد النص الهيروغليفى الذى عثر عليه فى صيدا على سيطرة نيكاو على الساحل الفينيقى وبناء اسطول فى البحر المتوسط واخر فى البحر الاحمر (يذكر هيرودت اخبار دوران ذلك الاسطول حول افريقيا) وكان للفينيقيين دور اساسى فى بناء تلك الاساطيل وقيادتها.

فى عهد ابسماتيك الثانى قام بزيارة تفتيشية لميناء جبيل الذى كان تحت السيادة المصرية ، واستُدعى للمساهمة فى تلك الرحلة عدد كبير من كهنة المعابد. فى عهد واح ايب رع (ابريس) رغبت مصر فى استعراض قوتها البحرية فقامت بمراقبة موانى الشام لتعطيل مصالح البابليين هناك ، تحالف الفرعون المصرى مع ادوم – مؤاب – عمون – صيدا – صور وبحضور صدقيا ملك يهوذا وقرر ذلك التحالف القيام بثورة ضد بابل.

تذكر التوراة اتجاه الجيش المصرى لمساعدة اورشليم ضد البابليين وظل هناك فترة من الزمن ثم اتجه لاحتلال مدن الساحل الفينيقى حيث هاجم واح ايب رع صور وصيدا ثم قبرص وفى عودته الى مصر تقدم البابليون نحو اورشليم وعملوا على حصارها ثم تدميرها فى ٥٥٨ق.م ثم فرضوا حصارا على صور التى

استطاعت الصمود ١٣ عام وساعدها فى ذلك الاسطول المصرى الذى قام بتمويلها طوال مدة الحصار الامر الذى ادى الى اتجاه ملك بابل نابوخذ نصر للانتقام من مصر.

الاسرة ٣٠ فى تلك الاسرة كانت هناك صحوة فى عصر الملك جد- حر لاستعادة امجاد الامبراطورية المصرية كما كانت فى الدولة الحديثة بغرب اسيا ، خرج جد – حر على راس جيش ضخم جرار بدأ بإحتلال فينيقيا وحلم بإتمام الحلم المصرى ولكن ما حدث من خيانة وعصيان بدد ذلك الحلم ، فعندما خرج جد – حر الى اسيا ترك اخاه نائبا عنه لحكم مصر فعمل ذلك الاخ على الاستيلاء على العرش لنفسه او لابنه نخت حرحبت (نختنبو الثانى) الذى كان يتولى قيادة احدى الفرق فى الجيش المصرى بأسيا فإستدعاه ابوه فأعلن العصيان على جد- حر ورجع الى مصر ومعه ملك اسبرطة اجى- سيلاوس الذى كان مستأجراً ومعه المرتزفة الاسبرطيين فى جيش جد – حر ، تسربت اخبار انقسام البيت المالك فى مصر للجيش المصرى فى ساحة القتال ففقد الثقة فى الانتصار كما عملت اثينا على استدعاء قائدها خبرياس من ميدان القتال وهكذا لم يجد جد – حر امامه سوى الهزيمة بعد الانتصار. لجأ الملك المصرى الى صيدا ثم الى الملك الفارسى ارتاكسركسيس الثالث طلبا للعفو.

علاقة مصر ببنو اسرائيل : ينسب بنو اسرائيل الى اسرائيل وهو اسم بديل ليعقوب عليه السلام واستمر ذلك الاسم حتى قيام مملكة داود ، منذ موت سليمان وبداية عهد الانقسام ظهر اسم اسرائيل مع يهوذا وبقيا الى ان دمرت دويلة اسرائيل فى ٧٢٢ق.م على يد سرجون الثانى ملك اشور ، ظهر اسم اليهود واستمر حتى القرن التاسع عشر الميلادى ثم بدأ اسم صهاينة فى الظهور كمرادف لكلمة يهود. كان بنو اسرائيل يعيشون فى كنعان (فلسطين) قبل الهجرة الى مصر بدعوة من يوسف الصديق الذى وصل مصر فى ايام الهكسوس وعندما عمت المجاعة ارض كنعان انطلق ابناء يعقوب الى مصر واقاموا فى منطقة جوشن (جسم او جاسان بالمصرية

القديمة) وهى تقع فى وادى طميلات (يمتد من فرع النيل البيلوزى ويتجه نحو الشرق حتى بحيرة التمساح) ، يعتبر القرآن الكريم المصدر الرئيسى لما ذكر من ان بنو اسرائيل قد عاشوا فى مصر فى رخاء الى ان جاء فرعون (اما احمس الاول او تحتمس الثالث او رمسيس الثانى او مرنبتاح) فاستباح دمائهم فبعث الله موسى عليه السلام لاخراجهم من مصر ويقيهن شر العذاب فقضوا سنوات التيه فى شبه جزيرة سيناء ثم امرهم موسى بدخول الارض المقدسة وهى اما فلسطين كاسم عام او القدس او اريحا فرفضوا دخول الارض المقدسة غالبا خشية من الدخول فى قتال مع سكانها فحرمت عليهم ارض كنعان ٤٠ سنة وانتهت قصة بنو اسرائيل مع موسى بموته ودفنه فى ارض مؤاب.

آل امر بنو اسرائيل الى يوشع بن نون خادم موسى وسرعان ما بدأ يخطط لغزو فلسطين فعبر بهم نهر الاردن واحتل اريحا واستولى على عدد من المدن وتشير التوراة الى انه استولى على املاك ٣١ ملك فى كنعان واعطاها لبنى اسرائيل. بموت يوشع يبدأ عصر القضاة وهم طبقة من المحاربين ارسلهم الرب ليخلصوا بنى اسرائيل من ناهبيهم ، ينتهى عصر القضاة بقيام الملكية على يد طالوت (شاول) ، ولقد استطاع الفلسطينيون هزيمة بنى اسرائيل والاستيلاء على تابوت العهد ودمروا المعبد الرئيسى فى شيلوة واخضعوهم لسلطانهم واقاموا الثكنات العسكرية الفلسطينية فى المناطق الاسرائيلية وعينوا موظفين لجمع الضرائب من بنى اسرائيل الذين عاشوا تحت الرقابة منزوعى السلاح.

فى ايام داود تروى التوراة ان جيش داود من بنى اسرائيل اتجه الى ادوم وهزمتها وقتل حداد الملك الثامن من ملوك ادوم ولكن ولده هدد وكانت امه مصرية هرب الى مصر وتزوج من مصرية وعاش فى مصر الى ان مات داود فرجع الى ادوم يطالب بحقه فى العرش.

ورث سليمان مملكة داود واصبح ملكا فى اورشليم (القدس) وحاكما على مملكة اسرائيل ، ويتفق المؤرخون على ان سليمان حكم فى القرن العاشر ق.م ويرجح

بيومى مهران ٩٦٠-٩٢٢ ولقد حرص سليمان على نشر دعوته بين جيرانه بالمصاهرة فتزوج من بنات العمونيين والمؤابيين والاراميين والكنعانيين والحيثيين كما صاهر فرعون مصر اما فى نهاية الاسرة ٢١ او بداية ٢٢ (اما سا امون او بسوسينيس الثانى او ششنق الاول) واصبحت الاميرة المصرية السيدة الاولى فى مملكة سليمان. تذكر التوراة ان الملك المصرى استولى على جازر واحرقها وقتل الكنعانيين وقدمها مهرا لابنته امرأة سليمان ، يرى المؤرخون ان هذا الزواج ساعد على اضافة مدينة جزر لمملكة سليمان وهى قلعة كنعانية قديمة ومركز تجارى قديم فى الشرق الادنى القديم وبذلك اكتسبت مملكة اسرائيل مكان على البحر المتوسط. تذكر التوراة انه كانت هناك تجارة لدولة سليمان فى الخيل والمركبات مع مصر المصدر الرئيسى لهما وكانت تلك الدولة تحتكر تجارة الخيل وكانت كل طرق القوافل الهامة بين مصر وسوريا واسيا الصغرى تمر بمملكة سليمان ، كانت المركبات تصنع فى مصر من اجود انواع الاخشاب المسوردة من فينيقيا وسورية .

تقر التوراة ان اليهود عاشوا فى مصر ١٤٠٠ سنة وخرجوا منها ليستقروا فى ارض كنعان وكانت تلك الارض من املاك الامبراطورية المصرية وبالتالى فقد خرجوا من مصر ليسكنوا فيها او تحت النفوذ المصرى الذى بقى فى فلسطين حتى عهد سليمان الذى يعد عصره العصر الذهبى لليهود. فى عهد ششنق الاول الاسرة ٢٢ فبعد وفاة سليمان عمل الملك المصرى على الاستيلاء على اورشليم واخذ معظم ما فيها من كنوز ويرى بعض المؤرخين مثل جاردنر وفقا لما ذكر باخبار الملوك ان التدخل المصرى بعد وفاة سليمان ادى الى احتلال معظم مدن فلسطين والاستيلاء على خزائن معبد سليمان وقصره ، واشارت التوراة الى خضوع يهوذا وكان يحكمها رحبعام ابن سليمان للامبراطورية المصرية وان معظم المدن كانت تدفع الجزية لمصر اما دويلة اسرائيل فكانت تحت لبنفوذ المصرى تماما. فى عهد بيكاو الثانى اسرة ٢٦ كانت هناك محاولات لاسترجاع السيادة المصرية على فلسطين واديرت ارض كنعان كاقليم مصرى وظل الامر كذلك حتى قرب بداية السبى البابلى ونهاية دولة يهوذا فى فلسطين سنة ٥٨٧ق.م . اما عن مدينة القدس :

فسميت بعدة اسماء اشهرها القدس واورشليم وكلمة اورشليم هى تسمية مصرية وليست عبرية كما هو شائع وترجع الى عصر الملك سنوسرت الثالث اسرة ١٢ حيث كتبت اورساليموم وذكرت فى نصوص اللعنة اوشاميم وفى رسائل العمارنة اورسالم وفى عهد داود سميت مدينة داود ونقل اليها تابوت العهد واصبحت مركز سياسى ودينى ، اطلق عليها اليهود يورشالايم او اورشالم ، لم يذكر هيرودت اسم اورشليم ولكن ذكر مدينة فى الجزء الفلسطينى من الشام سماه قديتس وذكرت فى الارامية قديشتا ، عن معنى اورشليم فاور تعنى مدينة اوموضع اوميراث وشالم هو اله وثنى لسكان فلسطين الاصليين وهو اله السلام اى انها مدينة او ميراث السلام[٣٦].

[٣٦] - ثناء جمعة الرشيدى: تاريخ مصر القديمة من الدولة الوسطى الى نهاية عصر الانتقال الثالث ، ص ٨٦-٩١.

## مراجع للدراسة


- أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الأسرات فى مصر والشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠.
- _____: "الدلالة التعبيرية للرسوم والنقوش خلال عصور ما قبل التاريخ فى الشرق القديم" ، منشورات مكتبة الإسكندرية (مؤتمر المخربشات بمكتبة الإسكندرية -الفن مرآة المجتمع في العصور الحجرية) ، ٢٠٠٧.
- أحمد محمود صابون: مجموعة الملوك المسماة "سوبك حتب" فى الأسرة الثالثة عشرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- أمين محمود عبد الله: تطور التقسيم الإدارة في مصر العليا :منذ فجر التاريخ إلى نهاية القرن العشرين ، القاهرة ،١٩٩٦.
- إيناس مصطفى عبد المحسن: التنبؤ بالغيب فى (مصر الفرعونية – العراق - سوريا- الجزيرة العربية) دراسة مقارنة ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٦.
- بهاء الدين إبراهيم محمود: المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية" تنظيمه الإداري ودوره السياسي" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، ٢٠٠١.
- جلال أحمد أبو بكر: فنون صغرى فرعونية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠١٣.
- حسن محمد محى الدين: حكام الأقاليم فى مصر الفرعونية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩١.
- خالد أحمد حمزة: مخازن الغلال فى مصر القديمة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة، ٢٠٠٧ .
- خالد محمد الطلى: "الحرب الأهلية خلال عصر الأسرة الأولى والثانية مظاهرها الدينية ودوافعها السياسية والاقتصادية" ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد الحادى عشر ، ٢٠١٠، ص٥٤-٧٣.
- رمضان عبده على: حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الأسرات الوطنية ، ج١، وزراة الثقافة المجلس الأعلى للآثار ، ٢٠٠٤.
- سليم حسن: مصر القديمة"عصر رعمسيس الثانى وقيام الإمبراطورية المصرية الثانية" ، ج ٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢.

- _____: مصر القديمة "تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد "بيعنخى" ،ج١٠، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨.
- _____: مصر القديمة ، ج ٢، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥.
- صفاء عبد الرووف محمد: الأسرة الحادية والعشرين فى مصر القديمة "دراسة تاريخية حضارية"، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب- جامعة جنوب الوادي ، ٢٠١٢.
- عادل السيد عبد العزيز محمد: *"دور قلعتى "سمنه" و "قمه" فى حماية الحدود المصرية الجنوبية فى عصر الدولة الوسطى"* ، مؤتمر الفيوم الخامس بعنوان النيل ومصادر المياه فى مصر عبر العصور ٢-٤ أبريل ، ٢٠٠٥م.
- عبد العزيز صالح: *الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق*، ج ١، مكتبة دار الزمان.
- علا العجيزى: *"العقائد الدينية فى مصر القديمة"* ، مجلة الجديد ، عدد٦٩ ، ١٩٧٤، ٤٦-٤٧.
- محمد مدحت جابر: *بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة* ، مكتبة نهضة الشروق جامعة القاهرة ، ١٩٨٥.
- منال محمود محمد: الأمن والحراسة فى مصر القديمة من خلال الألقاب والوثائق حتى نهاية الدولة الحديثة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، ٢٠١٥.
- ادلف إرمان هرمان ورانكه: *مصر والحياة المصرية القديمة فى العصور القديمة* ، ت: عبد المنعم أبو بكر ، محرم كمال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٥٢.
- ادلف إرمان: *ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة* ، ت: عبد المنعم أبو بكر ، محمد أنور شكرى ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٥.
- ألفرد لوكاس: المواد والصناعات المصرية القديمة، ت: ذكى إسكندر ومحمد زكريا ، ط٢، المركز الفنى للتصوير الفوتغرافى، القاهرة ،١٩٤٥.
- بارتا ميروسلاف: رحلة إلى الخلود "مقابر الأفراد بالدولة القديمة" ، ت: محمد مجاهد، كلية الآداب-جامعة تشارلز بيراغ ، ٢٠١٣.
- باركنسون.ر.ب: أصوات من مصر القديمة "مقتطفات من كتابات الدولة الوسطى"، ت: بدر رفاعى، دار سنابل للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

- بيير مونتيه: الحياة اليومية في مصر في عهد الراعامسة "من القرن الثالث عشر إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد" ، ت: هزيز مرقس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (مطبعة المعرفة) ، القاهرة ، ١٩٦٦.
- تشرنى ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة ، ت: أحمد قدرى ، دار الشروق، ١٩٩٦.
- جورج هارت: الحضارة المصرية القديمة ، ت: هالة حسانين ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر ، ٢٠٠٧، القاهرة.
- جيمس بيكى: الآثار المصرية فى وادى النيل ، ت: لبيب حبشى وشفيق فريد ،ج١، ١٩٩٣.
- جيمس هنري برستد: سجلات تاريخية من مصر القديمة ، المجلد الثانى الآسرة الثامنة عشر ، ت: أحمد محمود ، مراجعة جاب الله على جاب الله ، دار سنابل للكتاب ـ القاهرة ، ٢٠٠٩.
- جيميز.ت.ج: الحياة أيام الفراعنة "مشاهد من الحياة اليومية في مصر القديمة" ، ت: أحمد زهير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- سيرج سونيرون: الكهان فى مصر القديمة ، ت: زينب الكردي ـ مراجعة أحمد بدوي، الأهالي للطباعة والنشر- دمشق ، ١٩٩٤.
- سيريل الدريد: الحضارة المصرية القديمة من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ت: مختار السويفى ، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٦.
- فلندرز بترى: الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، ت: حسن محمد جوهر ، عبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٧٥.
- كاشا شباكوفسكا: الحياة اليومية فى مصر القديمة اللاهون نموذجاً ، ت: مصطفى قاسم ،المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٣.
- كلير لألويت: طيبة أو نشأة إمبراطورية ، ت: ماهر جويجاتى، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ٢٠٠٥.
- نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة ، ت: ماهر جوريجاتى، ط٢، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٩٣.
- هرسون جونيفييف و فالبيل دومينيك: الدولة والمؤسسات فى مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان ، ت: فؤاد الدهان ، دار الفكر ، القاهرة، ١٩٩٥.

- **والترب امرئ: مصر فى العصر العتيق (الأسرتين الأولى والثانية) ، ت: راشد محمد ، محمد على كمال ، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٠.**

**<u>المواقع الرسمية لبعض المتاحف العالمية على الشبكة الدولية (الانترنت).</u>**

١- الموقع الرسمى لمتحف الفنون الجميلة في بوسطن.

http://www.mfa.org/

٢- الموقع الرسمى لمتحف المتربوليتان.

http://www.metmuseum.org/art/collection/search/329081

٣- الموقع الرسمى لمتحف اللوفر.

http://www.louvre.fr/en

٤- الموقع الرسمى لمتحف بيترى- كلية لندن.

http://petriecat.museums.ucl.ac.uk/

٥- الموقع الرسمى للمتحف البريطانى.

http://www.bmimages.com/index.asp

متحف برلين

http://www.egyptian-museum-berlin.com/i01.php